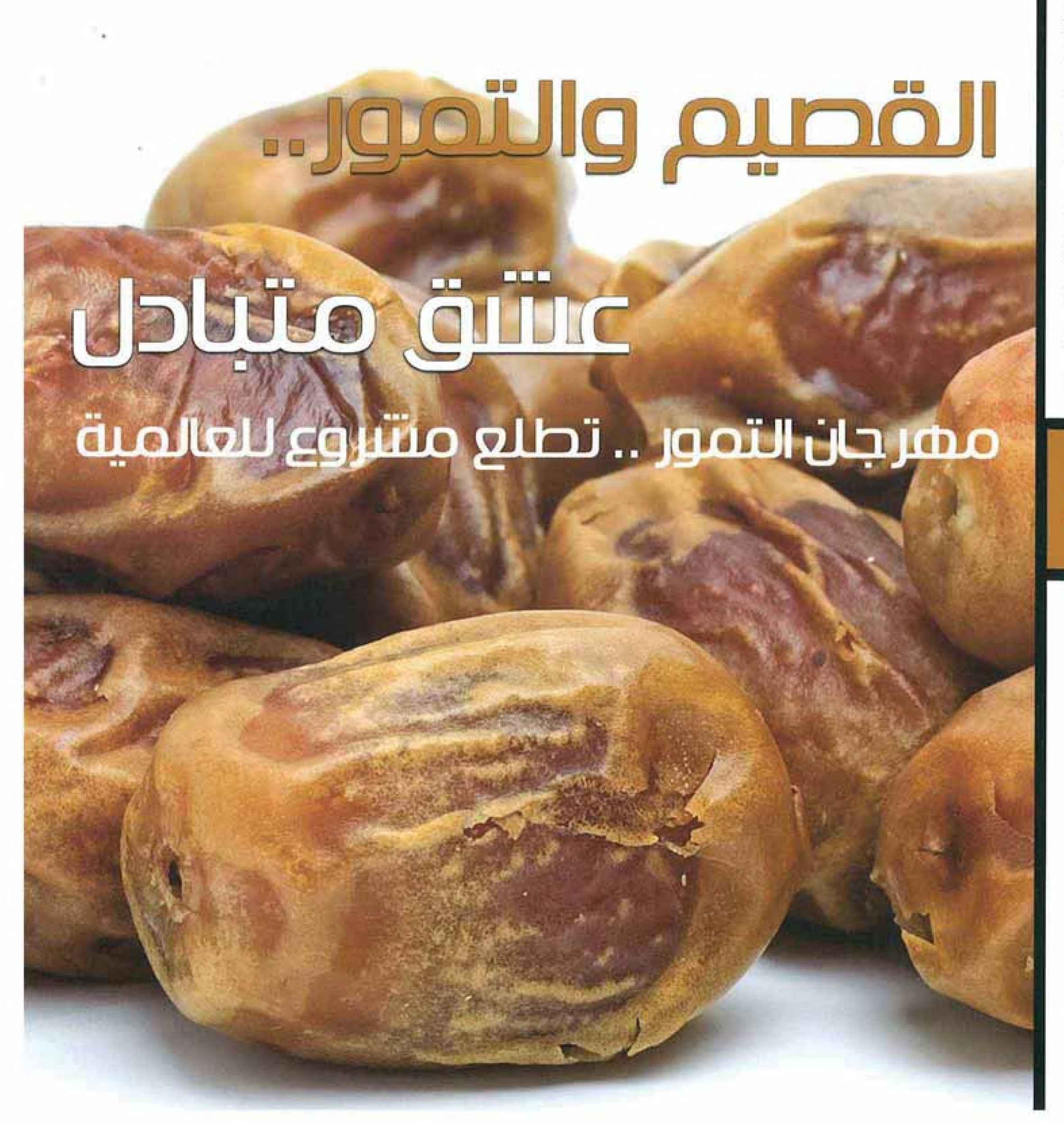
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٣١هـ/ أكتوبر-نوفمبر ٢٠١٠م

٤١٣

٤١٤



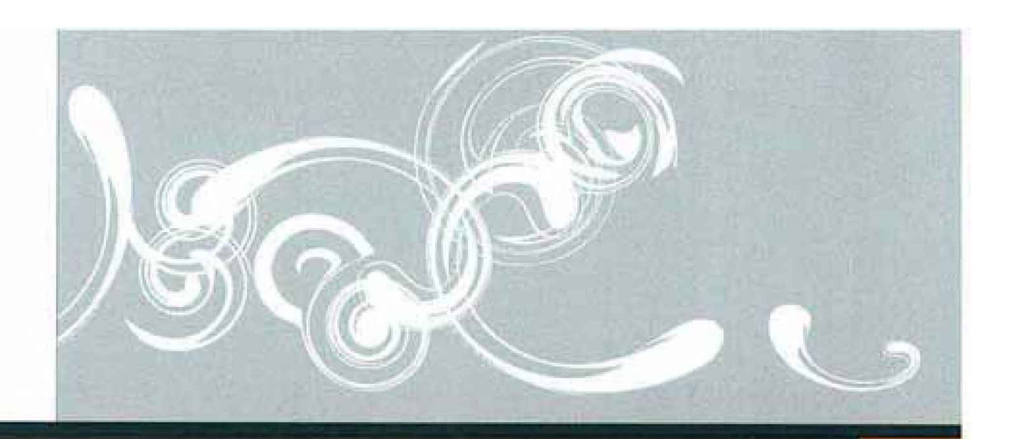
القصيم والتمور..

عشق متبادل

مهرجان التمور .. تطلع مشروع للعالمية



طالعوا موقع
«الفيصل»
الإلكتروني



المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

حوى النبي علي صالح

سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ، ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ١٤١١-٠٨٥٢

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com



تشهد منطقة القصيم في كل سنة مهرجانات تمور تنتظم مدنها وهذا يعكس ما لتمورها من جودة وشهرة ورواج. ويظل مهرجان بريدة العالمي للتمور الأكبر، يليه مهرجان عنيزة، وهذان المهرجان يتسابقان في كل عام إلى إضفاء الجديد الذي يميّزهما.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في ثقافتهم إن أمكن.

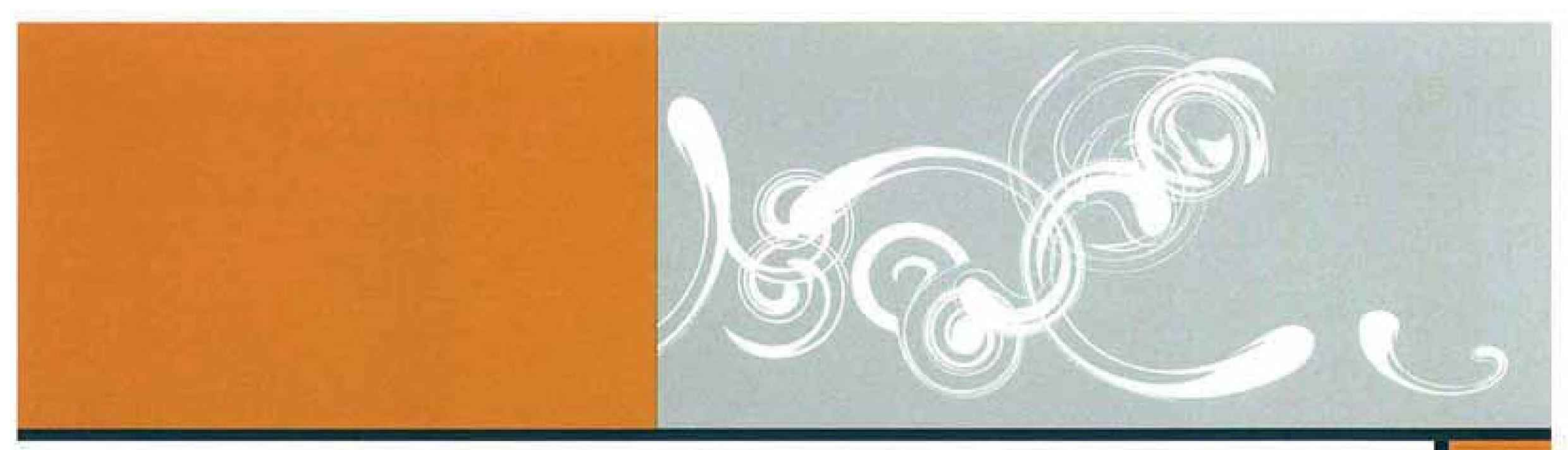
الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات، الكويت ٨٠٠ فلس، الإمارات ١٠ دراهم، قطر ١٠ ريالات، البحرين دينار واحد، عُمان ريال واحد، الأردن ٧٥٠ فلسًا، اليمن ١٠٠ ريال، مصر ٤ جنيهات، السودان ٥٠٠ جنيه، المغرب ١٠ دراهم، تونس ٣٥٠، ١ دينار، الجزائر ٨٠ دينارًا، العراق ٨٠٠ فلس، سورية ٤٥ ليرة، ليبيا ٨٠٠ درهم، موريتانيا ١٠٠ أوقية، الصومال ٢٠٠٠ شلن، جيبوتي ١٥٠ فرنكًا، لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية، الباكستان ٢٠ روبية، المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، هاتف ٤٨٧١٤١٤ (٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠ (٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء ـ هاتف ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠... سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨١٢٨٣١٣ ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٣ ـ ١١، ٠٠٩٦٣ ـ تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣ نهج المغرب، ص.ب ٧١٩، فاكس ٣٢٣٠٠٤١٧١/ هاتف ٩٢٢٢٤٩، ٧١، ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٣٨٢، فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤ ـ الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢، ٦، ٠٠٩٦٢ ـ البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠، فاكس ٥٣١٣٨١، ٠٠٩٧٣ ـ الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٥٣٥٦٦٢ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١ ـ الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥ ـ المغرب ـ الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢/٣١/٠٤٠٢٤، ٢٢٤٠٢١٢ ـ ت ٢٢٤٠٠٢٣ ـ الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢/٦٠١٩١٠٢، ٣ ـ ٠٠٩٦٧، فاكس: ٢٠١٩٠٩/٦



رســــائلكم

- استدراك

أهنّئكم على التطوير الثقافي لمجلة (الفيصل)؛ إذ إنني من المتابعين لها من صدور العدد الأول حتى الآن، وقد لفت نظري في العدد ٢٩٧- ٢٩٨ لشهري رجب وشعبان مقالاً للأستاذ عبدالمقصود محمد عبدالمقصود من القليوبية بمصر بعنوان: (يرحمك الله يا بشار)، ص٥٠، وقد ورد في الصفحة رقم ٥٢ بيت من الشعر نسبه الكاتب إلى بشار، مع العلم أنه لجرير، وهو:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

هذا ما أحببت تنبيهكم إليه، متمنياً لكم دوام التوفيق.

عبدالعزيز سعد الخراشي

الرياض - السعودية

التحرير

نشكر لك حرصك على التعقيب، ونأمل المزيد من المشاركات مستقبلاً.

- عودة «الفيصل» إلى تونس

أنا سعيد جداً بعودة (الفيصل) إلى السوق التونسية بعد احتجاب دام عدة أشهر، ثم عودة بخمسة أعداد دفعة واحدة. وأنا سعيد جداً أيضاً بالبشرى التي تمّ زفّها في معرض ردّكم على قارئ عندما سألكم عن موعد عودة (الفيصل) إلى الصدور شهرياً، فأشرتم إلى أن الموعد سيكون قريباً، وإن غداً لناظره لقريب. ودعوتم أيضاً القراء من خلال الأداء إلى دفع دفة المجلة، وتعهدتم بالتجديد. وفي كلمتين بسيطتين أقول: دعونا نعُدْ إلى فيصل الثمانينيات في الروح من خلال القيم والأركان الثابتة الهادفة؛ كدائرة المعارف، وبدايات، والطريق إلى الله، ومن كتب التراث، ومن ديوان العرب، ومن متاحف العالم، وغيرها، وإلى الفيصل المعاصرة بإحداث أركان جديدة تأخذ في الحسبان روح العصر والتجديد في الموضوعات بما يتماشى مع أهمية العلوم وأدوات الاتصال الحديثة، فتكون بذلك عصرنة (الفيصل) إن صحت العبارة من خلال الشكل. وهو أمر جليّ للقارئ منذ مدة، والمضمون الذي يراوح بين جدية القديم وروح الجديد.

في الختام تقبلوا فائق تقديري ومحبتي.

نبيل البواب

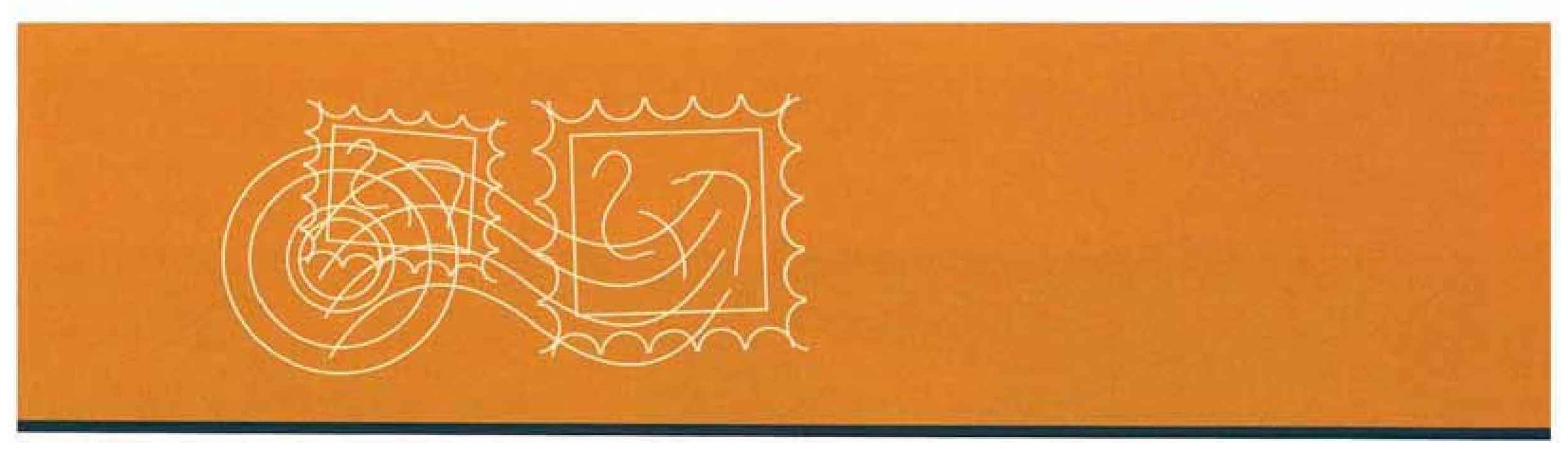
المنستير - تونس

التحرير

نشكر لك المتابعة والتواصل مع المجلة منذ سنوات بعيدة، ورأيك محلّ تقدير، وسيؤخذ في الحسبان في إطار خطة التطوير التي نعمل عليها.

- استمرار الرسالة

نبسط لسعادتكم ذراعينا بأحرّ التهاني وأبلغ الأماني بمناسبة حلول شهر رمضان، سائلين الله المولى أن يتقبل منا الصيام والقيام وسائر الخيرات. وننتهز هذه الفرصة للتعبير عن بالغ شكرنا وامتناننا على إثرائكم أجواء كليتنا بمجلتكم الغراء التي تستفزّ الطفرات الثقافية في ربوعها. فجزاكم الله الجزاء الأوفى عن إخوانكم البعيدين من أراضي الإسلام وأجوائه الثقافية والحضارية



وبنية لغته الأصيلة، ويوفقكم للاستمرار في خدمة دينه ونشر لغة نبيه؛ فإن «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم). وأنتم أهل ذلك، والله يتولاكم ويرعاكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير.

عبدالحكيم الفيضي

عميد كلية الشيخ أبو بكر للآداب والعلوم الإسلامية

كيرالا - الهند

التحرير

نقدّر لكم هذه الكلمات الطيبة، ونأمل أن تلبّي المجلة رغبات جميع القراء، وأن تزداد تطوراً باقتراحاتكم ومشاركاتكم.

- الفيصل.. معلومات قيمة.. ولكن!!

أنا أتشرف بأن أبدي إلى حضراتكم مفاجأتي مما تشتمل عليه مجلتكم (الفيصل) من معلومات قيمة كانت خافية على كثير من القوم. لذا أرجو منكم العذر أولاً على عدم كتابتي إليكم قبل الآن.

ألاحظ أن مجلتكم - إذا كنّا مُنصفين - لا تتناول مشكلات الشباب المسلم مع أن هذه القضية تحتلّ صدارة المناقشات العامة، ولا يخفى أن مرحلة الشباب مهمة في حياة الإنسان. ومن أهم المشكلات التي يواجهها الشباب اليوم، وتحتاج إلى جهود كثيرة لحلّها، ما يتّصل بالقضايا الشائكة فكرياً ونفسياً واجتماعياً، التي تؤدي إلى ضعف الشباب المسلم وضعف الأمة.

وإن أساس علاج مشكلات شباب الأمة هو تقديم القول الصحيح من الدين الإسلامي؛ ككلمة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - أمير منطقة مكة المكرمة - عن موضوع (مشكلات الشباب في عصر العولمة) خلال مؤتمر مكة المكرمة العاشر، وهذا الأمر يقتضي المزيد من الاهتمام بالتنمية الشرعية، والانطلاق بتعليم شبابنا إلى آفاق العصر والعولمة وتقنياته جنباً إلى جنب مع اهتمامنا بعلومنا الشرعية، والتمسك بدستورنا الإسلامي من الكتاب والسُّنّة.

لذا أرجو منكم أن تشتمل مجلتكم على مقالات تهتمّ بالقضايا الفكرية والثقافية لشباب الأمة؛ لتنمية ثقافتهم، وزيادة إلمامهم بعلوم القرآن والسنة النبوية.

إنني أرى من الأفضل أن تمتدّ فعالياتكم إلى خارج مجلتكم لاستيعاب كلّ خير موجود في شبكة الإنترنت وغيرها من وسائل تقنية المعلومات.

وأنا وراءكم دائماً، داعياً الله لكم، وراجياً أن توفقوا إلى طرح قضايا الأمة الحيوية.

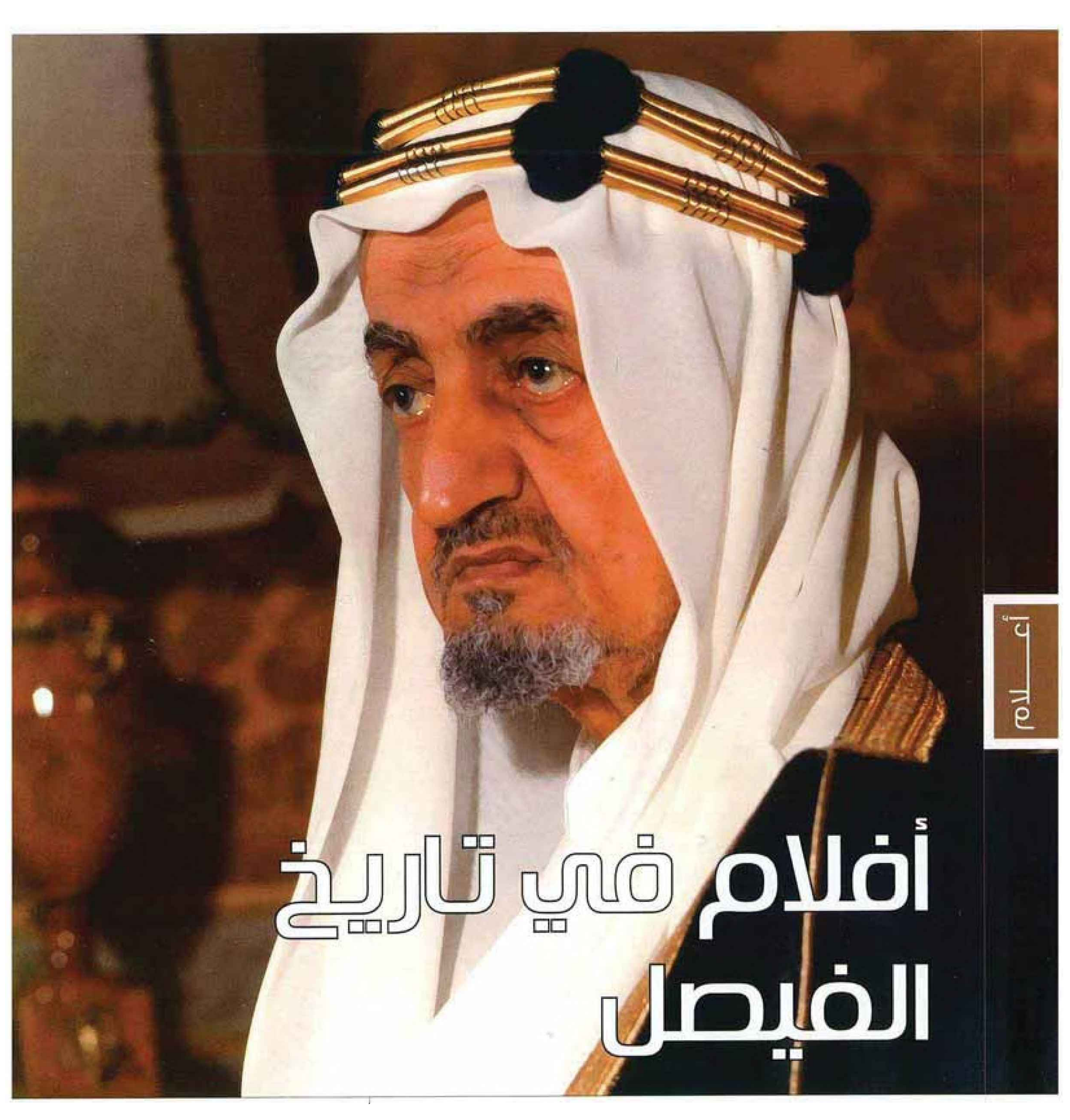
محمد عاشب، م. ت

كلية الشيخ أبو بكر للآداب الإسلامية

كيرالا - الهند

التحرير

نشكر اهتمامك وغيرتك، ونأمل أن يكون محتوى المجلة مرضياً لأغلب القراء، ولا شك أن تطويره لإرضاء الجميع يكون من خلال الآراء والاقتراحات التي ترد إلينا، إلى جانب المشاركات القيمة من الكتّاب في مختلف الدول الذين نعتزّ بهم.



أفلام في تاريخ الفيصل

عبدالرحمن الشبيلي
الرياض - السعودية



الملك فيصل يوقع على ميثاق الأمم المتحدة

كان الذكر يأتي عدة مرات حول الفلم التوثيقي عن حياة الملك فيصل. وهو العمل السينمائي الذي ظلّ متداولاً بعيد استشهاده سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م حتى اليوم. فلا أحد يدلي بمعلومات عنه، أو يخبر عن قصة إنتاجه؛ إذ بقيت تلك المعلومات محفوظة في الصدور، أو مختبئة طيّ السجلات والمعاملات الإدارية في أرشيف التلفاز السعودي.

من هنا جاءت فكرة هذا المقال، الذي أفرغ فيه ما ظلّ حبيس الذاكرة منذ أن التصقت بشكل مباشر بقصة إنتاج الفلم. وهي قصة لا تخلو من المتعة والأسرار. فضلاً عن كونها جديرة بالتوثيق قبل أن تضمحلّ الذاكرة، وتؤول القصة إلى مستودع النسيان.

لكنني قبل أن أبدأ برواية هذه التفاصيل أورد قصة فلمين آخرين، اقترن الأول منهما ببداية عهده، والآخر بنهايته.

أما الأول، فقد جرى تصويره سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م يوم أن عُقد في الرياض مهرجان احتفالي كبير. فبعد أن أُلقيت الكلمات بدأت مراسم العرضة النجدية (التي أصبحت تسمى في العقود الأخيرة العرضة السعودية). وهي أهازيج الرجولة التي كانت تُعرف برقصة الحرب (حربيات)، وتقرع فيها الطبول. ثم صارت تُؤدّى في حالات الابتهاج في المناسبات الوطنية والأعياد. وهي تختلف اختلافات بسيطة بين بلدان نجد، كما تتنوع في أوزانها وبحورها، ويصطفّ فيها العارضون في صفّين متقابلين حاملين السيوف، يقف في وسط أحدهما حامل الراية (البيرق): العَلَم السعودي الأخضر الذي تتوارث أسرة معينة حمله (آل ابن مطرف حالياً). وبين الصفين يقف قارعو الطبول الذين يشكّلون غالباً فرقة وطنية أو محلية مدرّبة (من أبرزها حالياً فرقة الدرعية الشهيرة).

يبدأ قائد هذه الفرقة بإنشاد بيتين تراثيين، يشكّلان في الغالب مطلع قصيدة (وتسمى هذه البداية الحورية)، ثم يلقي الشطر الأول من القصيدة، فيردّده معه أحد الصفين، وهكذا بالتناوب. ومن النماذج المشهورة للحورية هذان البيتان:

يالله ياللي لا إله غيره

يا ناصر جنده على العدوان

لا قابلت ضوّ المعادي ضوّنا

إلا ضوّنا العليا على الضبان

وقد تكون القصيدة - وهو الأغلب - من موروثات الشعر النبطي الجيد الذي نظم في عهد الملك عبدالعزيز والأئمة من قبله والملوك من بعده، أو قد تكون جديدة أعدّت للمناسبة. وفي نهاية العرضة يتلاقى الصفان في مشهد حماسي (يسمى السبحة) في مقابلة الملك أو حوله وهم يردّدون البيت التراثي الآتي:

يا دارنا حقك علينا

وان زمى العايل زمينا

يا شيخنا سمع وطاعة

وكلمة العايل تعني المعتدي المجحف، وزمى: أي بالغ في عدوانه. والشيخ هنا يقصد بها الزعيم أو الأمير حسب عرف

الأهالي المحليين.

المهم في الأمر أن الملك فيصلاً تفاعل مع مشهد العرضة، ونزل من المنصة متقلّداً السيف ليشارك الجموع في مشهد لم يكن مألوفاً مصوّراً من قبل على التلفاز السعودي الذي لم يكن مضى على افتتاحه سوى عام واحد.

كان الفيصل برشاقته البدنية من أمهر من يؤدّي العرضة حينما كانت تعقد في الحجاز (عندما كان نائباً للملك) أو في نجد. ولعل من أشهر العرضات التي أقيمت على شرفه تلك التي استقبل بها أهل الرياض الجيش العائد من الحرب بقيادته من اليمن سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٣م.

في عرضة سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م موضوع المقال، ولا تزال صورها التي تضم معه الملوك الثلاثة من بعده تُعرض إلى اليوم. كنتُ بمشاركة عباس غزاوي - المدير العام للإذاعة والتلفزيون وقتذاك - نَصِفُ المشاهد المثيرة للملك وهو يتنقل في الميدان ممتشقاً السيف، والمشاهدون - على الهواء - يسمعون صوته وهو يردّد مع المنشدين أبيات قصيدة كانت على ما أظنّ من نظم الشاعر الشعبي المعروف محمد العوني المتوفّى سنة ١٣٤٣هـ، التي تقول:

منـي عليـكم يـا هـل العـوجـا سـلام
واختـص ابـو تـركـي عـمـا عـين الحـريب
يـا شـيـخ بـاح الصـبر مـن طـول المقـام
يـا حـامـي الـونـدات يـا ريـف الغـريـب
اكـرم هـل العـوجـا مـدابـيـس الظـلام
حـم درعـك الضـافي إلى بـار الصحـيب

ويقترب منا الملك فهد ممازحاً، يسألني عما إذا كان الغزاوي يعرف ماذا تعني (قفلة) العرضة: وإن زمى العايل زمينا. فيتخلص الغزاوي من السؤال - بإجابة معقولة - بأنها تؤدي مفهوم البيت العربي الشهير من معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا لا يـجـلـهـن أحــــد عـلـيـنـا
فـنـجـهـل فـوق جـهـل الجـاهـلـيـنـا

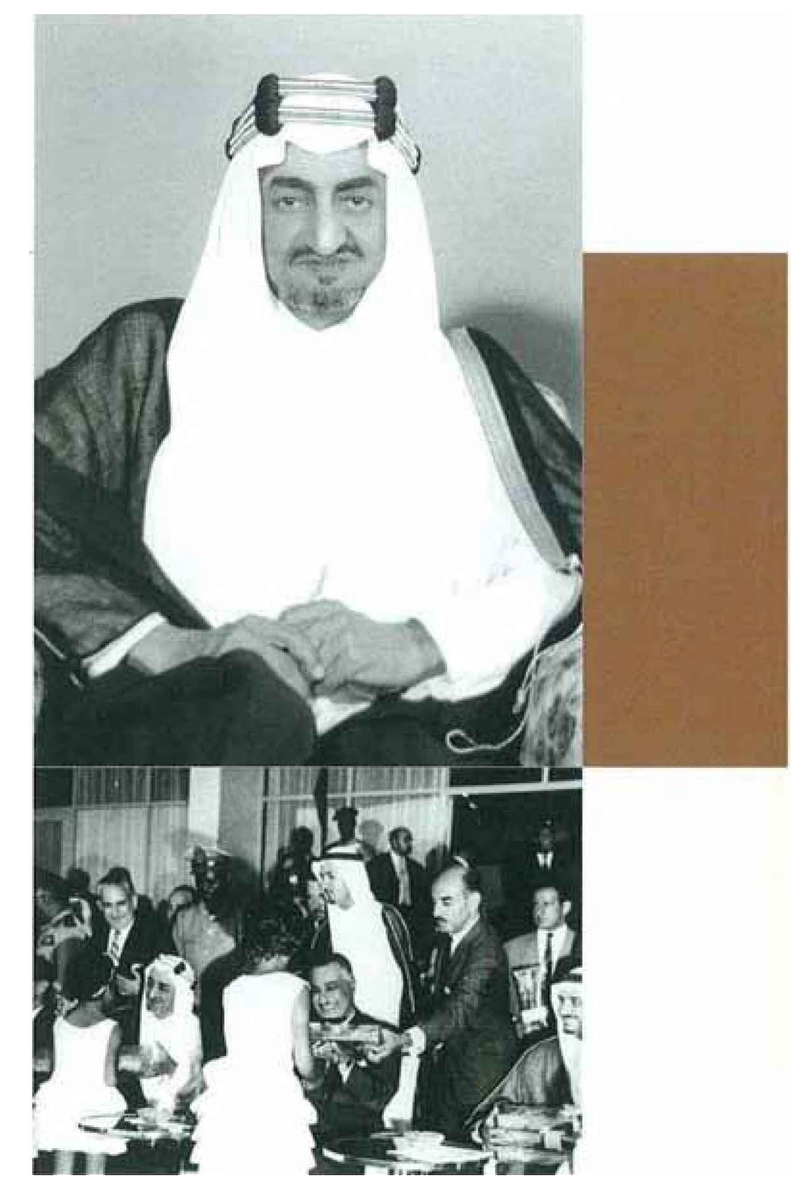
الفلم الأخير

أما الفلم القصير الثاني، فإنه التصوير التلفازي الذي وثّق

الملك فيصل في سطور

- ولد الملك فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله- في مدينة الرياض في سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م.
- الابن الوحيد لوالدته التي تنتسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله.
- تشرب صفات القيادة من والده الملك عبدالعزيز -رحمه الله- منذ نعومة أظفاره، فأرسله إلى زيارات لبريطانيا وفرنسا مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان عمره ١٢ عاماً.
- عين نائباً للملك في الحجاز في سنة ١٣٤٦هـ /١٩٢٦م، ورئيساً لمجلس الشورى في سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٧م.
- قاد وفد المملكة إلى مؤتمر لندن في سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م بخصوص القضية الفلسطينية، المعروف بمؤتمر المائدة المستديرة.
- كان رئيس وفد المملكة ووقع ممثلاً لها على تأسيس منظمة الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو في سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.
- مع تطور الدولة تقلد منصب وزير الخارجية في سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٢م، إضافةً إلى كونه رئيساً لمجلس الشورى، وقد ظل وزيراً للخارجية حتى وفاته.
- تولى الحكم بعد أخيه الملك سعود -رحمه الله- في مارس عام ١٩٦٤م / ١٣٨٤هـ.
- من ثوابت سياسته حماية استقلال بلاده، والمحافظة على هويتها، والتمسك بميثاق جامعة الدول العربية، وكانت قضية فلسطين أهم قضية إسلامية عربية بالنسبة إليه، وقد نجح في إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم الآن أكثر من ٥٠ دولة إسلامية، كما أنه استطاع قطع علاقات أكثر من ٤٢ دولة مع إسرائيل.
- استشهد -رحمه الله- في ٢٥ مارس ١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ، بعد أن سار بالمملكة خطوات واسعة في طريق التقدم والنماء بسياساته الرشيدة الحكيمة.

تفاعل الملك فيصل مع مشهد العرضة، ونزل من المنصة متقلداً السيف ليشارك الجموع في مشهد لم يكن مألوفاً مصوراً من قبل على التلفاز السعودي الذي لم يكن مضى على افتتاحه سوى عام واحد



الملك فيصل مع الرئيس جمال عبدالناصر

آخر لقاء رسمي صُوِّر في مكتبه: ذلك الوداع الأخير الذي اقترن باستشهاده. ففي ضحى يوم الفاجعة التي هزّت الوطن والعالم (الثلاثاء ١٣/٣/١٣٩٥هـ - ٢٥/٣/١٩٧٥م)، كان الملك فيصل في مكتبه بديوان رئاسة مجلس الوزراء، الواقع جنوب خزّان مياه الرياض وحديقته بحيّ المربع بالرياض، مستقبلاً عبدالمطلب الكاظمي - وزير البترول الكويتي - يرافقه أحمد زكي يماني - وزير البترول السعودي -، وفي لحظة التوديع، التي كان يحضرها الأمير فيصل بن مساعد بن عبدالعزيز، كان جيجو - مصوّر التلفاز السعودي، وهو لبناني من أصل أرمني - يصوّر لحظة التوديع التي حصل فيها الاغتيال، وهو التصوير الذي لا بدّ أن يكون قد احتوى على بعض تفاصيل ما حدث في تلك اللحظة.

كنتُ في تلك المدة مديراً عاماً للتلفاز السعودي عندما ورد الخبر عبر الهاتف. فتحوّل الاهتمام إلى تغيير البرامج بما يناسب الظرف. وعاد المصوّر كعادته ليقوم بتحميض ما صوّر من لقطات فلمية. وهنا تلقيتُ اتصالاً من وزارة الداخلية تطلب الفلم قبل تحميضه، فوجّه إبراهيم العنقري - وزير الإعلام آنذاك - بتسليمه إليها من دون أدنى تدخّل.

المفترض إذاً من خلال الرواية أن يكون الفلم المذكور في حيازة الجهات الأمنية، لا أحد من موظفي وزارة الإعلام قد اطّلع على تفاصيله سوى المصوّر، الذي كان شاهد حالٍ على ما حدث لحظة وداع الوزير الكويتي.

الفلم الثالث

أما عن مسار الفلم (الثالث) التسجيلي الذي يروي سيرة الفيصل، فقد بدأت فكرته من التلفاز السعودي فور وفاة الملك؛ إذ لم يسبق أن ضمّ عمل تلفازي أو سينمائي واحد تفاصيل حياته منذ ولادته حتى وفاته، فتم التعاقد مع الوكالة الإخبارية (UPITN)، ومقرها في لندن، من خلال مندوبها الأردني الجنسية يسار درة، بقيمة بلغت مليون ريال سعودي (نحو ربع مليون دولار)، ومدة التنفيذ عام كامل، ومدة الفلم ستون دقيقة.

كان العقد يشمل كتابة النص، وأبرز اللقطات (Clipps) التاريخية، والبحث في المكتبات الفلمية العالمية. وأذكر في هذا السياق أن الوكالة حصلت على لقطات جميلة نادرة يمازح فيها الفيصل إخوته ومرافقيه في إحدى زياراته لأمريكا برمي كرات الثلج عليهم. كما عثرت له على لقطات فلمية من إحدى المكتبات في موسكو كانت في حينها بعيدة المنال عن التلفاز السعودي الذي لم يكن يقيم علاقات مع أيّ من المحطات السوفييتية آنذاك.

كما اشتمل العقد على إنتاج الفلم باللغتين العربية والإنجليزية، وأن تُلحَّن له موسيقا تصويرية خاصة به. وقد قمتُ بزيارة بريطانيا للاطلاع على النص والموافقة عليه، وإجازة الموسيقا التصويرية. وحضرتُ في أحد الإستوديوهات في وسط مدينة لندن عزف الفرقة الموسيقية للحن المرافق للفلم من أوله إلى آخره.

ومما تحتفظ به الذاكرة عن هذا الفلم الوثائقي، الذي انتهى العمل به في موعده، وعرض على التلفاز السعودي في مناسبة مرور

الملك فيصل يؤدي العرضة

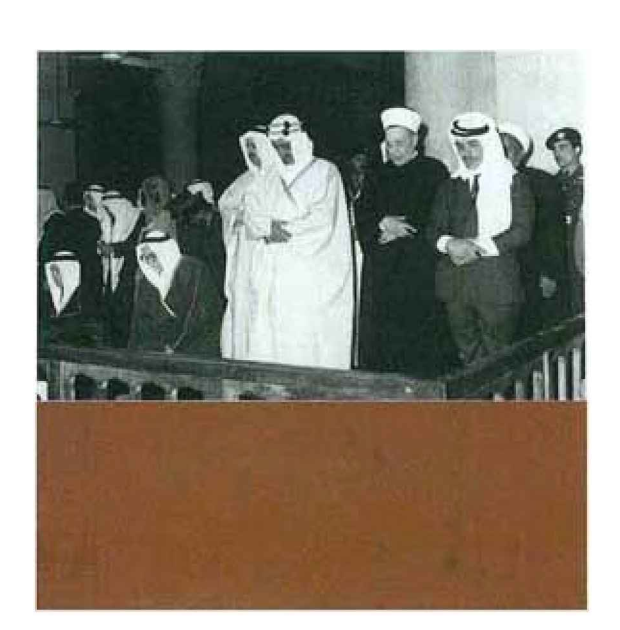


عام على وفاة الفيصل، أن النص المرافق للفلم كتب بموضوعية عالية تناسب هدفه ومشاهديه في الداخل والخارج، وقد أتى - بكل تجرّد - على الخلاف مع الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، وعلى التقلّبات والظروف الداخلية والخارجية التي مرّت على البلاد. وتزامنت مع مراحل عهد الفيصل: نائب والده الملك عبدالعزيز في الحجاز من عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٥٣م، حتى تولّيه الحكم عام ١٩٦٤م إلى حين استشهاده بعد أحد عشر عاماً.

جدير بالذكر أن وكالة (UPITN) للأخبار التلفازية، التي كانت إحدى مؤسستين تمدّان التلفاز السعودي وغيره من المحطات بالأخبار المصوّرة، قد تغيّرت ملكيتها عدة مرات، كانت واحدة منها لمستثمرين سعوديين، لكن مكتبتها التوثيقية بقيت مصدراً مهماً لمثل هذه المعلومات، مؤمّلاً أن تقوم مؤسسات التوثيق السعودية بالاتصال بها للحصول على معلومات أدق من أرشيفها ومن أرشيف وزارة الإعلام السعودية عن هذا الموضوع التاريخي المهم.

وكنتُ بعد إعداد هذا المقال قد جدّدت الاتصال مع يسار درة - همزة الوصل في ذلك الحين مع وكالة (UPITN) - لاستحضار ما يذكره عن الفلم المذكور، فأفاد بالمقتطفات الآتية:

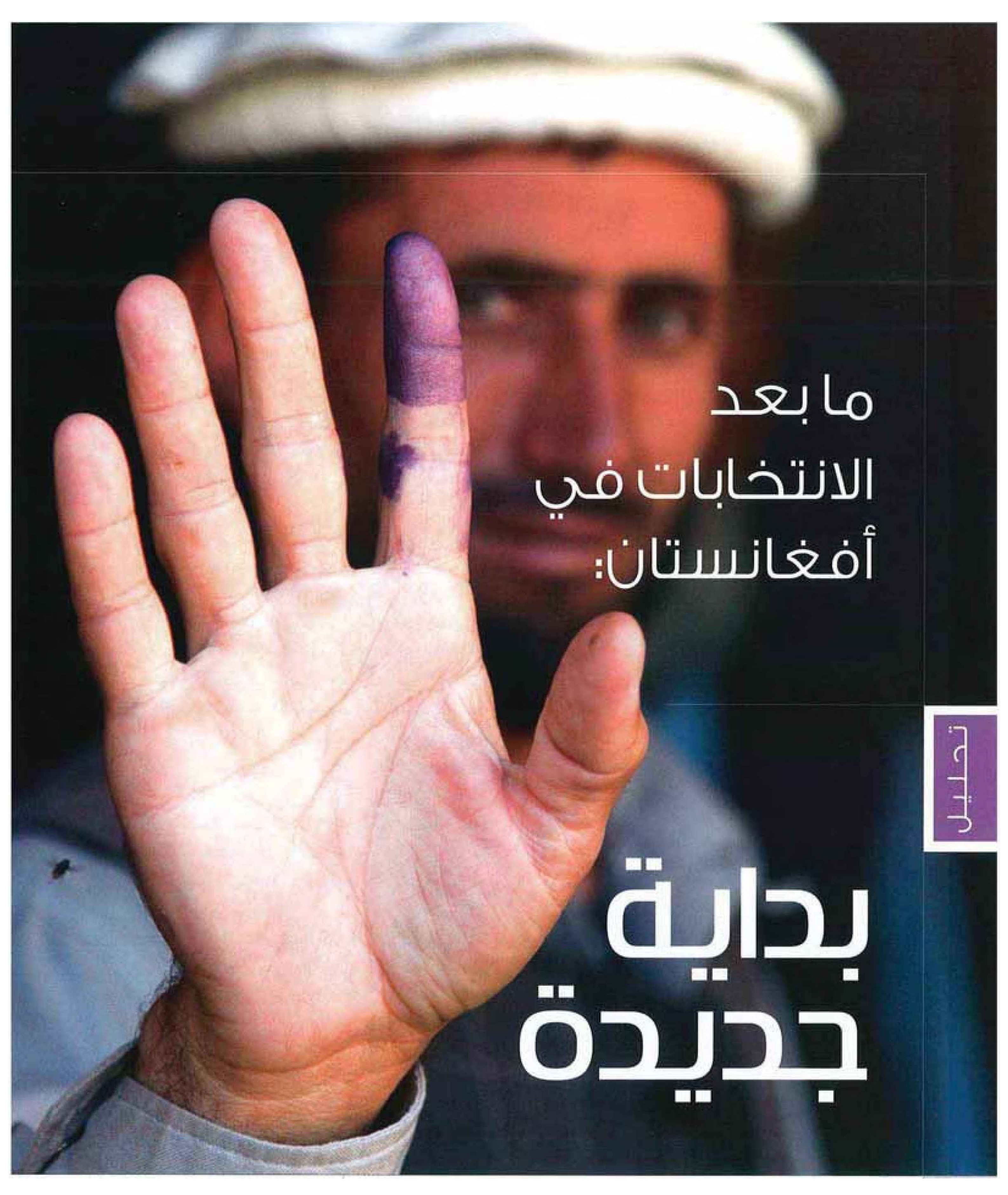
- لقد استنفرت الوكالة مكاتبها في سائر أنحاء العالم للحصول



على أيّ لقطات تاريخية تتعلق بالمملكة العربية السعودية، وبخاصة مكاتبها في باريس ونيويورك وأمستردام، وكان مكتب موسكو من المكاتب التي يوجد فيه أرشيف جيد.

- كانت شركة pathe السينمائية الفرنسية من الدور التي تختزن لقطات فلمية وثائقية مفيدة.
- بذلت الباحثة جيني بوزي Jenny Pozzi جهداً رائعاً في متابعة البحث، وكانت من وفّق في الحصول على لقطات بديعة للأمير الشاب يداعب رفاقه بكرات الثلج. وكنا قد وجدنا تلك اللقطات في أرشيف نيويورك، كما وجدنا تكملة لتلك اللقطات في أرشيف أمستردام.
- أذكر أننا واجهنا شيئاً من البيروقراطية لتصوير لقطات للرياض من أعلى برج مياه المربع على الرغم من وجود تصريح معنا من وزارة الإعلام.
- كان ملحن الموسيقا التصويرية المصاحبة للفلم هو رون جرينر Ron Grainer، وكان من الملحنين المتميزين في مجال الموسيقا التصويرية للأفلام، وكان قد شاهد بعضاً من مشاهد العرضة السعودية، فاستوحى لحنه منها، وكنتُ قد حرصتُ على مشاركة أكبر عدد من العازفين عند تسجيل الموسيقا التصويرية. واستأجرنا لهذا الغرض فرقة لندن للموسيقا السيمفونية London Symphony Orchestra؛ إذ كانت تلك المناسبة المرة الأولى التي تستخدم فيها الموسيقا التصويرية لفلم وثائقي على هذا المستوى. وقد جاءت النتيجة رائعة، ومع الأسف لم يستثمر أحد هذه الموسيقا أو يتنبّه لما بذل فيها من جهد إبداعي.
- حرصت الوكالة على أن تستخدم من أجل التعليق أفضل كفاءة بريطانية في حينه، وهو الممثل الشهير السير لورنس أوليفييه S. Lawrence Olivier، لكنه - بسبب اعتلال صحته وقتها - رشّح بدلاً منه مايكل ريدجريف Michael Redgrave، الذي كان ذا مهارة تمثيلية شكسبيرية.
- كان المعلق الثاني على الفلم هو ساندي جول Sandy Gall مذيع أخبار قناة (ITN).
- خصّصت الوكالة ميزانية مريحة للإنفاق على الفلم، وتم توظيفها للحصول على أفضل الكفاءات الإبداعية المتاحة؛ إذ كان الفلم أول إنتاج وثائقي رئيس من نوعه تقوم به هذه الوكالة الإخبارية التلفازية.
- كان مخرج الفلم شاباً إنجليزياً اسمه بوب سميث Bob Smith، وكان شاباً موهوباً على الرغم من عدم شهرته.
- طريف أن أذكر أن الباحثة جيني بوزي Jenny Pozzi السالفة الذكر كانت تحبّ ضابطاً بريطانياً يعمل في الظهران، وكانت قد استماتت في الحصول على تأشيرة للذهاب بمفردها إلى السعودية من قبل، لكنها - في أثناء عملها في هذا المشروع - استطاعت أن (تتسلّل) وتلاقيه، وقد روت قصتها هذه بعد عودتها.
- أما منتج الفلم، فقد كان كينيث كويت Kenneth Coyte، الذي توفّي قبل أعوام قليلة، وأظنك كنت قابلته عدة مرات في أثناء عملية الإنتاج.
- ومن طرائف ما ذكر أننا من حرصنا على الفلم عند شحنه أن وضعنا اسم قصر الملك خالد على بوليصة الشحن خشيةً عليه من الضياع، وهو ما تسبّب لنا بشيء من تأخير تسلّمه من القصر بعد الوصول.
- جدير بالذكر أن وكالة (UPITN) كانت مملوكة بالشراكة بين شبكة (ITN) التلفازية البريطانية (International Television Network) ووكالة الأنباء الأمريكية (UPI) (United Press International). وعندما واجهت وكالة الأنباء (UPI) بعض الصعوبات المالية قامت شبكة (ABC) التلفازية الأمريكية (American Broadcasting Co) بشراء حصتها، ثم قامت ديزني (Disney) بشراء (ABC)، لكنها - إذ لم تكن ديزني مهتمة بصناعة الأخبار - باعت الوكالة إلى مستثمر مكسيكي، ثم إلى مستثمرين سعوديين. وقد تحوّل اسم الوكالة إلى عدة أسماء تبعاً لمتغيرات ملكيتها.

الفلم الأخير للملك فيصل في حيازة الجهات الأهلية، لا أحد من موظفي وزارة الإعلام قد اطلع على تفاصيله سوى المصوِّر، الذي كان شاهد حال على ما حدث لحظة وداع الوزير الكويتي



تحليل

ما بعد الانتخابات في أفغانستان:

بداية جديدة

سلفيا فالنتيني

ترجمة: نعيم الغول

الرياض – السعودية

«كل ما نحتاج إليه أن نقلّل من شأن طالبان للجيش الأفغاني بشكل كافٍ؛ ليتمكن من التعامل معهم»، هذا ما صرّح به حديثاً جيمس دوبنز - أحد كبار المساعدين الأمنيين للرئيس الأمريكي باراك أوباما.

كما صرّح دوبنز، الذي عمل أيضاً في إدارة بوش لتحديد مقاربة أفغانية، بأن الكونغرس الأمريكي يريد في بداية العام وضع هدف، هو التقليل من القتلى المدنيين العام المقبل، وأضاف أنه في الحملات ضد التمرد والعصيان فإن ذلك هو الفرق بين الفوز والخسارة.

التخلي عن تدمير القاعدة

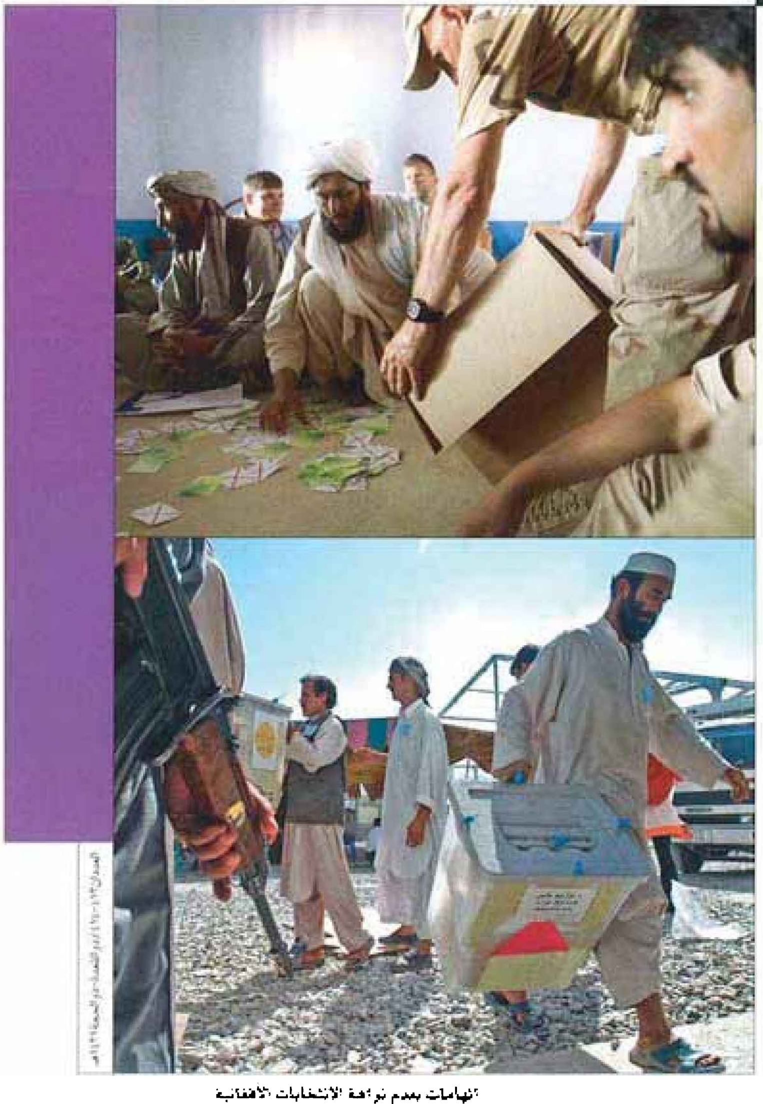
وفي الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الرئيس أوباما بدأ بتحديد الطموحات الأمريكية في أفغانستان، وقد تجنّب أن يذكر كلمة (نصر) بالضبط التي كانت يستخدمها بوش غالباً. وبالأخذ بنصائح وزير دفاعه روبرت جيتس، فقد تخلّى عن القول بتدمير القاعدة، وتحويل أفغانستان إلى ديمقراطية على غرار الديمقراطية الغربية كما كان الأمر في عهد بوش.

إن مصطلح «الحرب وفقاً للضرورة»؛ ذلك الشعار الذي أطلقه الرئيس أوباما خلال فصل الصيف، قد يكون هو السبيل إلى الخروج من نزاع استمرّ ثماني سنوات. وإذا استمرت الخسارة في الأرواح البشرية (الجنود) في أفغانستان في عام ٢٠١١م فقد تضع الحملة الانتخابية الرئاسية في موضع رهان في عام ٢٠١٢م.

وعلى أيّ حال، فإن إسقاط قدرة طالبان على إعادة بناء قواعدها في أفغانستان يتطلب استعادة السلطة الشرعية، والقدرة على التعامل مع الجيش، وإعادة بناء قوى الشرطة التي تفشّى فيها الفساد، وتعيين وزراء ومحافظين أكفاء يكونون أقلّ ولاءً للمتمردين، وينفقون في الوقت نفسه المساعدات الخارجية بفاعلية.

البحث عن بديل

ومنذ تدشين الرئاسة الجديدة لم يفلح أوباما وإداراته في البحث عن بديل لرئيس أفغاني. وقد حاولت إدارة بوش خلال السنوات الماضية تحذير الرئيس الأفغاني كرزاي من التهديدات التي تواجهها حكومته بسبب انغماس أفراد أسرته في الفساد.



اتهامات بعدم نزاهة الانتخابات الأفغانية

فالخداع الذي حصل في الانتخابات، وانعدام الأمن، والنسبة المتدنية للناخبين؛ كل ذلك ميّز الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩م. وكان الصحفيون الغربيون الذين قاموا بجولات على محطات صناديق الاقتراع في كابول قد وجدوا صناديق الاقتراع مملوءة بعد بضع دقائق من افتتاح الانتخابات. وفي بعض الحالات لم يشاهدوا ناخبين داخل مراكز الاقتراع أو خارجها. وهناك شهود آخرون وشكاوى وصلت لجان الأمم المتحدة المكلفة استقبال

ملاحظة ثقافية وتاريخية

أفغانستان أكثر بلدان وسط آسيا كثافةً بالسكان، وأحد أكثر بلدان العالم التي تضم مجتمعات مقسمة لها تاريخ حديث من النزاعات المتعاقبة، وفقر شامل وعمليات إصلاح فاشلة. ومنذ جلاء الاتحاد السوفييتي فإن الانقسامات الإثنية أعقبت الحرب الباردة كمصدر لنزاعات عنيفة. وبعد أن أطاح العمل العسكري الدولي بنظام طالبان في عام ٢٠٠١م واجه البلد مساراً سياسياً مضطرباً ومعقداً. وخلال العام نفسه عُقد مؤتمر بون، الذي تبنى نموذج دمقرطة لأفغانستان، وكان علينا أن نتخيّل سلطة ذات ديناميكية خاصة وافتقار إلى اتجاه محدّد للدولة. وكانت روابط الهوية تعتمد على انقسامات عرقية وقبلية وإقليمية عملت تاريخياً على تدمير السلطة المركزية. ووفقاً لما يقوله العالم أوليفرروري فإن تاريخ أفغانستان الحديث يبعث على الجدل بين العالم القبلي والريفي من ناحية، وبين كابل بوصفها عاصمةً حضريةً من جهة أخرى. أما الأحزاب السياسية، فهي لا تزال في بدايتها، والمرشحون السياسيون هم مجرد متحدثين باسم المجموعات التي ينتمون إليها أكثر من كونهم متحدثين باسم برنامج سياسي.

أما البنية الاجتماعية والدينية، فتتسم بالتشرذم على أساس النسب والقرابة والقبلية. ومثل هذا التشرذم ينتشر حتى إن النسيج الاجتماعي والانتماء إلى الدين الإسلامي يواجهان صعوبات كمادة اجتماعية رابطة، وقد كشفت الانتخابات الرئاسية التي جرت في شهر آب/ أغسطس عام ٢٠٠٩م نظام رعاية سياسي مركزي على درجة عالية؛ إذ يتحكم رئيس الدولة في سلطات ضخمة مستخدماً شخصيات ذات مصالح أكثر من استخدامه سياسات.

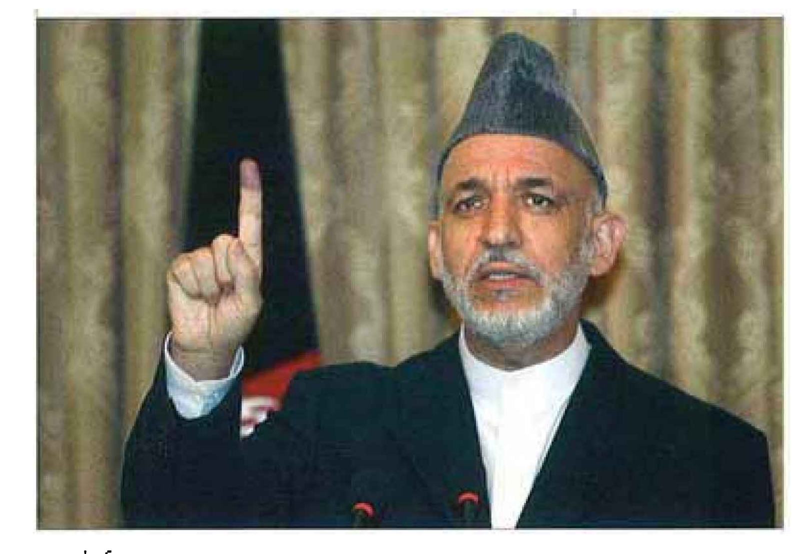
أما الهيئات التشريعية، فيتم تجاهلها أو إبطال شرعيتها وإضعاف فعاليتها بشكل كبير؛ بسبب غياب دور رسمي للأحزاب السياسية، والعلاقة الضعيفة بين تشعّبات الدولة. وتتسم بنيات الدولة الحديثة بالهشاشة، كما يخلق النظام الرئاسي القويّ توتراً بين النظامين التنفيذي والتشريعي. ويرمي تراث تدخّل المجتمع الدولي في أفغانستان في مقاصده ونيّاته إلى تدعيم عملية الدمقرطة. أما ما حصل في الميدان من تدعيم القادة العسكريين والمجرمين، فالأفغان ينشدون الأمن والسلامة والرعاية الصحية والتعليم وسيادة القانون والنظام. لكن، خصوصاً في الجنوب الشرقي، لم يحصلوا على بديل لطالبان.

الشكاوى المتعلقة بانتهاك الانتخابات. وفي الساعات التي تلت يوم الانتخابات، استقبلت لجنة الشكاوى الانتخابية أكثر من ٢٠٠٠ شكوى تتعلق بالترهيب والغش والخداع، و٦٠٠ شكوى تتعلق بمنع مراقبة الانتخابات في ٦٠٠ مركز انتخابي شابتها حوادث غير عادية. وبعد بضعة أيام، أمرت لجنة الشكاوى الانتخابية بتدقيق الأصوات وإعادة عدّها، فوجدت أن نسبة الاقتراع وصلت في بعض مراكز الاقتراع إلى نسبة ١٠٠٪، بل تجاوزت ذلك، كما وجدت أن مرشحاً واحداً حصل على ٩٥٪ من أصوات المقترعين. وفي نهاية تشرين الأول/ أكتوبر أعلنت اللجنة أن ١,٣ مليون صوت مُنح إلى كرزاي بطريقة غير شرعية، وهو ما يقدّر بربع أصوات جميع الناخبين.

ففي دولة تعمل فيها السياسة من خلال نظام إثني وطائفي وقبلي؛ إذ ينظم سماسرة مراكز قوى الدعم والمساندة للمرشح مقابل مناصب وأموال وسلطة، فالملا يمكن أن يجعل كل قبيلته تقترع لمصلحة مرشح معين. فالرئيس كرزاي كان هو المرشح المفضل في حزام قبائل البشتون الإثنية التي تمتد عبر ١٢ منطقة في أفغانستان؛ أي: ثلث أفغانستان. ولكن لأن التمرّد في هذه المنطقة في ذروته فإن جميع المشكلات الرئيسة تتركّز هناك.

مصطلح الحرب وفقاً للضرورة؛ ذلك الشعار الذي أطلقه الرئيس أوباما خلال فصل الصيف، قد يكون هو السبيل إلى الخروج من نزاع استمر ثماني سنوات

أوباما



كرزاي

وعد د. عبدالله في إطار برنامجه الانتخابي بإحياء المساعدات الخارجية، وتركيزها في التنمية الأساسية، ومحاربة الفقر والبطالة، وكبح الفساد المستشري

ومن الخطورة بمكان إرسال مراقبين للإشراف على الانتخابات.

كما أن بعض الداعمين لجميع المرشحين قد استغلوا الفرص التي يمتلكونها للتأثير في نتائج الاقتراع بدرجات متفاوتة، سواء باستخدام المال، أم باستخدام وسائل العنف، أم بالتحكم في الانتخابات المحلية والجهازين الحكومي والأمني. وكان كثير من داعمي كرزاي موظفين حكوميين وأمنيين. وتبع ذلك جولة أخرى بين المتنافسين الرئيسين بعد ضغوط قوية مارسها الحلفاء والولايات المتحدة الأمريكية في السابع من تشرين الثاني/ نوفمبر.

وفي هذه المرحلة الحرجة من العملية الانتخابية حدث انشقاق على أعلى المستويات في هيئة الأمم المتحدة المشرفة على الانتخابات بين مديرها النرويجي كاي إيدي ونائبه الأمريكي بيتر جالبريث. وقد خاطب السيد جالبريث بان كي مون - الأمين العام للأمم المتحدة - برسالة تتّسم بالنقد الحادّ نُشرت علناً بعد بضعة أيام على صفحات صحيفة الـ(نيويورك تايمز)، فقرّر الأمين العام استدعاء جالبريث ورئيس مجلسه الاستشاري إلى جلسة بإشراف الأمين العام، وقال فيجاي نامبيار: إنه يوجد مجال لخلافات شريفة في الرأي بصدد مقاربة قضية ما، ولكننا نتوقع من أعضاء الفريق أن يتحركوا بأسلوب واحد.

وفي أول تشرين الثاني/ نوفمبر أعلن الدكتور عبدالله عبدالله المنافس الرئيس لكرزاي انسحابه من خوض الجولة الثانية؛ لأن طلبه بتغيير رئيس لجنة الانتخابات والموظفين الذين عيّنهم السيد كرزاي لم يتم تلبيته. وأضاف في مؤتمر صحفي: لذلك لا يمكن إجراء انتخابات شفافة. وهذا الأمر أثار قلق الدبلوماسيين؛ لأن رفض الدكتور عبدالله خوض الجولة الثانية من الانتخابات قد يتسبّب بأحداث عنف، لكنه في آخر المطاف لم يتّخذ أيّ خطوة.

أما الدكتور عبدالله، البالغ من العمر ٤٨ سنة، وهو طبيب عيون، فقد دعمته معظم المعارضة التي تطلق على نفسها الجبهة القومية (الوطنية). فهو قد اشترك في المقاومة ضد السوفييت وضد طالبان، وكان على صلة وثيقة بقائد المقاومة المشهور أحمد مسعود، وعمل وزير خارجية في عهد كرزاي حتى عام ٢٠٠٦م. وقد شرع في الدعاية لحملته الانتخابية قبل شهر واحد من إجراءات الانتخابات الرئاسية. ورفض عرضاً بأن يصبح



صورة الولايات المتحدة الأمريكية تعاني نكسة بسبب طائرات الـ(إف ١٦) وحوّامات الأباتشي التي يقودها إسرائيليون لإلقاء القنابل على ملايين الفلسطينيين

مرشحاً لنائب الرئيس، مبدياً شكوكه في أن الرئيس ينفّذ سياسة (فرّق تسُد) التي أحدثت استقطاباً في أفغانستان.

وفي إطار برنامجه الانتخابي وعد د. عبدالله بإحياء المساعدات الخارجية، وتركيزها في التنمية الأساسية، ومحاربة الفقر والبطالة، وكبح الفساد المستشري. كما أعلن في حملته الانتخابية أنه سيعمل على تحويل السلطة من سلطة تتركز في أيدي الرئيس إلى نظام برلماني.

أما الصحفيون والدبلوماسيون فكانوا يتحدثون سراً بأن د. عبدالله سوف ينسحب؛ لأن موارده المالية نفدت، والدعم الدولي له ابتداءً من إيران قد انتهى. ومع مغادرة د. عبدالله المشهد فإن المجتمع الدولي سوف ينظر إلى النية الحسنة التي يبديها كرزاي للتعاون مع معارضيه عبر الجماعات الطائفية والإثنية. وينتظر الزعماء الغربيون ما سيقوم به كرزاي، وتفعيله الأداء الحكومي.

معقل فساد

وقد صنّفت دراسة أُجريت حديثاً أفغانستان بأنها ثاني أشهر دولة بالفساد في العالم. وقد أجرت هذه الدراسة منظمة الشفافية الدولية، وهي منظمة تتعقّب الفساد في جميع أنحاء العالم. وكان أحد ينابيع نتائج هذه الدراسة مؤسسة بيرتلسمان الألمانية German Bertelsmann Foundation، التي قالت: «إن الحكومة موسومة بفكرة الرعاية والفساد... فالفساد منتشر في جميع مؤسسات الدولة (الشرطة، والجهاز القضائي)، وينظر إليه كشكل اعتيادي من عملية تجارية... كما أن الفساد مرتبط بتجارة المخدرات. وبذلك، فإن الرشوة تُستثمر على نطاق واسع لتقويض الجهود التي تبذل لمكافحة

صنّفت دراسة أجريت حديثاً أفغانستان بأنها ثاني أشهر دولة بالفساد في العالم. وقد أجرت هذه الدراسة منظمة الشفافية الدولية، وهي منظمة تتعقب الفساد في جميع أنحاء العالم

تجارة المخدرات». وهناك مؤسسة بحوث أفغانية مستقلة، هي مراقبة التكامل الأفغانية، سبق أن قالت: «إن شبكات عمل الفساد... انتشرت في الإدارة... كما ازدهرت تجارة البازار؛ إذ يمكن شراء المناصب وبيعها، وكذلك التأييد والخدمات».

نكسة الصورة الأمريكية

وفي مقابلة مع قناة (العربية) التلفازية تحدث الرئيس أوباما عن اهتمامه البالغ بتحسين العلاقات مع العالم الإسلامي. ولكن صورة الولايات المتحدة الأمريكية تعاني نكسة كبيرة بسبب



ما بعد الانتخابات في أفغانستان: بداية جديدة

وقد ذكرت صحيفة (نيويورك تايمز) أنه يبدو أن كل شيء معروض للبيع: وظائف القطاع العام، والوصول إلى الخدمات الحكومية، بل حتى حرية الإنسان. أما أخبار الـ(بي بي. سي)، فقد أدرجت قائمة بالرشوة، وشراء المناصب، ومحاباة الأقارب، والمحسوبية، والتبعية، والتقدّم وطلب المعاملة التفضيلية في مجالات تشمل القانون، والمنازعات حول الأراضي، والضرائب.

وبعيداً من الاعتبارات الجيوبولتيكية للفساد والأمن، فهناك مهمة ضخمة، هي تجارة الأفيون؛ فالأفيون الأفغاني يقتل مئة ألف شخص كل سنة، ويُزوّد به ١٥ مليون مدمن، ويموّل الإرهاب الدولي.

طائرات الـ(إف ١٦) وحوّامات الأباتشي التي يقودها إسرائيليون لإلقاء القنابل على ملايين الفلسطينيين؛ مما أعطى القاعدة دعاية كبيرة. وفوق ذلك تآكل الإجماع عقب إخفاق الانتخابات في أفغانستان الذي هيّأ نصراً عظيماً للقاعدة. وقد شهد عام ٢٠٠٩م، وبخاصة خلال الأسابيع التي سبقت الانتخابات، أسوأ مستوى من العنف في البلاد منذ الغزو في عام ٢٠٠١م. وفي نهاية رمضان الماضي، أرسل الملا عمر رسالة إلى قواته يقول فيها: «النصر قريب، فابقوا متحدّين». ثم خاطب أسامة بن لادن أوربا قائلاً: «الأمريكان على وشك المغادرة... لذلك اخرجوا قبلهم».

البيروفي ماريو فارجاس يوسا يفوز بجائزة نوبل للأدب لعام ٢٠١٠م

أعلنت الأكاديمية السويدية في التاسع من أكتوبر عام ٢٠١٠ م، على موقعها الإلكتروني، فوز الأديب البيروفي ماريو فارجاس يوسا بجائزة نوبل للأدب لعام ٢٠١٠م، ليكون ثاني أديب من أمريكا اللاتينية يحصل على الجائزة بعد الكولومبي جارسيا ماركيز.

وُلد فارجاس في منطقة أريكويبا في بيرو، ونشأ في بوليفيا في ظلّ رعاية جدّه وجدّته بعد طلاق والديه، وانتقلت عائلته إلى بيرو في عام ١٩٤٦م حيث التحق بالمدرسة العسكرية، ثم انتقل إلى دراسة الأدب والقانون في ليما ومدريد.

عمل فارجاس مدرساً للّغة عقب انتقاله إلى باريس في عام ١٩٥٩م، كما عمل صحفياً في وكالة فرانس برس، وفي خدمة (التلفزيون الوطنية) في فرنسا.

وكان فارجاس أول كاتب من أمريكا اللاتينية يتم انتخابه للأكاديمية الإسبانية عام ١٩٩٤م؛ إذ احتلّ مقعده عام ١٩٩٦م. ويُعدّ ماريو فارجاس من أشهر الأدباء في البلدان الناطقة بالإسبانية، إضافةً إلى أنه خاض تجربة الانتخابات الرئاسية في بلاده عام ١٩٩٠م، لكنه خسرها أمام ألبرتو فوجيموري.

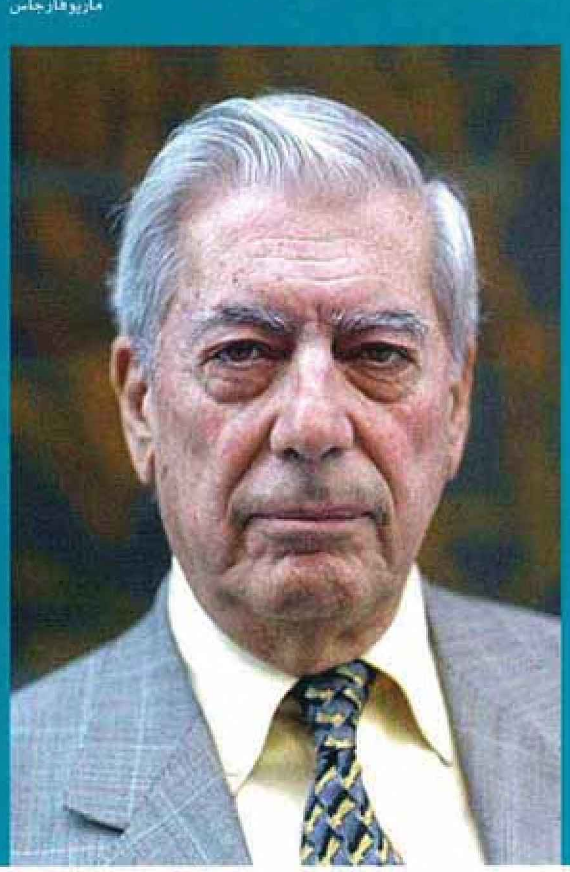
كتب الروائي البيروفي أكثر من ٣٠ عملاً أدبياً متنوعاً بين رواية ومسرحية ومقالة. ومن أعماله المهمة: محادثة في كاتدرائية، والبيت الأخضر. كما فاز بجائزة سرفانتس، وهي واحدة من أرقى الجوائز في الدول الناطقة بالإسبانية. وألقى يوسا كثيراً من المحاضرات في عدد من الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا الجنوبية، وأوربا. وجاء في حيثيات منح يوسا - صاحب الـ٧٤ عاماً - الجائزة أن «أعماله عكست صور السلطة وتمرّد الفرد ومقاومته وهزيمته».

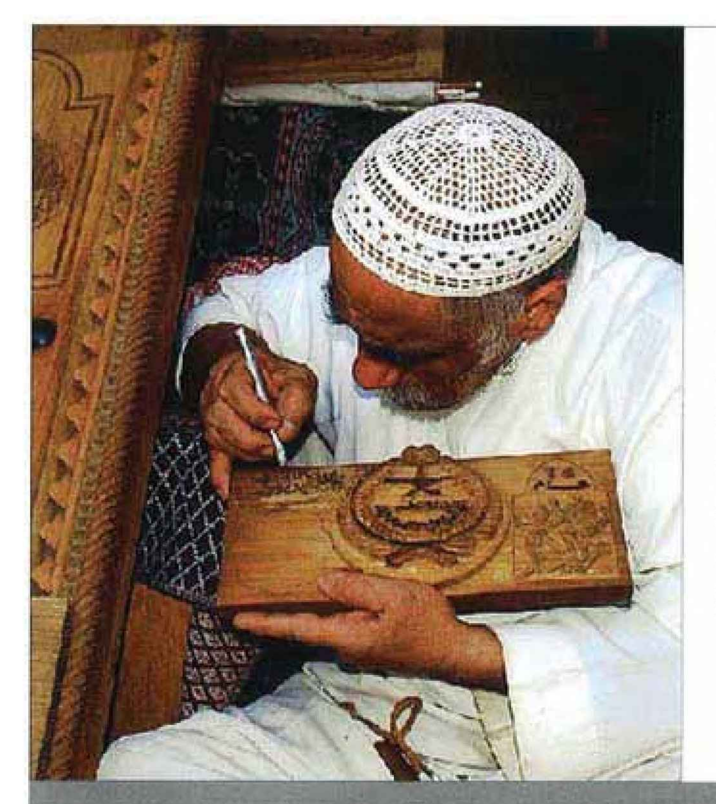
وينتقد يوسا كثيراً شخصية الفرد الأمريكي، وهو يعني بذلك مواطني القارتين الأمريكيتين، ويصفه بأنه يعدّ نفسه (سوبرمان)؛ لأنه ينتهك حريات الآخرين حول العالم. وفي حديث له يقول: «إن وظيفة الكاتب في أمريكا اللاتينية اجتماعية؛ فالأدب مسؤولية وثورة، لكن وظيفته في دول العالم المتقدم جمالية وأدبية؛ فهي تركّز في إغناء الثقافة فقط».

وقد تأثر يوسا في أعماله بالروائي الأمريكي وليام فوكنر؛ إذ يقول في ذلك: «إن تأثير فوكنر في أعمالي كبير جداً، ولا يوجد كاتب من أمريكا اللاتينية من جيلي لم يتأثر بشكل مباشر بفوكنر».

وتنشر الفيصل في عددها المقبل ملفاً شاملاً عن ماريو فارجاس يوسا.

ماريو فارجاس





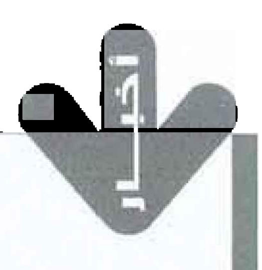
أسبوع ثقافي سعودي في الصين

افتتح في بكين معرض ثقافي يجمع بين عناصر التراث السعودي والخط العربي والثقافة الشعبية والفن الحديث والملابس التقليدية في المملكة وغيرها من كلّ أنواع الفنون، مستهلاً فعاليات (الأسبوع الثقافي السعودي لعام ٢٠١٠م) في الصين. وأقيم حفل افتتاح المعرض في متحف الفن العالمي بنصب الألفية الصينية بحضور نخبة من كبار المسؤولين في البلدين. وتشمل أنشطة الأسبوع الثقافي السعودي عروضاً فنية، ورقصات، وعروضاً للأفلام السعودية الحديثة.

دارة الملك عبدالعزيز تنظّم المعرض الأول للمخطوطات في الرياض



نظّمت دارة الملك عبدالعزيز خلال شهر شوال الماضي تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - أمير منطقة الرياض، ورئيس مجلس إدارة الدارة - المعرض الأول عن المخطوطات تحت عنوان: (تراث المملكة العربية السعودية المخطوط) بمشاركة عدد من الوزارات والمؤسسات الحكومية والمكتبات الخاصة في المملكة العربية السعودية وخارجها. وشارك في المعرض ٦٥ مؤسسة وفرداً. واستمر مدة شهر ونصف الشهر. عُرض من خلاله أكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة في مختلف العلوم والمعارف. منها مخطوطات في العلوم الشرعية، واللغوية، والأدبية، ومخطوطات في علوم التاريخ، والفلك، والجغرافيا، وغيرها.



وفاة عدد من الأدباء والمفكّرين منهم الوزير الأديب غازي القصيبي

توفي يوم الأحد ٥ رمضان سنة ١٤٣١هـ/ ١٥ أغسطس عام ٢٠١٠م الأديب والوزير والدبلوماسي غازي القصيبي عن عمر ناهز السبعين عاماً بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان.

وقد تقلّد القصيبي مناصب حكومية كثيرة؛ منها: وزارة الصحة والمياه والكهرباء، ووزارة العمل التي كانت آخر منصب وزاري له، وعمل سفيراً للمملكة العربية السعودية في بريطانيا.

وُلد القصيبي في بيئة «مشبعة بالكآبة» كما وصفها هو في اليوم الثاني من شهر مارس عام ١٩٤٠م، توفيت والدته بعد تسعة أشهر من ولادته، وقبل ولادته بقليل كان جدّه لوالدته قد توفي أيضاً، وإلى جانب هذا كلّه كان بلا أقران أو أطفال في عمره يؤنسونه.

ويقول القصيبي: إنه ترعرع في ذلك الجوّ متأرجحاً بين قطبين: أولهما أبوه الذي كان يتّسم بالشدة والصرامة، وثانيهما جدّته لأمه، التي كانت تتّصف بالحنان المفرط والشفقة المتناهية على الصغير اليتيم.

وقد نال القصيبي ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٦١م، ثم حصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا، ثم عاد إلى الرياض عام ١٩٦٤م. وفي عام ١٩٦٧م غادر نحو لندن ليحضّر الدكتوراه هناك، وكتب رسالته حول حرب اليمن، ثم عاد إلى الرياض في عام ١٩٧١م ليبدأ مشواره العملي، ويصل إلى مجلس الوزراء بعد أربع سنوات في التشكيل الوزاري الذي صدر عام ١٩٧٥م.

وأصدر القصيبي نحو ٢٠ كتاباً ورواية، فضلاً عن كمّ كبير من المشاركات الكتابية والمحاضرات وغيرها.

وتوفي المفكر محمد أركون يوم ٥ شوال الماضي الموافق ١٤ سبتمبر عام ٢٠١٠م في العاصمة الفرنسية باريس عن عمر ناهز ٨٢ عاماً بعد معاناة مع المرض.

وأركون هو مفكّر وباحث جزائري من مواليد عام ١٩٢٨م في بلدة تاوريرت في تيزي أوزو بمنطقة القبائل الكبرى الأمازيغية بالجزائر، وانتقل مع عائلته إلى بلدة عين الأربعاء (ولاية عين تموشنت)، فنال دراسته الابتدائية بها، وأكمل دراسته الثانوية في وهران، وبدأ دراسته الجامعية بكلية الفلسفة في الجزائر، ثم أتمّ دراسته في السوربون بباريس، وحصل على شهادة الدكتوراه في الآداب، كما درّس في عدة جامعات في أوربا وأمريكا والمغرب، واهتمّ بدراسة الفكر الإسلامي وتحليله.

وأركون عضو اللجنة الوطنية لعلوم الحياة والصحة في فرنسا، وعضو عدة لجان أخرى. ومن آرائه إعادة قراءة القرآن برؤية عصرية، وتجريده من القداسة التي تعيق دراسته، وهو ما جعله عرضةً لانتقادات التيارات الأصولية.


عبد الصبور شاهين — محمد أركون — غازي القصيبي



كما رحل عن عالمنا يوم الأحد ١٧ شوال الماضي الموافق ٢٠١٠/٩/٢٦م الكاتب والمفكر الإسلامي د. عبدالصبور شاهين عن عمر ناهز ٨٢ عاماً، وكان الراحل يعمل أستاذاً متفرغاً في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ويعدّ أحد أشهر الدعاة المسلمين.

شغل المفكر الراحل كثيراً من المناصب، أخرها منصب أستاذ في قسم الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة الملك فهد، وشغل عضوية مجلس الشورى في مصر، وكان الفقيد خطيباً لمسجد عمرو ابن العاص في القاهرة.

وُلد عبدالصبور شاهين عام ١٩٢٨م في حيّ الإمام الشافعي، وحفظ القرآن الكريم كاملاً في أحد الكتاتيب ولما يبلغ السابعة من عمره. وبعد انتهاء دراسته الابتدائية في المدرسة الإلزامية في سنّ الحادية عشرة التحق بالأزهر الشريف، وتابع دراسته الجامعية في كلية دار العلوم التي تخرج فيها عام ١٩٥٥م، ثم عمل معيداً في الكلية نفسها، ونال شهادة الدكتوراه عن القراءات الشاذة في القرآن الكريم.

وتوفي إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين ١٤٣١/٥/١٢هـ الأستاذ الدكتور عبده علي الراجحي، وشُيّع جثمانه في مدينة الإسكندرية المصرية.

وُلد الدكتور الراجحي في أكتوبر عام ١٩٣٧م في محافظة الدقهلية، وحصل على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٥٩م، وعلى الماجستير في العلوم اللغوية من الجامعة نفسها في يونيو عام ١٩٦٣م، ثم على دكتوراه في العلوم اللغوية في يناير عام ١٩٦٧م.

وكان الراحل عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ٢٠٠٣م في المكان الذي خلا بوفاة الدكتور محمود مختار، وعضو اللجنة الدائمة للترقية إلى وظائف الأساتذة بالجامعات المصرية، وعضو اتحاد الكتاب المصري، وعضو لجنة الأدب واللغة بالمجلس الأعلى للثقافة المصرية، وعضو لجنة تحقيق التراث بالمجلس الأعلى للثقافة المصرية.

افتتاح أكبر متحف إسلامي في قلب القاهرة

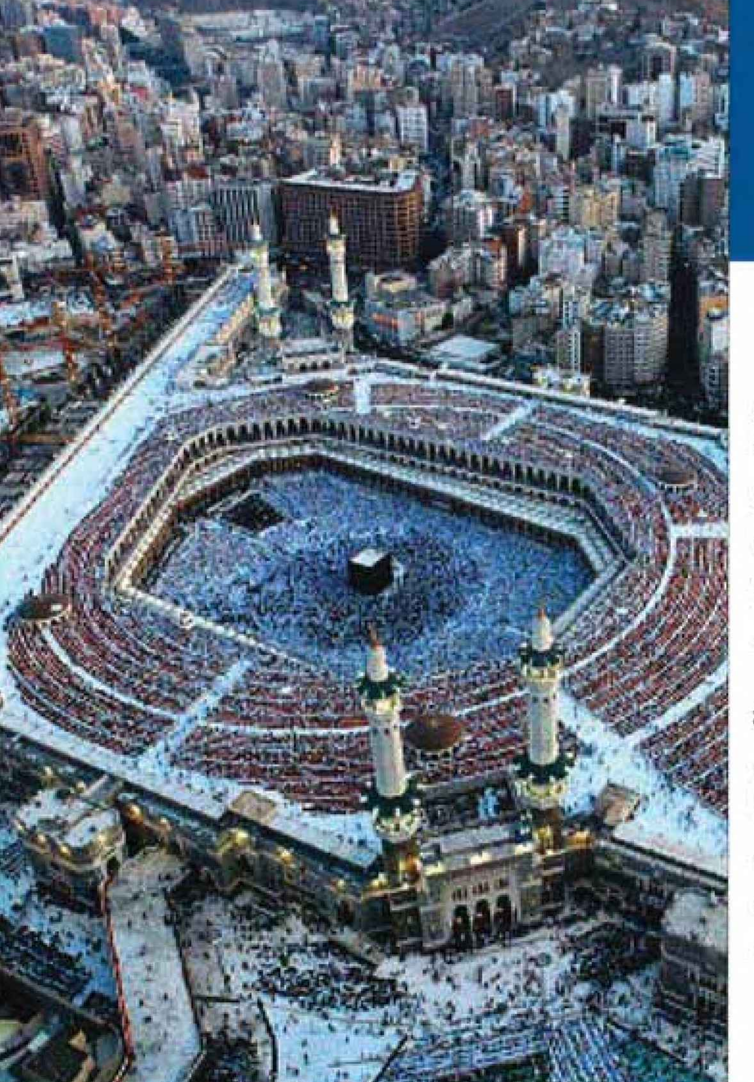
افتتح الرئيس المصري محمد حسني مبارك مؤخراً المتحف الإسلامي بعد تطويره، ويعدّ هذا المتحف الأكبر من نوعه عالمياً، ويقع في ميدان باب الخلق في وسط القاهرة، وفي داخله ذخائر الفنون الإسلامية من بقاع الأرض شتى على مرّ العصور. ووُضع حجر أثاث المتحف في ٢٨ ديسمبر عام ١٩٠٣م، وكان اسمه أنذاك (دار الآثار العربية)، وقد تمّ تجميع كل هذه التحف في الإيوان الشرقي من جامع الحاكم. وفي عام ١٩٥٢م تم تغيير اسمه إلى (متحف الفن الإسلامي)؛ لأن القطع الأثرية التي يضمها لم تكن عربية فقط، بل تمتد إلى بلاد أخرى، بداية من سمرقند إلى الأندلس. ومن أبرز المقتنيات بين القطع المعروضة في المتحف إبريق آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، وهو مصنوع من البرونز، ويبلغ ارتفاعه ٤١ سنتمتراً، وقطره ٢٨ سنتمتراً، ويعود إلى سنة ١٣٣ هجرية، ويعدّ هذا الإبريق من أهم مقتنيات المتحف الإسلامي.



عدد جديد من مجلة الجوبة وملف عن المجلات الثقافية

صدر العدد الثامن والعشرون من مجلة الجوبة الثقافية مشتملاً على ملف خاصّ عن المجلات الثقافية (قراءة في أزمة القراءة)، شارك فيه عدد من الكتّاب والمفكّرين. وتناول الأستاذ إبراهيم ابن موسى الحميد - المشرف العام على المجلة - المجلات الثقافية ودورها، مع إضاءات على تجربة مجلة الجوبة.

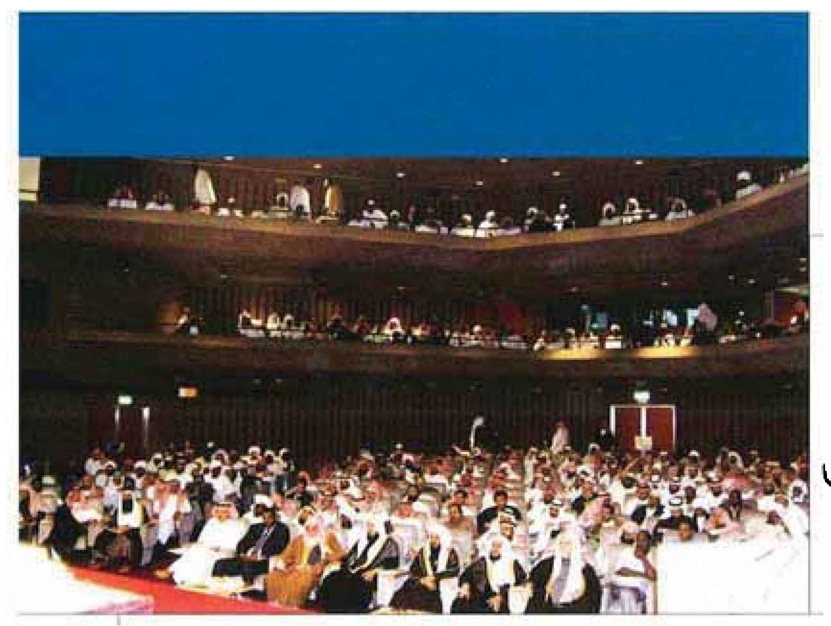
الجدير ذكره أن الجوبة مجلة ثقافية تصدر كل ثلاثة أشهر ضمن برنامج النشر ودعم الأبحاث في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية في منطقة الجوف.



فنانو ٢٢ دولة تنافسوا على تجميل مكة المكرمة بـ٦٠٣ أعمال فنية

انتهى الحفل الختامي للمسابقة الإسلامية الأولى التي كان قد أعلن عنها الدكتور أسامة بن فضل البار - أمين العاصمة المقدسة، المشرف العام على المسابقة الإسلامية الأولى لتجميل مكة المكرمة-. وتنافس في هذه المسابقة فنانو ٢٢ دولة على تجميل مكة المكرمة بـ٦٠٣ أعمال فنية تشكيلية شاركت في المسابقة التي قام برعايتها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - أمير منطقة مكة المكرمة - تحت شعار (بحبّ مكة نلتقي).

وبلغ عدد المسجلين في المسابقة ٤٤٢ متسابقاً؛ إذ وصلت إلى اللجنة ٦٠٣ أعمال فنية، تم استبعاد ١٥٣ عملاً لعدم مطابقتها، موضحاً أن جنسيات الفنانين المشاركين في المسابقة شملت كلاً من: السعودية، واليمن، وقطر، والعراق، والمغرب، والجزائر، وتركيا، وإيران، ولبنان، والأردن، وفلسطين، وسورية، ومصر، وموريتانيا، والصومال، والسودان، وباكستان، وماليزيا، والصين، والهند، وإيطاليا، والولايات المتحدة الأمريكية.



النشاط الثقافي لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية خلال شهر أكتوبر

شهد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ضمن نشاطه الثقافي عدداً من المحاضرات في شهر أكتوبر ٢٠١٠م. بدأت بمحاضرة للأستاذ بول دينق شول - رئيس جامعة ملكال بجنوب السودان - بعنوان: (الجنوب السوداني من الفيدرالية إلى تقرير المصير) يوم ٥ أكتوبر عام ٢٠١٠م. قدّم المحاضر تعريفاً للفيدرالية كأسلوب للحكم ومنهج للإدارة تنتقل بموجبه السلطة من المركز إلى الوحدات الجغرافية الأصغر. مؤكداً أن إهمال الأحزاب الشمالية للجنوب في غمرة الصراع السياسي أدى إلى إحساس الجنوبيين بالظلم، فانفجر أول تمرّد في ١٨ أغسطس عام ١٩٥٥م، وخمدت الدعوة إلى الفيدرالية بقيام انقلاب ١٧ نوفمبر عام ١٩٥٨م. وعن دعوات تقرير المصير ذكر المحاضر محاولة حكومة أكتوبر الشعبية، وعقدها مؤتمر المائدة المستديرة في مارس عام ١٩٦٥م، وعرضها خيارات الوحدة مع الشمال والحكم الذاتي والنظام الفيدرالي والانفصال. ثم تجدّدت الدعوة إلى تقرير المصير عام ١٩٨٣م، وجاء أول اتفاق ضمني له في عام ١٩٩٢م في فرانكفورت في ألمانيا، ثم جاءت رسالة أبيل ألير المفتوحة لحكومة الإنقاذ والقوى السياسية الأخرى في أكتوبر عام ١٩٩٥م، ثم مؤتمر أسمرا والإيقاد عام ١٩٩٤م. وأجاب المحاضر عن سؤال: لماذا الدعوة إلى وحدة السودان؟ ولخّص ذلك في نقاط سبع، ثم أخذ في تجلية مثالب الانفصال في نحو ١٧ نقطة، وعرّج على أشواك تقف في طريق الاستفتاء النزيه؛ منها: مجاهرة الحركة الشعبية بالدعوة إلى الانفصال بتنظيم مظاهرات شهرياً، واستباق نتيجة الاستفتاء بإعداد النشيد الوطني.

وتوالت بعدها المحاضرات، فقدّم الدكتور كريستيان روبن، الفرنسي الجنسية، محاضرةً بالتعاون مع سفارة فرنسا في الرياض بعنوان: (أبرهة من الأسطورة إلى التاريخ) يوم ١٤٣١/١١/٨هـ الموافق ٢٠١٠/١٠/١٦م. والمحاضر حاصل على الدكتوراه في الآداب من فرنسا، ومتخصّص في تاريخ شبه الجزيرة العربية منذ العصور القديمة إلى القرون الأولى للإسلام، وقد نشر كتاباً عن النقوش في جنوب الجزيرة العربية، كما أصدر عدداً من المؤلفات؛ منها: الأراضي المرتفعة لشمالي اليمن قبل الإسلام، والنقوش الجديدة، ونقوش جنوبي المملكة، وخارطة لليمن القديم.

وتلتها محاضرة للأستاذ عبدالعزيز بن عثمان بن صقر، الحاصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة كنت في كانتربري، الذي قام بنشر عدد من الكتب والدراسات والبحوث، وكانت المحاضرة بعنوان: (العلاقات الخليجية الإيرانية والدور الأمريكي: الوضع الراهن وآفاق المستقبل)، يوم ٢٠١٠/١٠/١٨م.

أما الدكتور ميشيل توشيرير - مدير المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية في صنعاء، والحاصل على الدكتوراه من جامعة بروفنس في فرنسا عام ١٩٨٥م، وصاحب عدد من المؤلفات؛ منها: الأئمة والأعيان والبدو في اليمن في القرن ١٨م، وخلاصة المسجد من حوادث الشريف محمد بن أحمد - فجاءت محاضرته يوم ٢٠١٠/١٠/٢٥م بعنوان: (تجارة البن في الجزيرة العربية ما بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين).



في ضوء (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي

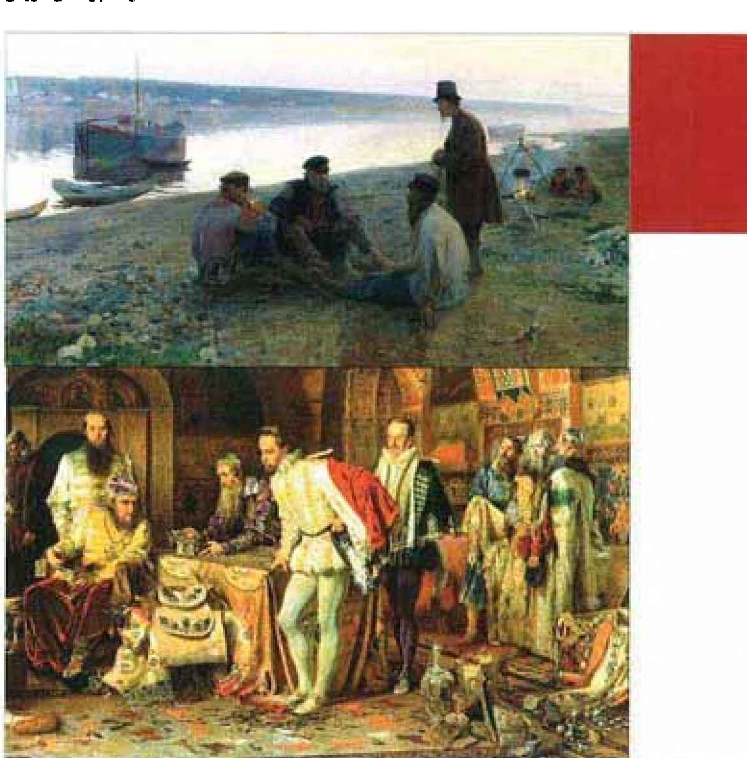
عمر شعار
موسكو - روسيا

من هم الروس؟ هل ينتمون عرقياً إلى القبائل النورماندية الجرمانية؟ وما علاقتهم بالقبائل السلافية (الصقالبة) أو القبائل السكيفية ذات الأصول الإيرانية؟

حول هذه الأسئلة وغيرها من الاحتمالات تدور حوارات حامية الوطيس في أوساط المؤرخين الروس والأجانب المتخصصين في تاريخ شعوب أوربا الشرقية منذ ثلاثة قرون حتى وقتنا الراهن. وتتضمن هذه الحوارات - بلا شك - إسقاطات فكرية ودينية وسياسية وجيوبوليتيكية تبرز بشكل حادّ على السطح السياسي الروسي في المراحل التاريخية الانعطافية في سياق الإجابة عن السؤال الكبير: هل الدولة الروسية تنتمي حضارياً إلى الحضارة الأوربية الغربية أو إلى الحضارة الآسيوية الشرقية؟.

وللدلالة على أهمية موضوع أصول الروس وحساسيته في وقتنا الراهن تكفي الإشارة إلى أن صحيفة الإزفيستيا الروسية المعروفة أفردت له صفحتها الرئيسة الأولى بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٧م. تخلّلها حوار مطوّل مع الأكاديمي ساخاروف مدير معهد تاريخ روسيا التابع لأكاديمية العلوم الروسية.

أسئلة حائرة حول أصل الروس



سلافية أم نورماندية؟

تبنّت الجهات الرسمية الروسية في العهود القيصرية النظرية (النورماندية)، معتمدةً في ذلك على مخطوطة (رواية الأعوام السالفة)، التي كتبها القس نيستور في نهاية القرن الثاني عشر، وأكد فيها أن الروس هم مجموعة من قبائل (الفارياغ) النورماندية الجرمانية الشمالية التي سيطرت بقيادة زعيمها (ريوريك) في بداية القرن العاشر الميلادي على القبائل السلافية (الصقالبة) المتناحرة المستوطنة في حوض نهر الدنيبر، وأن (الروس الفارياغيين) أدوا دوراً أساسياً في تشكيل دولة (كييف الروسية) القديمة. وشكلوا فيها لاحقاً النخبة الحاكمة العليا. ممثلةً في سلالة (ريوريك) التي حكمت الدولة الروسية حتى نهاية القرن السادس عشر عندما توفي (ديمتري) ابن إيفان الرابع (الرهيب) آخر قيصر من هذه السلالة. ودخلت الدولة الروسية على إثر ذلك في مرحلة الفتنة (سموتا). وفي عام ١٦١٣م انتقل زمام السلطة في الدولة الروسية إلى أسرة (رومانوف) القيصرية[1].

في منتصف القرن الثامن عشر، وعلى إثر تشكّل الإمبراطورية الروسية. تأسست النظرية (السلافية) على أيدي العالم الروسي الموسوعي لومونوسوف. الذي رفض النظرية (النورماندية). وأكد الأصول التاريخية السلافية لروسيا، معبّراً بذلك عن بداية بزوغ الشعور القومي السلافي. وطموح الدولة الروسية لتزعّم الشعوب السلافية. خصوصاً الأرثوذكسية. في مواجهة الدول الأوربية الغربية والإمبراطورية العثمانية. وقد ازدهرت النظرية (السلافية) القومية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وأصبحت سائدةً في أوساط المثقفين والسياسيين الروس. وحظيت بتأييد قويّ من الكنيسة الروسية الأرثوذكسية.

تبنّى الشيوعيون في العهد السوفييتي النظرية (السكيفية). ومضمونها أن الروس والسلاف ينتمون إلى القبائل السكيفية



هل للروس أصول إيرانية؟

والسارماتية ذات الأصول الإيرانية التي كانت تقطن في جنوب أوكرانيا على السواحل المطلة على البحر الأسود في الألف الأولى قبل الميلاد التي ذكرها هيرودوت في كتاباته التاريخية. وبذلك أراد الشيوعيون السوفييت أن يربطوا الروس بالشعوب المحلية القديمة. ورفضوا بشدة مقولة (الروس الفارياغيين) الوافدين إلى منطقة حوض نهر الدنيبر. ويعدّ الأكاديمي السوفييتي ريباكوف أبرز ممثّلي النظرية (السكيفية)[10].

في مرحلة البيروسترويكا، وعلى إثر إشاعة الحريات



فيما يتعلق بجغرافية أوربا الشرقية وتاريخ شعوبها توجد في الأدبيات الجغرافية العربية الإسلامية عدة مدارس، أهمها مدرستا العالمين الجغرافيين البلخي والجيهاني

الديمقراطية ورفع القيود عن حرية الفكر، ظهرت آلاف الدراسات المرسّخة لهذا الموضوع التي تتمحور حول وجهتي النظر الأساسيتين: (النورماندية) التي يتبنّاها ممثّلو التيار الليبرالي التغريبي، و(السكيفية) التي يدافع عنها ممثّلو التيارات القومية والشيوعية.

ما علاقة المسعودي بالموضوع؟

بعد هذا العرض الموجز للخلفية التاريخية والسياسية لهذه الإشكالية يبرز السؤال الآتي: ما علاقة المسعودي بهذا الموضوع الشائك؟ الإجابة عن هذا السؤال تنحصر في أن أغلب المؤرخين الروس يستشهدون بأعمال المؤرخين والرحّالين العرب المسلمين، خصوصاً (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي الذي زار المنطقة في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي.

تتميز المنطقة التي شهدت ولادة دولة (كييف الروسية القديمة) في القرن العاشر الميلادي بوضعية جغرافية فريدة من نوعها: فهي شبه مغطاة بالغابات، ومملوءة بالبحيرات والمستنقعات والأنهار الصغيرة والمتوسطة، وفيها تجري ثلاثة أنهار كبرى: الفولغا (أتيل)، والدنيبر، ودفينا الغربي، تتصل معاً من خلال المنبع من ناحية، وتصبّ في بحار مختلفة. فهذه الأنهار الثلاثة تنبع من منطقة واحدة، هي منطقة الفالداي الواقعة في مقاطعة نوفغراد الروسية، التي تقع شمال غرب موسكو على بعد أربعمئة كيلومتر. وفي هذه المنطقة يقع منبع نهر الفولغا (أتيل) الذي ينحدر نحو الشرق ثم ينعطف نحو الجنوب ليصبّ في بحر قزوين. ومنها ينبع نهر الدنيبر الذي ينحدر نحو الجنوب ويصبّ في البحر الأسود. وفيها أيضاً يقع منبع نهر دفينا الغربي الذي يتجه نحو الغرب ويصبّ في بحر البلطيق. وبذلك

تبنّى الشيوعيون في العهد السوفييتي النظرية (السكيفية)، ومضمونها أن الروس والسلاف ينتمون إلى القبائل السكيفية والسارماتية ذات الأصول الإيرانية التي كانت تقطن في جنوب أوكرانيا

نلاحظ أن البحار الثلاثة (البلطيق، والأسود، وقزوين) مرتبطة معاً منذ أقدم العصور من خلال الملاحة النهرية في أحواض الأنهار الثلاثة (الفولغا، والدنيبر، ودفينا الغربي). وهذا الواقع الجغرافي يجب أخذه في الحسبان عند دراسة مسألة أصول الروس وعلاقاتهم مع شعوب المنطقة وقبائلها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

تعود الأهمية التاريخية الاستثنائية لما كتبه المؤرخ والجغرافي العربي الكبير المسعودي في عمله المشهور (مروج الذهب ومعادن الجوهر) عن شعوب أوربا الشرقية إلى كون المصادر التاريخية المكتوبة المتعلقة بشعوب أوربا الشرقية نادرة جداً، وتنقسم إلى مجموعتين:

الأولى: ما ورد في أعمال المؤرخين والجغرافيين والرحّالين العرب المسلمين.

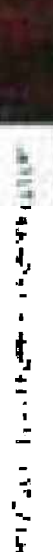
الثانية: الكتابات والوثائق البيزنطية، خصوصاً وثائق الكنيسة اليونانية.

لماذا ندرة المصادر؟

وتنحصر أسباب ندرة المصادر التاريخية المكتوبة المتعلقة بشعوب أوربا الشرقية في الألف الميلادية الأولى في أمرين:

الأول: أن أغلبية شعوب أوربا الشرقية في تلك المرحلة، باستثناء شعوب اللان، ومملكة السرير، والأرمن، والخزر، والبُلغار، لم تكن تمتلك في ذلك الحين كتابة خاصة بها؛ لذلك لم يكن لديها مصادر تاريخية مكتوبة. ويتوجب أن نشير هنا إلى أن إمارة كييف الروسية اعتمدت الأبجدية الكيريلية بعد أن اعتنقت المسيحية رسمياً في نهاية الألف الأولى الميلادية (عام ٩٨٨م). أما قبل هذا التاريخ، فلا تتوافر معلومات عن طبيعة الأبجدية التي كانوا يكتب بها الروس. ويحتمل أن بعض الشعوب كان لديها أبجدية ومصادر تاريخية مكتوبة خاصة بها، ولكنها أتلفت وتعرّضت للدمار. وهذا الأمر وارد إذا أخذنا في الحسبان الأمر الثاني، وهو أنه في الألف الميلادية الأولى شهدت منطقة شرق أوربا حروباً تدميرية متوالية نتيجة ما يطلق عليه المؤرخون عصر (هجرات الشعوب الكبرى) التي جرت في تلك المرحلة، والمقصود بذلك هو زحف قبائل الجرمان من شمال أوربا إلى

اهتم الفنانون بتصوير حياة القياصرة الروس



جنوبها وشرقها. ومن ضمنها زحف قبائل القوط إلى شرق أوربا في القرنين الثالث والرابع الميلاديين. ثم هجرة قبائل الهون في القرنين الرابع والخامس الميلاديين من أقاصي آسيا إلى شرق أوربا، وتمركزهم في [illegible] المنطقة، ثم هجرات القبائل التركية المتوالية على مدى النصف الثاني من الأ[illegible] الأولى الميلادية من أواسط آسيا (القبائل التركية الغربية، وقبائل البجناك، والقفجاق، وغيرها)، التي تمركزت أيضاً في شرق أوربا التي كانت في تلك المرحلة منطقة عبور واستيطان من الشرق إلى الغرب، والعكس. وقد ترافقت عمليات هجرات الشعوب المتوالية التي ذكرناها مع حروب تميّزت بطابع الإبادة، ودمج الشعوب، والتدمير الشامل للكيانات السياسية القديمة كافةً، ونشوء كيانات سياسية جديدة اتّسمت بتدمير الأوابد الحضارية القديمة، ومن ضمنها الوثائق والكتابات التاريخية. ونتيجة عمليات الهجرة هذه كان تركيب سكان شرق أوربا في نهاية الألف الميلادية الأولى متنوعاً جداً وبالغ التعقيد.

العرب في أوربا الشرقية

لقد احتكّ العرب المسلمون بشعوب أوربا الشرقية قبل عملية تشكّل دولة كييف الروسية القديمة بمدة زمنية طويلة نسبياً؛ فقد تعرّف العرب المسلمون أراضي أوربا وآسيا في القرنين السابع والثامن الميلاديين خلال المعارك العسكرية التي خاضوها ضد الدولتين الفارسية والبيزنطية، وضد الخاقانية الخزرية أيضاً. فخلال مدة زمنية قصيرة توسّعت حدود الخلافة العربية الإسلامية وشملت مساحات من قارات آسيا وإفريقية وأوربا امتدت من إسبانيا في الغرب إلى أواسط آسيا في الشرق. ومن ضمنها شعوب ما وراء القفقاس (أرمينية، وجورجيا)؛ إذ

كييف الروسية

تتميز المنطقة التي شهدت ولادة دولة (كييف الروسية القديمة) في القرن العاشر الميلادي بوضعية جغرافية فريدة من نوعها؛ فهي شبه مغطاة بالغابات، ومملوءة بالبحيرات والمستنقعات والأنهار الصغيرة والمتوسطة، وفيها تجري ثلاثة أنهار كبرى: الفولغا (أتيل)، والدنيبر، ودفينا الغربي، تتصل معاً من خلال المنبع من ناحية، وتصبّ في بحار مختلفة. فهذه الأنهار الثلاثة تنبع من منطقة واحدة، هي منطقة الفالداي الواقعة في مقاطعة نوفغراد الروسية، التي تقع شمال غرب موسكو على بعد أربعمئة كيلومتر. وفي هذه المنطقة يقع منبع نهر الفولغا (أتيل) الذي ينحدر نحو الشرق ثم ينعطف نحو الجنوب ليصبّ في بحر قزوين. ومنها ينبع نهر الدنيبر الذي ينحدر نحو الجنوب ويصبّ في البحر الأسود. وفيها أيضاً يقع منبع نهر دفينا الغربي الذي يتجه نحو الغرب ويصبّ في بحر البلطيق. وبذلك نلاحظ أن البحار الثلاثة (البلطيق، والأسود، وقزوين) مرتبطة معاً منذ أقدم العصور من خلال الملاحة النهرية في أحواض الأنهار الثلاثة (الفولغا، والدنيبر، ودفينا الغربي). وهذا الواقع الجغرافي يجب أخذه في الحسبان عند دراسة مسألة أصول الروس وعلاقاتهم مع شعوب المنطقة وقبائلها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

انضوت تحت لواء الخلافة العربية الإسلامية شعوب تنتمي إلى مختلف الأعراق والأجناس. وهيمنت الدولة العربية الإسلامية على معظم الطرق وخطوط المواصلات التجارية التاريخية، ومن ضمنها طريق الحرير العظيم. لذلك برزت أمام الدولة العربية الإسلامية مسألة الاهتمام بالعلوم الجغرافية والتاريخية وتطويرها اعتماداً على المراكز العلمية التي كانت موجودة في المدن التاريخية (الإسكندرية، ودمشق، وطبرستان، وسمرقند، وغيرها). ومع تطور العلوم كافةً في ظلّ الخلافة العربية الإسلامية ازدهرت العلوم الجغرافية والتاريخية.

مدرستان عربيتان

فيما يتعلق بجغرافية أوربا الشرقية وتاريخ شعوبها توجد في الأدبيات الجغرافية العربية الإسلامية عدة مدارس. أهمها مدرستا العالمين الجغرافيين البلخي والجيهاني. ففي أدبيات هاتين المدرستين نجد معلومات جغرافية وتاريخية فائقة الأهمية عن طريق الفولغا – البلطيق التجاري، والأوضاع الاجتماعية للقبائل والشعوب القاطنة في هذه المنطقة، ومن ضمنها الروس والصقالبة (السلاف). ونجد وصفاً لخصائص أوضاعهما الاقتصادية وعاداتهما ومعتقداتهما الدينية.

تميّزت مدرسة البلخي في سلسلة أدبياتها (الممالك والمسالك) باهتمامها بالطرق وخطوط المواصلات التجارية البرية القديمة، ومحدودية معلوماتها الجغرافية عن البحار؛ إذ لم يعرف ممثّلو مدرسة البلخي شيئاً عن وجود البحر الأسود وبحر أزوف. وعوضاً من هذين البحرين يذكرون خليج القسطنطينية الذي كانوا يعتقدون أنه يمتد بشكل مباشر إلى الشمال حتى نهاية العالم.



رسم متخيل لإحدى المعارك الروسية

وحتى بداية القرن العاشر الميلادي كانت المعلومات التاريخية والجغرافية المتعلقة بشعوب أوربا الشرقية محدودة أيضاً في أدبيات مدرسة الجيهاني. ولكن في النصف الأول من هذا القرن توسّعت المعلومات المتعلقة بهذه المنطقة بفضل حدثين مهمين:

الأول: زيارة ابن فضلان منطقة حوض الفولغا التي وصفها في رسالته.

الثاني: زيارة المسعودي منطقة القفقاس في العقد الرابع من القرن العاشر الميلادي.

تكتسب المصادر التاريخية والجغرافية العربية أهمية علمية استثنائية، خصوصاً عمل المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر). ولا تنحصر أهميته في أن مؤلفه يعدّ من أبرز العلماء المؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين، ويتمتع بسمعة علمية عالية المستوى واحترام كبير في الأوساط العلمية العالمية التي تطلق عليه لقب (هيرودوت العرب)، وإنما تمتدّ أهمية عمله إلى أنه لم يكتب في (مروج الذهب) عن شعوب أوربا الشرقية اعتماداً على ما كتبه الآخرون من الجغرافيين والمؤرخين فقط، بل استقى المسعودي معلوماته من خلال تجربته الخاصة بعد أن زار منطقة القفقاس وجال في أرجائها في العقد الرابع من القرن العاشر الميلادي.

المسعودي في أوربا الشرقية

توفي العلامة أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في مدينة الفسطاط بمصر سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م؛ أي: قبيل انهيار خاقانية الخزر وزوالها عن خريطة شرق أوربا بعشر سنوات، وكان قد توجّه إلى شرق أوربا في سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٢م، وأقام فيها عدة سنوات، ثم عاد إلى مصر، وكتب فيها عمله (مروج الذهب

تعرّف العرب المسلمون أراضي أوربا وآسيا في القرنين السابع والثامن الميلاديين خلال المعارك العسكرية التي خاضوها ضد الدولتين الفارسية والبيزنطية، وضد الخاقانية الخزرية

ومعادن الجوهر)[٢]. وبلا شك اطّلع المسعودي على أعمال من سبقه من الرحّالين والجغرافيين العرب المسلمين الذين زاروا المنطقة وكتبوا عنها قبله، ومن ضمنهم ابن فضلان. لكن المسعودي - على عكس ابن فضلان - كان رجل علم، ذا ثقافة موسوعية، ودقيقاً في معلوماته التاريخية والجغرافية، وبعيداً من الآراء الفنتازية غير المسؤولة التي تتميز بها رسالة ابن فضلان، الذي لم يكن سوى رسول الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى ملك البُلغار والصقالبة لتعريف شعبه بأصول الديانة الإسلامية (عام ٩٢٢م)[٣]. وعلى الرغم من أهمية المعلومات التي تحتويها رسالة ابن فضلان إلا أنه مقارنةً بالمسعودي لم يكن رجل علم بالمعنى الواسع؛ لذلك احتوت رسالته كثيراً من الأوصاف والآراء الذاتية الخاطئة، والعبارات غير اللبقة التي لا يستخدمها عادةً رجالات العلم في وصفهم الشعوب الأخرى. أما المسعودي، فقد كان أميناً ودقيقاً في تعبيراته وآرائه، ويحتوي عمله على معلومات جغرافية وتاريخية وأنثروبولوجية ثمينة جداً بعيدة من الذاتية والمبالغة والإثارة المصطنعة.

مروج الذهب

يتألف عمل المسعودي (مروج الذهب) من أربعة أجزاء (إصدار المكتبة العصرية في بيروت، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م). والفقرات المتعلقة بشعوب أوربا الشرقية وردت في الجزأين الأول والثاني. ومع أن المسعودي خصّص لكل شعب من شعوب أوربا الشرقية بنداً خاصاً به، إلا أنه يذكر هذه الشعوب مرة أخرى في سياق الوصف الجغرافي للمنطقة وخلال حديثه عن علاقة هذا الشعب أو ذاك مع الشعوب الأخرى. مثلاً: خصّص المسعودي بنداً للروس وآخر للصقالبة في الجزء الأول، ولكنه يتحدث عنهما مرة أخرى في مواضع أخرى عندما يرد الحديث عن الخزر والبُلغار واللاراسية وغيرهم، ومرة أخرى يذكرهما عندما يتحدث عن المعتقدات الدينية في الجزء الثاني.

في البداية يقدم المسعودي وصفاً جغرافياً للمنطقة، ويبدأ بوصف البحار المتاخمة لأوربا الشرقية: نيطش (نيطس - البحر الأسود)، وبحر مانطش (مايطس - بحر أزوف)، ومضيق البوسفور، والدردنيل، ويسمّيه خليج القسطنطينية؛ إذ يقول: «وبحر نيطش متّصل ببحر مانطش، ومنه خليج القسطنطينية الذي يصبّ إلى بحر الروم وما يتصل به... فبحر نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضاً بحراً واحداً، وإن تضايق البحر في بعض المواضع بينهما»[٤]. وبذلك يؤكد المسعودي أن بحر أزوف (مانطش) متّصل بالبحر الأسود (نيطش) المتصل بدوره عبر خليج القسطنطينية (مضيق البوسفور والدردنيل) ببحر الروم (البحر الأبيض المتوسط).

ثم يتوقف المسعودي عند قضية جغرافية بالغة الأهمية في عصره، هي: هل بحر الخزر (قزوين) متصل ببحر مانطش (بحر أزوف)؟ وعند الإجابة عن هذا السؤال يشعر القارئ بأنه يقف أمام عالم جليل حريص على الأمانة العلمية ودقيق إلى أبعد الحدود في استخلاص النتائج؛ إذ يقول المسعودي: «وقد غلط قوم زعموا أن البحر الخزري يتصل ببحر مايطس، ولم أرَ فيمن دخل بلاد الخزر من التجار ومَن ركب منهم في بحر مايطس ونيطس إلى بلاد الروس والبُلغر أحداً يزعم أن بحر الخزر يتّصل ببحر من هذه البحار أو بشيء من مائها أو من خلجانها إلا نهر الخزر... وكيف دخل الروس في المراكب إلى بحر الخزر وذلك بعد الثلاثمئة. ورأيت أكثر من تعرّض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون في كتبهم أن خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر، ولست أدري كيف ذلك، ومن أين قالوه: أمن طريق الحدس أم من طريق الاستدلال والقياس؟ أو توهّموا أن الروس ومن جاورهم على هذا البحر هو الخزر، وقد ركبت فيه من أبسكون، وهو ساحل جرجان، إلى بلاد طبرستان وغيرها، ولم أترك ممن شاهدت من التجار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من

تتميز المنطقة التي شهدت ولادة دولة (كييف الروسية القديمة) في القرن العاشر الميلادي بوضعية جغرافية فريدة من نوعها؛ فهي شبه مغطاة بالغابات، ومملوءة بالبحيرات والمستنقعات والأنهار



دراسات متعمقة عن الأوضاع الدينية والاقتصادية والسياسية الروسية عبر التاريخ

أرباب المراكب إلا سألته عن ذلك، وكلّ يخبرني أن لا طريق له إليها إلا من بحر الخزر حيث دخلت إليه مراكب الروس»[6].

نحن بالفعل أمام لوحة علمية ثمينة ومثال نموذجي في أسلوب البحث العلمي نادراً أن نجد مثيله في تلك العصور، فمن أجل أن يفنّد المسعودي آراء بعض الجغرافيين الذين سبقوه وعاصروه القائلين بأن بحر قزوين (الخزر) متصل ببحر أزوف (مانطش) يورد المسعودي في البداية آراء من سبقه من الجغرافيين، ويطابقها مع الواقع الطبيعي، ويقارنها مع آراء مختلف أنواع التجار، ويعتمد على حادثة هجوم الروس على سواحل بحر قزوين، الذين أتوا من خلال نهر الفولغا (أتيل أو الخزر)، وليس من خلال بحر مانطش (بحر أزوف)، وقد جرت هذه الحادثة في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي (يقول المسعودي: بعد الثلاثمئة هجري).

ثم يقدم المسعودي وصفاً جغرافياً لجبال القفقاس، التي كانت تسمى في ذلك الوقت (جبل القبخ)، والمناطق المحيطة به؛ إذ يقول: «أما جبل القبخ فهو جبل عظيم، وصقعه صقع جليل، قد اشتمل على كثير من الممالك والأمم، وفي هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة، كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها»[7].

وهنا يتحدث المسعودي عن مدينة الباب والأبواب (مدينة دربند الراهنة)، التي بناها كسرى الدولة الفارسية أنوشروان ثغراً عسكرياً محصناً وظيفته دفع أذى الأمم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان وأنواع الترك والسرير وغيرهم من الكفار. ويورد هنا المسعودي أسماء الممالك التي كانت موجودة في تلك المنطقة: مملكة الإيران، ومملكة الموقانية، ومملكة اللكز. ثم يتابع المسعودي وصفه جبل القبخ (القفقاس) فيقول: «وهذا

أغلبية شعوب أوربا الشرقية باستثناء شعوب اللان، ومملكة السرير، والأرمن، والخزر، والبلغار، لم تكن تمتلك كتابة خاصة بها؛ لذلك لم يكن لديها مصادر تاريخية مكتوبة

الروس مجموعة قبائل اختلطت مع شعوب محلية

الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج، وفيه أمم لا يعرف بعضهم بعضاً؛ لخشونة هذا الجبل، وامتناعه، وذهابه في الجو، وكثرة غياضه وأشجاره، وتسلسل المياه من أعلاه، وعظم صخوره وأحجاره»[..]. ويتحدث المسعودي بعد ذلك عن مملكتي طبرستان وجيدان، فيقول عن الأخيرة: «ويبادي أهل الباب والأبواب مملكة يقال لها: جيدان، وهذه الأمة داخلة في جملة ملوك الخزر، وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها: سمندر، وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر، وذلك أنها افتتحت في بدء الزمان، افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلي... فانتقل الملك عنها إلى مدينة أمل، وبينها وبين الأولى سبعة أيام. وأمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز، وتصب في بحر مايطس، وهذه المدينة جانبان، وفي وسط هذا النهر جزيرة فيها دار الملك، وقصر الملك في وسط هذه الجزيرة، وبها جسر إلى أحد الجانبين من سفن، وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية، فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه»[..].

مملكة الخزر

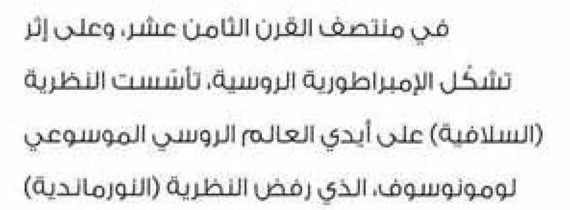
يتحدث المسعودي في هذا المقطع عن مدينة سمندر عاصمة مملكة الخزر القديمة، التي لم يعثر عليها حتى الآن. ثم يتحدث المسعودي عن مدينة أمل العاصمة الجديدة لمملكة الخزر التي لم تكتشف بعد أيضاً. ولكن المسعودي يؤكد أن مدينة أمل تقع على ضفتي (نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك)، وهو نهر الفولغا. ويقصد ببلاد الترك مملكة بُلغار التي زارها ابن فضلان وكانت تقع في الحوض الشرقي - الشمالي لنهر الفو[..]. ويبدو أن المسعودي كان يتصوّر أن نهر الدون يتفرع من نهر الفولغا عندما يقول: «ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز، وتصب في بحر مايطس». ولهذا السبب كان المسعودي يتصوّر أن بحر الخزر (قزوين) كان متصلاً بواسطة هذه الشعبة (نهر الدون) ببحر أزوف (مايطس).

وبعد أن يتحدث المسعودي بشكل مفصّل عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية السائدة آنذاك في مملكة الخزر، والأعراق والأجناس التي كانت تعيش في عاصمتها، ينتقل إلى التحدث عن نهر برطاس المتشعب من نهر الفولغا، وعن أمة برطاس التي كانت تعيش على حوض ذلك النهر، فيقول: «وفي أعالي نهر الخزر مصبّ متصل بخليج من بحر نيطس، وهو بحر (الروس)، لا يسلكه غيرهم، وهم على ساحل من سواحله، وهي أمة عظيمة جاهلية لا تنقاد إلى ملك ولا إلى شريعة، وفيهم تجار يختلفون إلى ملك البرغز، وللروس في أرضهم معدن الفضة كثير»[..].

يبيّن لنا هذا المقطع أن المسعودي كان يتصوّر أن المنطقة التي ينبع منها نهر الخزر (وهو نهر الفولغا، وكان يسمى أيضاً أتيل) متصلة عبر ممر مائي (يسميه المسعودي خليج) بالبحر الأسود (نيطس). وإذا أخذنا في الحسبان أن نهر الدنيبر ينبع أيضاً من المنطقة نفسها التي ينبع منها نهر الفولغا (وهي منطقة الفالداي التي أشرنا إليها) فإن ما يقصده بالخليج هو نهر الدنيبر تحديداً. ويطلق عليه المسعودي تسمية (بحر الروس لا يسلكه غيرهم). ويبدو أن المسعودي لم يكن مطّلعاً على مجرى نهر الدنيبر؛ لذلك كان يتصوّر أن البحر الأسود كان متصلاً بمنطقة (الفالداي) أو بحيرة (لادوغا) الملاصقة من ناحية






في منتصف القرن الثامن عشر، وعلى إثر تشكّل الإمبراطورية الروسية، تأسست النظرية (السلافية) على أيدي العالم الروسي الموسوعي لومونوسوف، الذي رفض النظرية (النورماندية)



الشمال لمنطقة الفالداي عبر ممر مائي ضخم يسميه أحياناً بالخليج وأحياناً بالبحر. وقد اختلط الأمر على بعض المؤرخين الروس عندما تصوّروا أن ما يقصده المسعودي بقوله: (وهو بحر الروس لا يسلكه غيرهم) هو البحر الأسود، وهذا تصوّر خاطئ؛ لأنهم اعتمدوا في قراءتهم نصوص (مروج الذهب وجوهر المعادن) للمسعودي على النسخة المترجمة إلى اللغة الروسية من اللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية. ومن الجدير بالذكر هنا أن المستعرب الروسي دمتري ميكولسكي نقل من اللغة العربية مباشرةً إلى اللغة الروسية في عام ٢٠٠٢م الجزأين الثالث والرابع فقط من عمل المسعودي المذكور المتعلقين بتاريخ الخلافة العربية الإسلامية، واستبعد الجزأين الأول والثاني المتعلقين بموضوعنا لأسباب نجهلها، ربما لصعوبة الموضوع وتعقيداته. وأعتقد أنه لا يمكن أن يطلق المسعودي على البحر الأسود تسمية (بحر الروس، ولا يسلكه أحد غيرهم)؛ لأن المسعودي سمّى البحر الأسود بشكل واضح ببحر (نيطش) أو (نيطس)، وبحر أزوف (مانطيش) أو (مانطيس)، وهي تسميات إغريقية اقتبسها المسعودي من أعمال الجغرافيين الإغريق. عدا ذلك فقد كان البحر الأسود في عصر المسعودي مسرحاً للأسطول البيزنطي وسفن الشعوب الأخرى المطلة على البحر الأسود، ومن ضمنها الروس الذين كانوا يصلون إليه عبر مجرى نهر الدنيبر الذي يصبّ في هذا البحر، ويشكّل عند مصبّه خليجاً كبيراً نسبياً، وهو ما يؤكد أن المسعودي يقصد بذلك مجرى نهر الدنيبر. وقوله عن هذا الممر النهري يتطابق مع التسمية التي كانت سائدة في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادية التي أطلقتها الشعوب والقبائل المستوطنة في حوض نهر الدنيبر على ممرّه بـ(الطريق المؤدي من الفارياغ إلى الإغريق)، وهذه التسمية مثبتة في جميع مخطوطات إمارة كييف الروسية

القديمة منذ نهاية القرن العاشر الميلادي وعلى مدى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين[١١]، وهي تعني أن هذا الممر المائي النهري كان يصل بين بلاد الفارياغ (النورماند) وبلاد الإغريق، خصوصاً إذا أخذنا في الحسبان أن إحدى وجهات النظر الأساسية عن أصول الروس تقول: إن الفارياغ (النورماند) كانوا منذ أقدم العصور يردون إلى المنطقة من البلاد الإسكندنافية الشمالية على سفنهم عبر بحر البلطيق، ثم يدخلون على متنها في مجرى نهر دفينا الغربي، ويصلون إلى منطقة الفالداي، وينتقلون إلى مجرى نهر الدنيبر، ويتوجهون نحو البحر الأسود حيث يبحرون إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية التي كان الروس يسمونها (مدينة القيصر)، أو كانوا ينتقلون إلى مجرى نهر الفولغا (أتيل)، ويتوجهون نحو بحر قزوين حيث كان لهم وجود شبه دائم في مدينة أتيل عاصمة الخاقانية الخزرية.

أمم كثيرة

ولكن نرى عند المسعودي متابعة للموضوع أكثر دقةً؛ إذ يقول: «والروس أمم كثيرة وأنواع شتى، ومنهم من يقال لهم: اللوذاعنة، وهم الأكثرون، يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس ورومية وقسطنطينية والخزر»[١٢]. أعتقد أن هذا المقطع من عمل المسعودي مهم جداً، ويساعد على إلقاء الضوء على أصول الروس؛ فتسمية (اللوذاعنة) التي يوردها المسعودي يقصد بها مجموعة كبيرة من الناس، ومفردهم (لوذاعني). وهي - على الأغلب - تسمية تطلق على الشخص الواحد؛ نسبةً إلى المدينة أو المنطقة التي ينحدر منها وتعدّ مسقطاً لرأسه. فعلى سبيل المثال: يطلق السوريون على أهالي مدينة اللاذقية تسمية (اللواذقة)، والواحد منهم نسمّيه (اللاذقاني). وإذا رجعنا

تبنّت الجهات الرسمية الروسية في العهود القيصرية النظرية (النورماندية)، معتمدةً في ذلك على مخطوطة (رواية الأعوام السالفة)، التي كتبها القس نيستور في نهاية القرن الثاني عشر

إلى نص المسعودي حول نهر برطاس المتشعب من نهر الفولغا الذي يسميه أحياناً (نهر الخزر)، وأحياناً أخرى (أتيل)، الذي يقول فيه: «وفي أعالي نهر الخزر مصبٌ متصل بخليج من بحر نيطس، وهو بحر (الروس) لا يسلكه غيرهم». أعتقد أن موطن الروس الأصلي يقع في المنطقة التي تنبع منها الأنهار الثلاثة (الفولغا، والدنيبر، ودفينا الغربي)، أو متاخمة لها. وإذا تمعنا في خريطة منطقة الفالداي والمناطق المحيطة بها فإننا نشاهد في شمالها الغربي بحيرة لادوغا الكبيرة، وعلى سواحلها يوجد عدد من التلال الأثرية، وعدة مدن، أهمها مدينة لادوغا. وعندما نجري مقارنةً مع تسمية المسعودي الروس (اللوذاعنة) وفق مثال: لاذقية، وأهاليها اللواذقة، والواحد منهم اللاذقاني، فإننا نلاحظ ما يأتي: لادوغا، وأهاليها اللوادغة، والواحد منهم اللادوغاني.

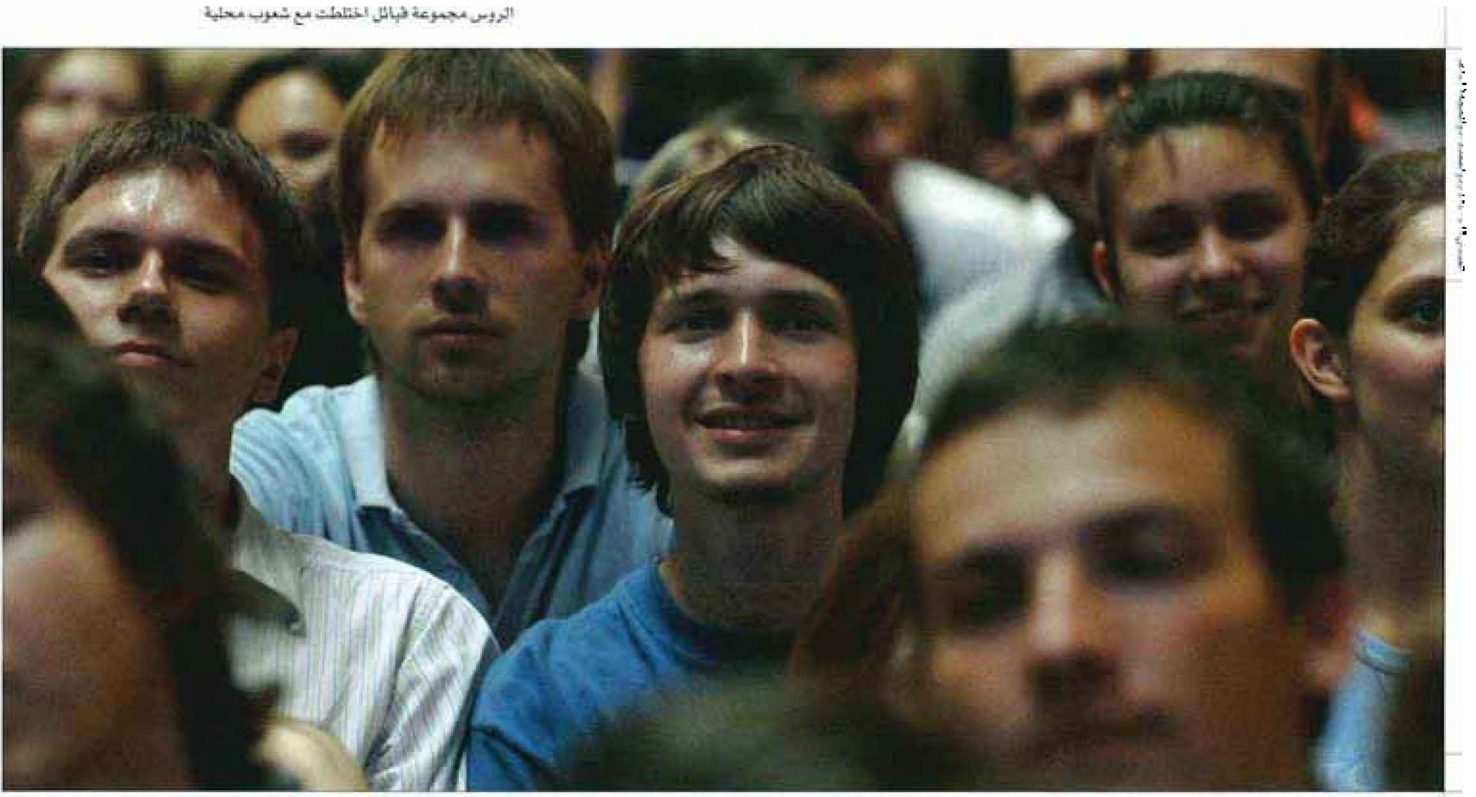
أعتقد أنه لا توجد حاجة إلى ملاحظة مدى التشابه الكبير بين تسمية المسعودي (اللوذاعنة) وتسمية (اللوادغة) المشتقة من لادوغا. ومن المثير للاهتمام أن علماء الآثار الروس يجرون حالياً تنقيبات أثرية واسعة النطاق في مدينة لادوغا والمناطق المحيطة بها كافة؛ إذ عثروا في مدينة لادوغا القديمة على عدة كنوز من النقود العربية الإسلامية تعود إلى القرون التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادية، وعثروا على كميات كبيرة من اللقيات الأثرية المتنوعة جداً التي تعود إلى حضارات شتّى: البيزنطية، والإسلامية، والخزرية، والأندلسية، وغيرها، وهو ما يؤكد كلام المسعودي حول ممارسة الروس التجارة في البحار والأحواض النهرية؛ إذ يقول: «يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس ورومية وقسطنطينية والخزر». وتدلّ نتائج التنقيبات الأثرية الأخيرة التي جرت في مدينة لادوغا والمناطق المحيطة بها على الأهمية القصوى لهذه المنطقة في دراسة تاريخ الروس، والكشف عن أصولهم؛ فقد استوطن هذه المنطقة منذ أقدم العصور القبائل الفيلندية والأغورية، كما هاجرت القبائل السلافية (الصقالبة) إلى هذه المنطقة في بدايات القرن السادس الميلادي واستوطنت فيها، وقد شملت هجرة القبائل السلافية الوافدة من أوربا الوسطى مناطق شرق أوربا كافة، وكان لها حضور متميّز في الخاقانية الخزرية، وهو ما تشير إليه المصادر العربية

والبيزنطية. ومع أن المسعودي وغيره من الجغرافيين العرب كانوا يذكرون الروس والصقالبة (السلاف) بشكل منفصل؛ مما يؤكد أنهما كانا في تلك المرحلة شعبين مستقلين، إلا أنه في الوقت نفسه كان المسعودي يورد ذكرهما معاً. وسبب ذلك يعود إلى عملية اندماج الروس مع الصقالبة في منطقة لادوغا التي بدأت في بداية القرن التاسع الميلادي، واستمرت هذه العملية في القرن العاشر في كل المدن الواقعة في حوض نهر الدنيبر حتى أدّت إلى تشكيل عدة كيانات سياسية روسية - سلافية في هذه المنطقة، أبرزها: لادوغا، ونوفغراد، وكييف، التي توحّدت فيما بعد بزعامة مدينة كييف تحت قيادة سلالة ريوريك الروسية، التي شكّلت دولة قوية خاضت عدة حروب ناجحة ضد الإمبراطورية البيزنطية. وقامت في عهد الأمير سفيتوسلاف بهدم الخاقانية الخزرية اليهودية في عام ٩٦٧م، ونتيجة ذلك زالت نهائياً عن خريطة أوربا الشرقية"[..].

خلاصة

في المحصلة، أستطيع القول: إن الروس هم مجمو؛ ـن القبائل استوطنت على مدى عدة قرون في منطقة لادوغا، واختلطت مع الشعوب المحلية: الصقالبة، (السلاف)، والفيلنديين، والأغوريين. وحتى بداية القرن العاشر الميلادي كانت لادوغا عاصمتهم ومسقط رأسهم. وكان الروس يشكّلون النخبة الحاكمة في مدينة لادوغا، ولاحقاً في نوفغراد، وكييف، وغيرهما من المدن الواقعة في حوض نهر الدنيبر. وقد تميّز الروس بإتقانهم التجارة النهرية والبحرية ومهارتهم فيها، واشتهروا بقدراتهم العسكرية الفائقة، وبسالتهم في المعارك. وتشير إلى ذلك المصادر التاريخية البيزنطية والعربية كافة، التي تشير أيضاً إلى أن الروس أسّسوا على مدى عدة قرون

الروس مجموعة قبائل اختلطت مع شعوب محلية



عدة مستوطنات ومستعمرات كمحطات تجارية في أحواض الأنهار الثلاثة الكبرى (الدنيبر، ودفينا الغربي، والفولغا)، وعلى سواحل البحر الأسود وجزره. وقد صادفهم المسعودي في المدن المطلة على بحر قزوين وفي مدينة أتيل عاصمة الخاقانية الخزرية. وصادفهم ابن فضلان في إمارة بُلغار في حوض نهر الفولغا.

ونعود إلى السؤال الكبير: هل تنتمي روسيا إلى الحضارة الأوربية الغربية كما يدّعي ذلك ممثّلو التيار التغريبي الليبرالي. أو أن روسيا تمثّل حضارة أوروآسيوية كما يؤكّد ذلك ممثّلو التيار القومي الروسي؟

أعتقد أنه لو اقتصرت مساحة دولة الروس المندمجين مع السلاف (الصقالبة) على المناطق الغربية - الشمالية، التي تضم مناطق لادوغا ونوفغراد والفالداي. إضافةً إلى حوضي نهري دفينا الغربي والدنيبر. كما كان الأمر حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي؛ فإنها كانت ستنتمي حتماً إلى الحضارة الأوربية بالمعنى الواسع (عرقياً، وثقافياً، ودينياً)، ولكن بعد خضوع الإمارات الروسية للسيطرة التتارية منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي. ودخولهم في عداد دولة الأورطة الذهبية على امتداد أكثر من قرنين. وتشكّل دولة موسكو الروسية المركزية الموحّدة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وقيامها في منتصف القرن السادس عشر على يد إيفان الرهيب بضم الإمارات التتارية الواقعة في حوض الفولغا ومناطق الأورال وسيبيريا إلى الدولة الروسية، واستمرار توسّعها لاحقاً في الفضاء الآسيوي: حدثت تغييرات أنثروبولوجية جوهرية في تركيب الشعب الروسي؛ فعلى امتداد نحو ثمانية قرون جرت عملية اندماج عدة عروق وأجناس أوربية وآسيوية (اندماج الروس مع السلاف والفيلنديين والأغوريين والبجناك والقفجاق والتتار وشعوب سيبيريا وآسيا الوسطى). وقد تبلورت هذه العملية بشكل خاص في مرحلة تشكّل الإمبراطورية الروسية بدءاً من عهد بطرس الأول في بداية القرن الثامن عشر الميلادي وانتهاءً بالحقبة السوفييتية في نهاية القرن العشرين الميلادي. والآن من يدقّ بيده على صدره مفتخراً بانتمائه إلى القومية الروسية تجري في عروقه دماء مختلفة ومتنوعة جداً. ونستطيع أن نجزم بأنه تشكّل في خلال الحقبة المذكورة شعب روسي له حضارته الخاصة به، يستند إلى تاريخ مشترك، ولغة وثقافة وعادات مشتركة. وواقع جيوبوليتيكي أوروآسيوي مشترك. هذه العملية التي تشكّلت تاريخياً لا تنفي بالطبع وجود بعض النزعات الانفصالية المحدودة لدى بعض الأقليات القومية. التي برزت في مرحلة التسعينيات من القرن العشرين. ولكنها تبقى ضمن إطار محدود جداً، ولا تؤثر في وحدة أراضي الدولة الروسية والشعب الروسي الذي يحمل الموروث التاريخي للإمبراطورية الروسية في العهدين القيصري والسوفييتي. والموروث الثقافي للديانتين الأرثوذكسية والإسلامية اللتين ترفضان الانصياع لإرادة الغرب.

وفي المحصلة. أعتقد أن روسيا لا تنتمي إلى الحضارة الأوربية. ولا إلى الحضارة الشرقية أو الأوراسيوية. وإنما تنتمي إلى مجموعة الدول التي تميّزت على مرّ التاريخ بكينونة خاصة بها تختلف عن حضارات الشعوب الأخرى؛ فروسيا بخصائصها التاريخية والجغرافية والأنثروبولوجية والثقافية هي روسيا التي لا تشبه إلا نفسها.



١- تاريخ روسيا في ثلاثة أجزاء. إصدار معهد تاريخ روسيا التابع لأكاديمية العلوم الروسية، تحت إشراف الأكاديمي ساخوروف، موسكو، عام ٢٠٠٠م، بالروسية. ج١.
٢- غالكينا ي. س. الخاقانية الروسية. موسكو، عام ٢٠٠٢م، بالروسية.
٣- المسعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ٤ أجزاء. المكتبة العصرية. صيدا - بيروت. عام ١٩٨٧م.
٤- ياقوت الحموي. معجم البلدان. دار الكتب العلمية. بيروت. عام ١٩٩٠م. ج١. ص٥٧٦-٥٧٨.
٥- المسعودي. مرجع ورد ذكره. ج١، ص١٢٤.
٦- المرجع السابق. ج١. ص١٢٥.
٧- المرجع السابق. ج١. ص١٧٦.
٨- المرجع السابق. ج١. ص١٧٦.
٩- المرجع السابق. ج١، ص١٧٨.
١٠- المرجع السابق. ج١، ص١٨٩.
١١- تاريخ روسيا. مرجع ورد ذكره. ج١.
١٢- المسعودي. مرجع ورد ذكره. ج١. ص١٨٣.
١٣- غالكينا ي. س. مرجع ورد ذكره.

فيصل أكرم
الرياض - السعودية

وقت متقدّم لساعةٍ متأخرة!

لولا انطفاؤكَ بين جمركَ،
واحتواؤكَ ما احتضنتْ..
ما كنتَ في قلب المصبّات اشتعلتَ!
هو ذا احتفالُ الطالعين، إلى انحدارٍ
كان أنتْ..!
لولا شرودُ السُّحْبِ من جفنِ المساءِ
إذا السماءُ تكونُ شمساً
فوقَ رأسكَ
ما نَزَلْتْ..!
هذا انكشافٌ للرحيل، وللموارارة التي
كم ذا ستنشرها النوارسُ فوق كلِّ الماءِ
حيثُ تظنُّ بعض الماء درباً
سوف تسلكهُ تفتّشُ عن مكانٍ
سوف يرمي حول خطوتك الثقيلة. كلَّ أمكنةٍ تخفُّ
ولم تكن تدري - كأنك لن تكونَ -
أنّ هذا الموجَ يُرفعُ،
حين ترفعه الرياحُ،
وبالرياح يطأطئُ القطراتِ، يخسرها
يجفُّ..

الموجُ عملاقٌ عظيمٌ. لو تملّكهُ امتدادٌ..
والرياحُ هي الشتاتْ.
هل تريدُ الآن طوقاً للنجاةْ؟
عفواً ستحملُ بعضَ بعضكَ لاحتمالات الأرائك
والملذّات التي تهمي على الجدران بشراها
لترسمَ وقتها متقدّماً،
حتى لساعاتٍ تأخّرَ سعيُها..
هل سوف يُشفى عيُّها..؟
ستقولُ: أعرفُ
أنّ فرصتيَ الأخيرةَ، في جبالٍ
تحت جُبّتها الينابيعُ المؤجلةُ المؤقتةُ المؤرِّخةُ العظيمةُ
كاعترافات الضحايا.. بالقَدَرْ
لا في غيومٍ تستحيلُ إلى مطرْ..
حتى إذا كانت مراراتُ المسافات الطويلةِ
أقصرَ الطرقاتْ..
هل تريد الآن وقتاً للصلاةْ؟
فامسك بطوقكَ كلَّ وقتكَ
يا مُعذَّبُ،
جيّداً،
قد آن أنْ تحيا كما تَجِبُ الحياةْ..!





- حصنان يعلوان قرية الكلادا.. وثالث يتوسط قرية الخشاشة

- جدران من الحجارة.. وأسقف من الخشب.. وصفحات من تاريخ عبر مئات السنين

تحقيق

رحلة إلى قريتي (الكلادا والخشاشة)
في ديار بني سعد بالطائف

حمّاد بن حامد السالمي
الطائف - السعودية

كثيراً ما تشدني الطبيعة بجمالها الأخّاذ، وتلفت نظري الجغرافيا الأرضية بتكويناتها المتباينة البديعة، وأتوقف كثيراً عند الإضافات الحضارية للإنسان على هذا الكون: فهو يبني ويعلي في البنيان، ويعمر ويصلح، ويعطي بكل ما يضيف مَسْحات خيالية تزيد جمال الطبيعة جمالاً وسحراً، وتضيف عليه من عناصر التشويق ودوافع التفكير والتفكر ما يرسّخ حضوره في الذاكرة، ويطيل من عمره بين الأجيال.

هي مشاهد كثيرة أمرّ بها عادةً فلا أدع شيئاً منها يمرّ. ألتبّسها فتتلبّسني.. أراها بعيني فأرى في عينها عين المكان والزمان والإنسان!.

أقف هنا أو هناك وكأني في مسرح يعرض روايات كثيرة، أبطالها في كل المجالات ثلاثة، لا ينقص منهم واحد، ولا يزيد عليهم واحد.. إنهم قطب الصراع على هذا الكوكب: (المكان، والزمان، والإنسان)!. لم يبق وادٍ أو جبل أو قرية على امتداد

الجغرافيا (الإدارية) لمحافظة الطائف إلا وقد زرته، فوقفت عليه، فصوّرته أو كتبت عنه، أو هما معاً.. هكذا أزعم.

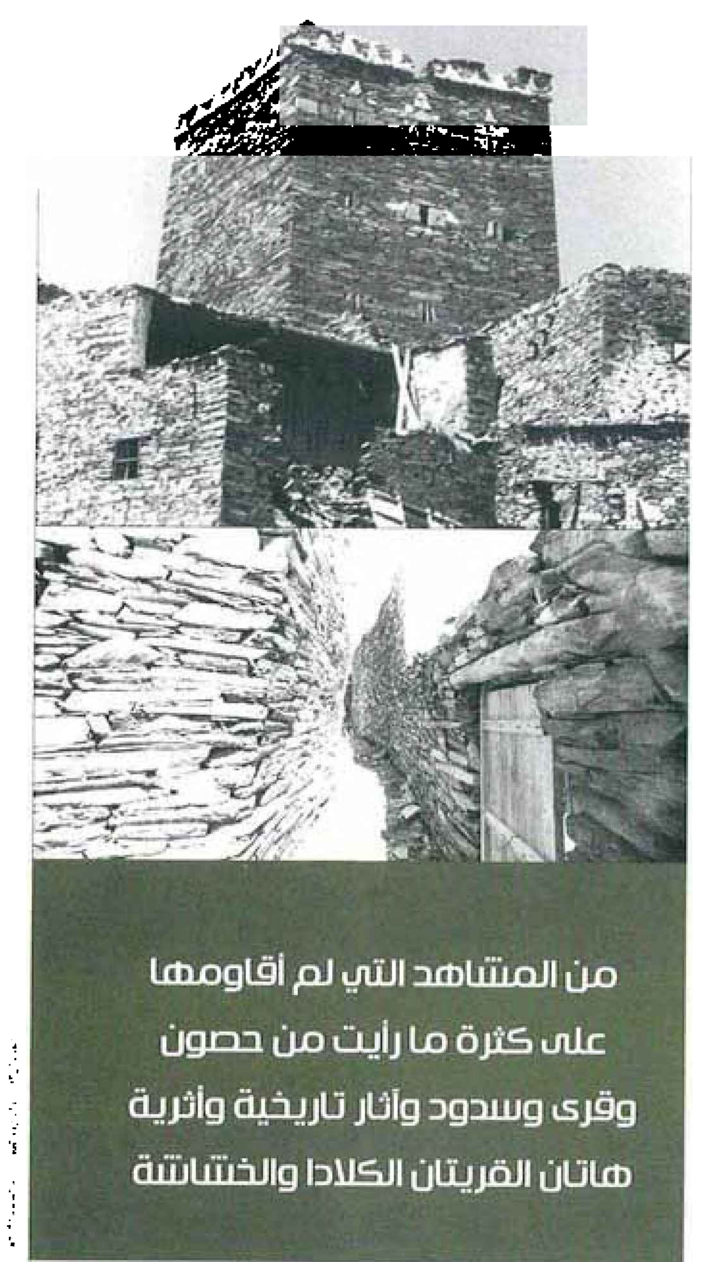
الكلادا والخشاشة

الذين كانوا هنا منذ مئات السنين كيف كانوا يعيشون ويلتقون ويفرحون ويمرحون في أقدم قريتين تراثيتين هنا، هما: الكلادا، والخشاشة؟!.

من المشاهد التي لم أقاومها على كثرة ما رأيت من حصون وقرى وسدود وآثار تاريخية وأثرية هاتان القريتان المتجاورتان في بلاد بني سعد: الكلادا والخشاشة.. أو على وجه الدقة: تتقابلان في شموخ، ويمرّ من عند قدميهما الطريق السياحي بين السحن وحدب بني الحارث، والناس كلهم في شغل شاغل عنهما، كلٌ منهم ذاهب إلى غايته.

وكنت من هؤلاء المارين المنشغلين، لكني كثيراً ما أتوقف على تبّة في الوادي أسفل القريتين لأسجل بالكاميرا منظراً لهذه قبيل الغروب، أو صورة لتلك بعيد الشروق، ثم أؤجل زيارة هذين الصرحين إلى أوقات أخرى.

كنت هكذا مثل بقية المارين، إلى أن تحققت الرغبة في ولوج التاريخ من بوابتي (الكلادا والخشاشة)، فصعدت الجبلين إلى القريتين في (الكلادا) و(الخشاشة) في السيابيل.



من المشاهد التي لم أقاومها على كثرة ما رأيت من حصون وقرى وسدود وآثار تاريخية وأثرية هاتان القريتان الكلادا والخشاشة

ثعبان أسود كان هنا!!

تحرّكت من الطائف قبل الساعة الثامنة صباحاً، ومعي دفاتري وأقلامي وأكثر من كاميرا، ما إن تجاوزت وادي نخب مشرقاً، وانحدرت من طلعة اليسرا، حتى بدت لي أرتال السيارات، أرتال معي خارجة إلى الجنوب، وأخرى قادمة وداخلة إلى الطائف، والطريق من الطائف حتى مفرق ثمالة من جنوب بحرة الرغاء بطرف وادي لية طريق مزدوج ومشجر رائع، ثم ها هي ذي روعته تمتد إلى الجنوب.. إن ما كنا نسمّيه الثعبان الأسود الذي كان فيما مضى يصطاد السيارات والناس قد أصبح في خبر كان، تحقق الحلم أخيراً، وأصبح طريق الجنوب طريقاً مزدوجاً، لا يصطاد السيارات، ولا يهدد حياة الناس، والحركة عليه سهلة مرنة وآمنة والحمد لله.

هناك مشكلة واضحة في مفرق ثمالة؛ إذ لم يُقم جسر بعد؛ فالحوادث كثيرة هنا حتى يُقام هذا الجسر الموعود.

إن القرى كافةً، وهي بالمئات، تصبّ على هذا الطريق من كل الجهات، والحوادث المفجعة والمآسي المؤلمة التي كانت في الماضي أصبحت في خبر كان.

في المعدن.. وبقران

بعد أن وصلت إلى وادي السر على بعد ٣٠ كيلومتراً

بين الكلادا والخشاشة

خرجت من قرية الكلادا إلى قرية الخشاشة قبالتنا، ولكني اضطررت إلى سلوك طريق ملتوٍ وبعيد قيلاً عبر وادي قبيس، حتى وصلت القرية من خلفها من جهة الغرب، وكان معي الأستاذ محمد بن عواض السيالي.

كنت في البداية وجهاً لوجه أمام حصنها الحجري العجيب الذي بُني من حجارة صلدة مصقولة بفن معماري راقٍ.

وقفنا بجوار الحصن، وأطلقنا النظر إلى قرية الكلادا في الجهة المقابلة أمامنا من الجنوب. ليس بين القريتين سوى هذا الوادي الذي يسمونه (قبيس)، لعله تصغير قبس، والقبس هو النار، أو شعلة منها. أما الخشاشة، فهي تعني الواحدة من حشرات الأرض والطير، أو هي المخش الذي يُدخل إليه ويُحتمى به.

من جنوب الطائف انحرفت يميناً. سلكت طريق بني سعد السياحي. فدخلت في أودية زراعية شهيرة. فهذا وادي المعدن، أخذ اسمه من نقب للمعادن في مرتفع فيه كان منذ زمن بعيد. ولم يعد كذلك. وفيه ركبان زراعية وبئار. ولكن الجفاف في سنوات خلت أخلّ بسمعة الزراعة هنا. فبدت أرضه يباساً. وقراه القديمة اعتراها الخراب، فانتشرت بقربها مساكن حديثة من الأسمنت المسلح. وبعد المعدن ألحظ لوحة تشير إلى وادي عباسة يميناً. وهو من الأودية المشهورة. وفيه من أعلاه أم البكار، وقريتها الدارسة.

وفي أم البكار - القرية التي أخذت اسمها على ما يبدو من شهرتها بالبكرات: صغيرات الإبل - هذا وادي سلامة، وهذه سدود أموية خمسة دالة على ماضٍ زراعي عريق كان لهذا الوادي.

وعندما أتوغل في الطريق أدخل في وادي بقران. وهو الذي يستمدّ اسمه من جمع بقر في لغتهم، أو لكونه انبقر عن خيرات كثيرة: أي: انشقّ. وفيه ركبان زراعية وبساتين فاكهة وقرى قديمة وأخرى حديثة.

معدن البرم

إلا أن واديي بقران والمعدن هما على مسيل واحد، وسيلهما إلى السر شمالاً. ووادي المعدن الذي تقدم بنا ذكره كان يُعرف بمعدن البرم. ذكره ياقوت الحموي. وقال: قال عرام: قرية بين مكة والطائف، كثيرة النخل والزرع والمياه: مياه آبار. يسقون زروعهم بالزرانيق.

قال أبو الدينار: معدن البرم لبني عقيل. قال الصحيف ابن الحمير:

فمن مبلغ عني قريشاً رسالة
وأفناء قيس حيث سارت وحلت

بأنا تلاقينا حنيفة بعدما
أغارت على أهل الحمى ثم ولَّت

لقد نزلت في (معدن البِرّم) نزلة
فلأياً بلأيٍ من أضاخ استقلت

والزرانيق: قال الفيروزآبادي: الزرنوقان: منارتان تبنيان على جنبي البئر من رأسها، والزرنوق النهر الصغير. وقول عرام: (بين مكة والطائف) وهم. ومثله قول أبي الدينار: إنها لبني عقيل. والصحيح ما قال به صاحب (صفة جزيرة العرب)، قال: معدن البرم موضعه جنوب الطائف.

في المظهر

أترك واديي المعدن وبقران خلفي وأنا أسير على الطريق

السياحي مجنباً، فأرقى المرتفعات رويداً رويداً، حتى أحلّ في منبسط من الأرض يسمونه المظهر، وهو وادٍ زراعي إلى الشرق من المعدن، سيله في وادي العائرة، ثم في بسل.

والمظهر من الظهور، وهو ما ارتفع وعلا عما حوله، وهو كذلك، وهو بداية ديار ربيع، والثبتة هم سكان بقران والمعدن، وربيع والثبتة هم من بني سعد التي تنتشر قراها على مساحات شاسعة من الأرض جنوب الطائف بين الصحارى شمالاً وشرقاً، والسراة في الوسط، وتهامة جهة الليث ويلملم، ومن يساري مشرق الشمس.

بعد المظهر تبدأ بلاد الزود من بني سعد أيضاً، فهذا وادي مليحة، وهذه قرية السبيحة في الثبتة، وغيرها من قرى كثيرة لا تخلو من السكان ومن الحركة الدائبة.

في السحن..

وبعد أن قطعت في سيري قرابة ٦٠ كيلومتراً، تخللتها جبال ومرتفعات كثيرة تشرف على ديار ربيع عن يميني، وديار الثبتة والزود عن يساري، أصبحت في السحن، وهي قرية كبيرة عامرة، بل هي حاضرة بلاد بني سعد كافة، فيها المركز الإداري، وفيها كثير من الإدارات العامة والخاصة، وفيها سوق عام كلّ خميس، وفيها شوارع ودور من عدة أدوار، ومتاجر ومستشفى عام، والسحن هو اسم هذه القرية في وطأة من الأرض، وبين مرتفعات من الجهات كافة.

قلتُ: ربما كان اسمها في القديم (الصحن) ثم تحرّفت، فهي تبدو مثل صحفة تجتمع فيها سيول من أشعب كثيرة، واسمها ربما جاء من (السَّحْن) بشدّ وفتح الأول، ثم جزم الثاني، وهو في اللغة: الجمع الكثير، يوم سحن: أي: يوم جمع كثير، أو من السحنة: وهي اللون الساحم الذي يميل إلى السواد، والله أعلم.

ثم تركت السحن، أو الصحن، وصوبت إلى وادي السيايل على بعد ٧ كيلومترات فقط من السحن.

في السيايل

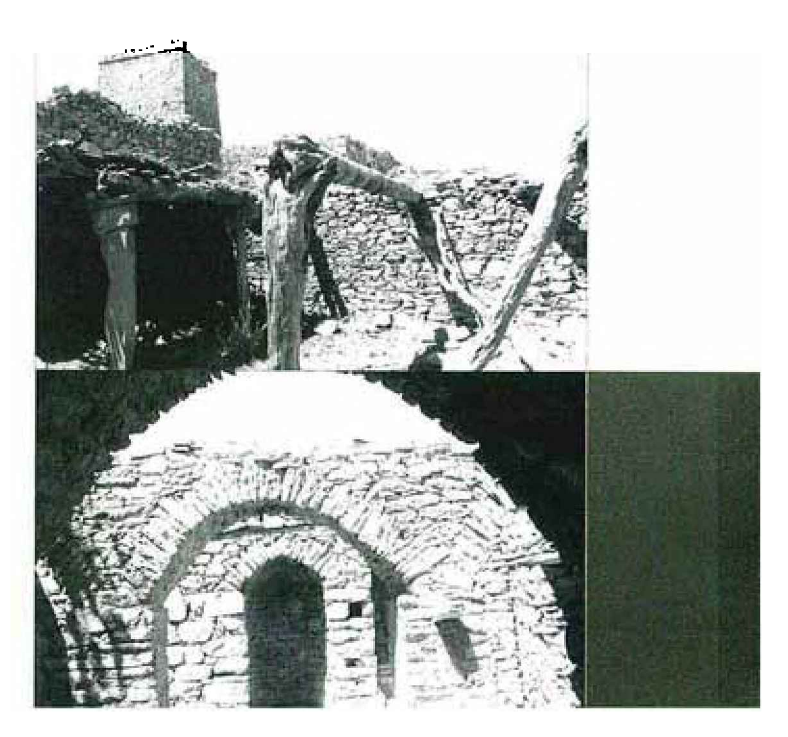
السيايل: اسم على قبيلة من بني سعد، واسم على وادٍ لها شهير من جنوب السحن، بينها وبين خديد من بني سعد أيضاً، سيل الوادي من جبال الدار الحمراء في خديد، ويصبّ في الذويبات شرقاً، وعليه كثير من القرى والمزارع، ويشتهر وادي السيايل هذا بجودة عنبه ورمانه وخوخه، وبالخضار والحبوب، والسيايل - القبيلة - من البطنين من بني سعد، وهم على أفخاذ كثيرة: منها: أهل الخشاشة والكلادا.

والخشاشة، والكلادا، هما وجهتي في هذه الرحلة، وبغيتي من هذا البحث.

وقفتُ بطرف الوادي بين قريتي الكلادا والخشاشة وأنا أتمعن في هذين الصرحين اللذين يعتليان جبلين من أعلى الجبال هنا، وأفكر في الطريق الذي أصل به إلى كل منهما، وفيما أنا كذلك جاءني العم عطية بن نافع السعدي، وكان في أحد الحقول المجاورة، ليدلني على طريق هذه ودرب تلك.

في الكلادا..

لا أدري هل سمّي الفخذ على القرية، أو سمّيت القرية على الفخذ؟، ولكن الكَلَد في اللغة: اسم من أسماء التمر، والمكان الصلب بلا حصى، والأكام أو الأرض الغليظة.



وللوصول إلى هذه القرية التاريخية سلكت طريقاً عبر تلة من جنوب الجبل. وبعد دقائق أصبحت أقف بين حصنين حجريين عملاقين بطرف القرية من الجنوب والغرب: الحصن الأول من جهة الغرب، طوله في عرضه خمسة أمتار، وارتفاعه نحو ٢٠ متراً، وقستُ المدماك من البوابة الوحيدة له فإذا هو (١,٣٠م). وهو من ثلاثة أدوار مسقوفة بالخشب الخالص، ومحاط عند رأسه بوزرة من حجر المرو الأبيض. أما الحصن الثاني، وهو الأكبر، فأبعاده هي: (٨ أمتار في ٨ أمتار، وارتفاعه ٢٠ متراً). وله وزرة من أعلاه من حجر المرو. ودخلته فإذا هو متهدم من الداخل، ويكاد يسقط بفعل الأمطار وسقوط أخشاب من سقفه.

شاهد من أهلها

وعندما كنت ألتقط الصور، وأخذ القياسات، وألج البيوت الحجرية المهجورة، التحق بي بعض أبناء قرية الكلادا الجديدة على الوادي في الجهة الأخرى بعد أن شاهدوني في قرية آبائهم وأجدادهم، منهم: دخيل الله بن عبدالله السيالي (٥٢ عاماً)، والأستاذ محمد بن عواض السيالي (٣٢ عاماً) معلم في قريتهم. وقد رحّبا بي، وقمنا معاً بجولة على عدد من البيوت العجيبة، وهي كثيرة، لا يفصل بينها سوى سبل ضيقة لسير الناس ومرور حيواناتهم. ومع أن بعض الناس يرجع تاريخ إنشاء هذه القرية وجارتها «الخشاشة» إلى بني هلال، إلا أن الأمر فيما يبدو غير ذلك: فهي أقيمت قبل نحو ٣٠٠-٤٠٠ عام على الأكثر، وشاهدنا أحواشاً للمواشي، ومسجداً بطرفها في السفح، ومضايف كانوا يجتمعون فيها.

وفي أثناء جولتنا روى لي الأخ دخيل الله أنه أدرك سكان هذه القرية - المهجورة اليوم - وكانوا نحو (٣٠) أسرة في بيوت متلاصقة تماماً، مبنية من حجارة من جبلها نفسه، حجارة عريضة ملساء.

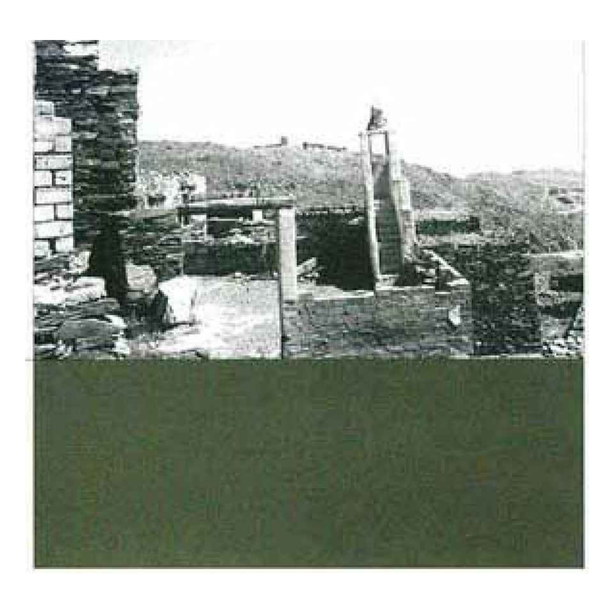
ومع الأخوين الكريمين وقفتُ على بيوت لبعض مشاهير هذه القرية، ومنهم: جار الله العسكري السيالي، وخميس بن حامد، وعيضة بن دخيل الله، ومنزله بجوار الحصن الكبير، ومحمد بن مطر، وعايض بن سلطان، وعيضة بن مجلي، وخضر بن عبيد، ومحسن بن عبيد، وكلهم من السيايل، وكلهم أموات رحمهم الله، فهذه دورهم التي كانوا فيها.

عسى خلفنا طيب

شعرت كأني بأسئلتي الكثيرة عن قريتي الكلادا والخشاشة قد أثرت شجون الأخ دخيل الله، الذي انطلق يقول في تحسّر وتأثّر كبيرين: هنا كنا نلتقي في الأعياد، وهنا كنا نلعب ونتحاور بالشعر، وهنا كانت تقام ولائم الأعراس. وفي هذه القرية، وفي الخشاشة، كان الناس يتبادلون الزيارات، ويحضرون ولائم بعضهم في فرح وسرور وغبطة.. أين اليوم فلان وفلان وفلان؟! أين ماضي الكلادا..؟ وأين أيامك يا قرية الخشاشة؟!

ثم يتذكر دخيل الله محاورات شعرية كانت تدور بين سكان القريتين، ومن ذلك شعر لضيف الله بن جار الله العسكري السيالي - رحمه الله - من الكلادا عند خروجه وجماعته من ضيافة في الخشاشة، كان يقول:

عسى خلفنا بالخشاشة طيب
يالمركز اللي ما يملّ الضيف
نطلب مهالي.. والزمان اقريب
نفرح قراكم في حتات الصيف



وحتات الصيف: آخر أيام حرثته، وما ينتج فيه من حبوب. ثم يقول دخيل الله: كان الناس هنا في مناسبات الزواج والأعياد يلتقون، خمس قرى معاً، فطور وغداء وعشاء واحتفالات شعبية، فيها زير، ومراد، ومحاورات، ومن أشهر شعراء الرد في الكلادا والخشاشة ضيف الله العسكري السيالي، ووالده جار الله في الكلادا. وفي الخشاشة: سليمان بن حمود السيالي، وسعد بن محفوظ السيالي، وابنه هلال رحمهم الله جميعاً.

في وادي قبيس!

في مكة المكرمة جبل أبي قُبيس مشهور، لكن بين قريتي الكلادا والخشاشة وادٍ بهذا الاسم، سيله في وادي مرة، يخلط مع سيل وادي اللصب من غرب الكلادا.

ويحيط بهاتين القريتين التاريخيتين جبال مشهورة: منها: الأحمر من غرب الكلادا، والقعود من جهة الشرق، والرفة من الجنوب.

وبين القريتين هناك جبل اسمه نقب الذّية من شمال وادي مرخا، والجبل الذي على قمته قرية الكلادا اسمه الكلادا أيضاً، ومثله الذي تعلوه قرية الخشاشة اسمه الخشاشة.

حصن و٣٥ دارا

الطريقة التي بُنيت بها هذه القرية وحصنها، لا تختلف كثيراً عن رصيفتها الكلادا، هي فقط لها حصن واحد، وتلك لها حصنان، وهناك تشابه في نوع الحجارة، وحجمها، وسقوف البيوت، وتوزيعها؛ فهي للسكن، وبجوارها أحواش حيوانات مسقوفة جزئياً، ومخازن للأرزاق، ومسجد ملحق، والحصن في الخشاشة ينتصب بطرف قرابة ٣٥ داراً حجرية مازالت قائمة، عرضه ٨ أمتار في ٨ أمتار، وارتفاعه نحو ٢٠ متراً، ومحاط من أعلاه بوزرة من حجر المرو الأبيض، والحصن محلّى بأقواس من الحجر، وهو مكون من ثلاثة أدوار مسقوفة بالخشب، وله بوابة واحدة، ومسابر لكل دور، وقال لي الأستاذ محمد بن عواض: إن من مشاهير هذه القرية: علي بن هلال، وسليمان بن حمود، وعيضة السيالي، رحمهم الله.

نحمي ديارنا بالصميله

ومن شعراء الخشاشة مثلما يذكرون: الشاعر سليمان بن حمود السيالي رحمه الله، قال فيها:

طلقت من راسي الطويلة
وروس أولاد العبدلي
نحمي ديارنا بالصميله
في وحم نار تصطلي

ماذا بقي..؟

هذه إذاً هي الخشاشة القرية، على اسم أهلها الذين هم فخذ من السيايل، وهذه دورهم في هذا العصر، وقد تناثرت على جوانب الوادي أمامنا، ثم بقيت الخشاشة وحيدة موحشة، ومثلها الكلادا، إلا من طيور تعشش بين جدرانها، وغرابيب سود تزورها عند الغروب، فتنقب تاريخها وزمانها الذي كان مبهجاً بكل ما في الحياة من مباهج، وغير حبينات رمادية اللون تطل برؤوسها علينا من بين الصخور كأنها تحتجّ على إزعاجنا لها!.

تلويحة وداع..!

ونحن ننحدر إلى الوادي الأخضر، تاركين وراءنا أجمل وأعرق قريتين تاريخيتين في هذه الجهات، أخذت أضمومة من نبات الشذاب العطري، الذي ينمو هنا بكثرة، فلوّحت بها إلى الكلادا، وإلى الخشاشة. إنها تحية للوداع، وكنت أقطف من الشذاب الأخضر اللطيف، والأودية والتلال هنا كافةً غنية بنباتات وأشجار لا حصر لها: عرعر، وضرم، وطباق، وصوم، وشيع، وحقه، ولوز، وعنب أسود وأبيض، وخوخ، وشرم، وشكاعة، وقرض، وخبيز، وغيرها.. كلّ هذا في وادي السيايل، وفي وادي قبيس.

أمنية..!

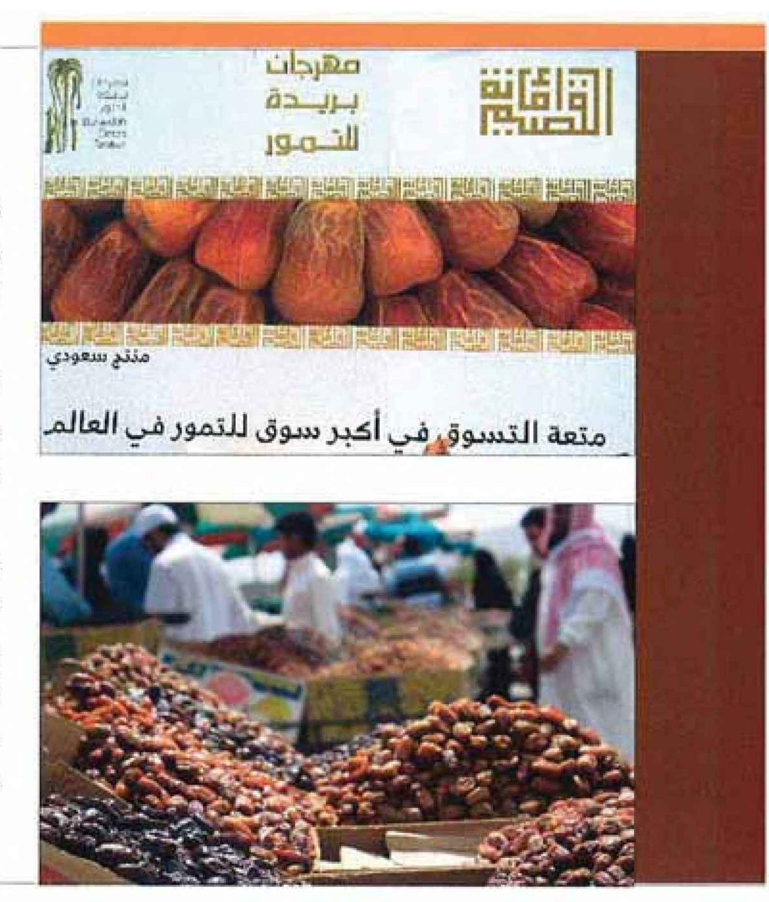
وفي طريق العودة كنت أمنّي النفس بجهود جادة مخلصة تأتي من الهيئة العليا للسياحة والآثار، أو إدارة الآثار، أو التنشيط السياحي في الطائف، لعمل صيانة وترميم وتأهيل لهاتين القريتين، وتوصيل الطريقين إليهما، وإدخالهما في الأجندة السياحية. فوداعاً يا هذه الكلادا، ويا هذه الخشاشة.. وإلى لقاء.

القصيم والتمور.. عشق متبادل

مهرجان التمور .. تطلع مشروع للعالمية

حسين حسن حسين
يوسف العتيق
تصوير: مسفر البيشي





تشهد منطقة القصيم في كل سنة مهرجانات تمور تنتظم مدنها وهذا يعكس ما لتمورها من جودة وشهرة ورواج. ويظلّ مهرجان بريدة العالمي للتمور الأكبر، يليه مهرجان عنيزة، وهذان المهرجان يتسابقان في كل عام إلى إضفاء الجديد الذي يميّزهما.

وحرصاً من مجلة (الفيصل) على نقل ملامح الحياة في مناطق المملكة المختلفة قامت بجولة في مهرجانات التمور بالقصيم، وأخذاً بمبدأ ما لا يدرك كله لا يترك جله فقد شملت الجولة مهرجانات بريدة وعنيزة والمذنب.

بدأ الانطلاق صوب القصيم بعد الحادية عشرة مساءً حتى يكون فريق العمل في مهرجان بريدة مع بزوغ فجر يوم جديد؛ إذ تدبّ الحياة في هذا المهرجان عقب صلاة الفجر مباشرة؛ عملاً بقول الرسول الكريم: «البركة في البكور». وفي المجمعة كان تناول السحور في أجواء تراثية مع نسمات فجر جديدة تبدو باردة موازنةً بالحرّ الذي يلفح الوجوه في شهر أغسطس. ومع الحوار الذي دار مع مضيفنا بدأت تتضح معالم هذه المهرجانات التي للرياض منها



نائب أمير منطقة القصيم: تعدّد المهرجانات يذكي روح التنافس الخلاق

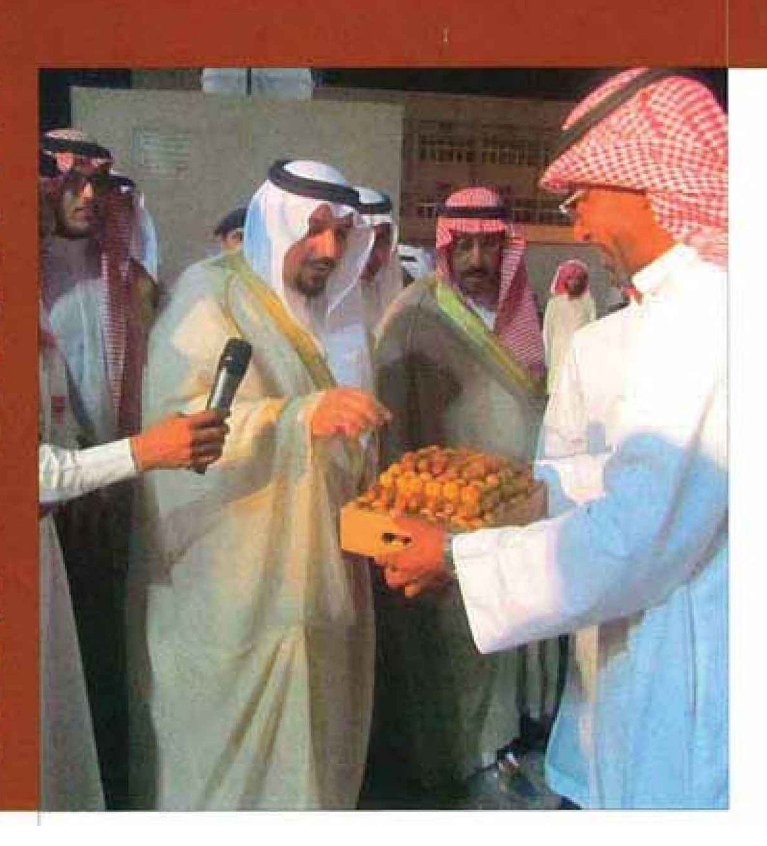
أكد صاحب السمو الملكي الأمير د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز - نائب أمير منطقة القصيم - أن مهرجانات التمور بمنطقة القصيم تسير في الطريق الصحيح، وأنها تتطور باستمرار، خصوصاً أنها حديثة، ولا يتجاوز عمر أقدمها سنوات قليلة، بينما المشروعات والبرامج ذات البُعد المؤسسي تحتاج إلى وقت لتحقيق أهدافها، إلى جانب جدة فكرة المهرجانات التسويقية في مجتمعنا وثقافتنا. وأشاد سموه بما يوليه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز - أمير منطقة القصيم، ورئيس لجنة التنمية السياحية - من اهتمام كبير بهذه المهرجانات، إلى جانب ما يبذله القائمون عليها من جهود مخلصة لتطويرها.

• التنافس من أجل الإبداع

وقال سموه: إن التنافس بين المهرجانات يذكي روح التنافس الخلّاق الذي يقود إلى الإبداع، مع تشجيع كل محافظة على السعي إلى التميّز والتخصّص في جانب معين؛ فهذه المهرجانات على تعدّدها تسعى إلى هدف واحد، هو دعم قطاع إنتاج التمور وصناعتها في القصيم خاصة، وفي المملكة عامة، وتطوير وسائل تسويقها.

• تعاون مثمر

وأشاد سموه بتعاون الهيئة العامة للسياحة والآثار مع الإمارة على دعم مهرجانات القصيم، سواء أكانت مهرجانات الصيف أم الربيع أم التسوق أم التمور، مشيراً إلى أن مساهمة الهيئة ومشاركتها في الحملة الترويجية للمهرجان الوطني للنخلة والتمور في القصيم تمثّلان إضافة رائعة للمهرجان، وتمنحه بُعداً احترافياً في الرسالة الدعائية والإعلامية، مؤكداً سموه أهمية الإعلام في إبراز المهرجانات والترويج لها، مع ضرورة أن يسعى كل مهرجان إلى امتلاك أدواته الإعلامية التي تبرز جهوده ومبادراته.



• دور في حاجة إلى تفعيل

وأكد سموه دور القطاع الخاص في التنمية، ومشاركته الفاعلة فيها؛ اضطلاعاً بمسؤولياته الاجتماعية، وقال: إنه يأمل أن تكون الشركات والمؤسسات والمشروعات المتخصصة في القطاع الزراعي والغذائي والقطاعات الراعية داعمة لهذه المهرجانات، خصوصاً أنها تحقق لها أهدافها الترويجية.

- **دعم وتشجيع**

وقال سموه: إن جائزة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز - أمير منطقة القصيم - للنخيل من أبرز الجوائز المشجعة بالمنطقة، كما أشاد بدور وزارة الزراعة والغرفة التجارية في دعم المهرجانات، إلى جانب دعم جامعة القصيم لأبحاث زراعة النخيل.

- **مدينة التمور في بريدة**

وعن أهمية مدينة التمور في بريدة، أوضح سمو نائب أمير منطقة القصيم أنها هي ثمرة جهود أمانة منطقة القصيم، وتمثّل نقلة نوعية في خدمة منتج التمور؛ لأنها ستوفر سوقاً دائماً ومستمراً لمنتجات التمور ومشتقاتها بما تتميز به من اتساع المساحة، وتنوع المرافق، وستكون رافداً وداعماً رئيساً لمهرجان بريدة للتمور الذي يتمتع بسمعة كبيرة ليس في منطقة القصيم فحسب، وإنما في كل أرجاء المملكة.

- **بادرة جيدة.. ولكن!**

وعن سوق التمور الإلكتروني في عنيزة، قال سموه: إنه بادرة جيدة، مؤمّلاً أن يكون تنفيذ هذه البادرة وتطبيقها وفق ضوابط تسويقية واضحة تحفظ حقوق الطرفين البائع والمشتري، مشيراً إلى أن جمعية البطين الزراعية سبق أن قامت بإجراء دراسة قبل سنوات، وتوصلت إلى وجود بعض المحاذير؛ مما يوجب الاستفادة منها لتأتي التجربة محققةً للأهداف.

- **نموذج ورافد إعلامي**

وعن مجلة (تمور القصيم)، قال سمو نائب أمير منطقة القصيم: إنها نموذج للمجلات المتخصصة، متمنياً أن تتوسع في خدمة النخيل والتمور ونشر الأبحاث والدراسات والموضوعات المرتبطة بالنخيل، مع الاستفادة من آراء المزارعين والمستهلكين وتسجيل ملاحظاتهم ومقترحاتهم على مهرجانات التمور وتنظيمها، مؤكداً سموه أنها تشكّل رافداً إعلامياً مهماً في خدمة مهرجانات التمور بالمنطقة والمساهمة في الترويج لها والتعريف بفعالياتها.

نصيب، وكان حديثه عن مهرجان المجمعة حافزاً إلى البقاء، ولكن كان نداء المهمة التي وكلت إلينا أقوى.

وصلنا إلى بريدة عقب صلاة الفجر، وكان خيارنا أن نتوجّه إلى السوق مباشرةً حتى لا نتكاسل حين تتراءى أسرّة الفندق داعيةً إلى نوم؛ لأن (العمل ملحوق) كما يقولون.

كانت اللوحة الخاصة بالمهرجان المشهد الأول، وقد جاء شعار المهرجان جميلاً في تصميمه ومعبّراً عنه، ثم كان مشهد السيارات المتراصة بانتظام لافتاً للانتباه، وكانت أصوات الدلالين التي تعلو بلا انقطاع من أدلة شدة الحركة في السوق، ومع هذه الحركة بدت حركة أخرى تمثّلت في العمل الذي يجري لإتمام مدينة التمور.

وكان اللافت أيضاً امتزاج روح الشباب مع خبرة الشيوخ؛ فقد تناثروا جميعاً في أرجاء السوق راسمين لوحةً جميلةً تؤكد أن حب التمور سيظلّ يجري في دماء أهل القصيم ما بقيت الحياة، فمن المألوف أن تجد المزارع وقد اصطحب معه أبناءه وأحفاده، وكل منهم يقوم بالعمل الذي يناسبه.

كما أن حبّ العمل يبدو واضحاً في هذه اللوحة؛ إذ يقوم أولاد هم أقرب إلى الطفولة بعملية نقل البضائع مقابل ريالات معدودة يجود بها الزبون، وهؤلاء لا ينسون شقاوتهم التي تفرضها عليهم أعمارهم البضة، فتجدهم يلعبون ويمرحون بالعربات التي يحملون عليها البضائع، وأظنّ أن منهم من ينسى المهمة التي جاء من أجلها مع الاندماج الطفولي في اللعب.

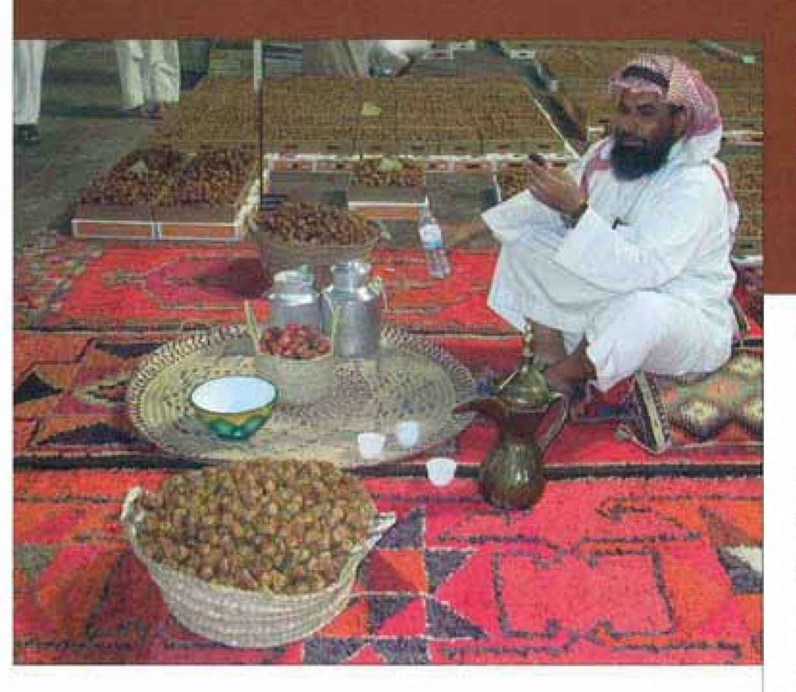
ومع تعدّد عناصر السوق التي ترسم الصورة الكلية كانت الحيرة متمثلةً في السؤال الآتي: من أين نبدأ؟

كانت الخيمة العملاقة المعدة لاستقبال الضيوف رمزاً لما يتّسم به أهل القصيم من كرم الضيافة، وقد وفّقت اللجنة المنظمة في إقامة نموذج لمزرعة على الطريقة القديمة، بما فيها من طرائق للتبادل التجاري قديماً، وأهازيج يردّدها المزارعون، وأعمال حرفية تستخدم فيها مكونات النخيل.

وبمجرد أن وطأت أقدامنا أرض السوق، وأصبحنا وسط أرتال السيارات، بدأنا العمل الذي تمثّل في التصوير، وإجراء الحوارات، وتدوين الملاحظات في محاولة لتقديم صورة أقرب إلى الواقع، مع تأكّدنا من أن من رأى ليس كمن قرأ أو سمع (وما راء كمن سمعا).

عمّال يجهّزون التمر للعرض والبيع

ياسر الدخيل المشرف على التسويق الإلكتروني
التسويق الإلكتروني يتيح لتجار التمور أن يكونوا في قلب السوق وهم في أمكنتهم



في انتظار الزبائن

الأول والأفضل

عبدالله عبدالعزيز العمران يعمل بتجارة التمور في سوق بريدة، وهو يأتي إلى السوق بعد صلاة الفجر مباشرةً، ويمتلك في مزرعته ٤٠٠ نخلة، ويزيد سنوياً من ٤٠ نخلة إلى ٥٠. ومن أنواع التمور في مزرعته: السكري، ونبتة علي، والرشودية، وهو يخصّص كل يوم لنوع معين. ويوضّح أن السوق تتفاوت الأسعار فيه من يوم

إلى آخر، وقد كان البيع قبل قدوم رمضان عالياً، ولكن مع توافر التمور في أسواق المناطق قلّ الإقبال؛ مما يؤثر في السعر.

ويعمل العمران في السوق منذ ثماني سنوات، في حين أنه بدأ الزراعة منذ ٢٠ عاماً، وهو يذكر باعتزاز مهرجان بريدة للتمور الذي يراه الأول والأفضل؛ فهو يستقطب جميع التجار من داخل القصيم ومن المناطق الأخرى. وقال: إن أولاده لا يعملون في زراعة النخيل، ويجدونها صعبة، بينما يجدها هو متعة، وقد أصبح يقضي وقته كله في المزرعة يتابع العمال، وعددهم أربعة، بعد أن كان موظفاً يوزّع وقته بين الوظيفة والزراعة؛ إذ عمل في البلدية مدة ٢٠ عاماً.

تاجر تجزئة

وقال عبدالرحمن سليمان السراح: أحرص على الحضور إلى مهرجان التمور في بريدة لشراء ما أحتاج إليه من تمور لمحل التمور الذي أملكه، وأحرص على شراء السكري بأنواعه، والونانة، وغيرهما. وهذه المهرجانات التي تقام في بريدة وغيرها من مدن القصيم تعطي صيتاً وشهرة لتمور المنطقة، وهي وسيلة لتوسيع الأرزاق، والإجادة من خلال المنافسة بينها.

الملوحي عائلة تتوارث زراعة النخيل واجتذبت زبائن من داخل السعودية ومن دول الخليج.. والسعيد اجتذبه سوق التمور وتقلب المناخ يشغله هو والمزارعين

ويضيف عبدالرحمن أن اختيار البضاعة عملية صعبة، وهو يقضي وقتاً طويلاً حتى يتّخذ قرار الشراء، وهو يعتمد على مدى جودة التمر، ومناسبة السعر، وهو لا يكسب في الكرتونة غير ريالات معدودة، ولكنه ربح مرض له.

كاتب السوق

يقول أحمد حمد التويجري، وهو كاتب في أحد المكاتب: إن وظيفته هي تسجيل ما يقوم التجار المتعاملون مع المكتب ببيعه من التمور، ويرى أن أكثر التمور رواجاً هو السكري المفتل، أما أكبر بيع تمّ بالنسبة إليه فكان بمبلغ ٣٦ ألف ريال، وكان أعلى سعر للسكري الفاخر ٤٠٠ ريال، وفي الأغلب يراوح السعر بين ٢٠٠ ريال و١٠٠، وقد ينخفض السعر إلى ١٦ ريالاً أو أقلّ، ويراوح سعر الخلاص بين ١٥ ريالاً و٤٠ للكيلو الواحد. ومن أنواع التمور في بريدة المكتومي، والبرحي، والونانة، والسكرية الحمراء والصفراء والشقراء، ونبتة علي، والرشودية، ونبتة سلمى، والصقعي والخضري، وغيرها.

التاجر الأصغر

عبدالعزيز العتيق يمكن أن يكون أصغر بائع تمور في سوق عنيزة؛ لأنه في الصف الثاني المتوسط، وهو يقول: إنه يشتري بضاعته من التمور من الدلالين، ويبيع يومياً أربعة كراتين، وهو يشتري الكرتونة بـ١٥ ريالاً، ويبيعها بـ٥٥ ريالاً، وهو لا يتاجر إلا في السكري؛ لأنه الأكثر رواجاً.

ويفضل عبدالعزيز البيع والشراء على اللعب، ولا يصرف شيئاً على البيت، بل يحتفظ بالربح لنفسه، وفي حالة عدم صرف البضاعة فهو يدفعها للدلال (ليحرج) عليها، وقد يبيعها بالسعر الذي اشتراها به، وفي قليل من الأحيان يبيعها بخسارة.

دعاية متحركة

بدا محمد النهابي - موظف حكومي - متحمساً جداً وهو يحكي ارتباطه بمهرجان عنيزة، فقال: أعمل في مدينة جدة، وأحرص سنوياً على حضور المهرجان عدداً من المرات، وأنتهز الفرصة لشراء هدايا من التمور لأصدقائي، وهذا المهرجان أصبح مفخرة حقيقية لأهل القصيم، وقد اكتسب شهرة واسعة، سواء ذلك الذي في بريدة أم في عنيزة، وأينما أذهب أجد أسئلة حول تمور القصيم من خلال ما يتناقله الإعلام عن مهرجانات التمور.

- ## انتعاش سياحي

تسهم مهرجانات التمور التي تقام بشكل سنوي في منطقة القصيم في زيادة الإقبال على الفنادق والشقق المفروشة، حتى وصلت نسبة الإشغال خلال مدة إقامتها إلى ١٠٠٪ لاستقطاب المهرجانات الزوار والتجار الذين يفدون لشراء التمور، كما شهدت الاستراحات في المزارع إقبالاً من الخليجيين للسكن، وتوفير مواقع لتخزين التمور قبل شحنها إلى دول الخليج.

ويؤكد الدكتور جاسر بن سليمان الحربش - المدير التنفيذي لجهاز السياحة في منطقة القصيم - أن مهرجانات التمور تسهم في تحريك القطاعات الأخرى، وعلى رأسها قطاع الفنادق والشقق المفروشة؛ مما يتطلب كثيراً من الاستثمارات في مجال الفنادق من فئة الخمس نجوم، متوقعاً أن تستقطب مثل هذه المهرجانات رؤوس أموال في الخدمات المساندة.

- ## ضعف التسويق

يبدو التسويق هاجساً يؤرّق المزارعين والتجار والمستثمرين في مجال النخيل والتمور. ومع أن المهرجانات حقّقت رواجاً لتمور القصيم إلا أن الشكوى لا تزال قائمة من ضعف التسويق.

وكان سمو نائب أمير منطقة القصيم قد قال عند تدشينه مهرجان التمور في بريدة: «إننا لا نستغرب أن نرى منتجات التمور السعودية في الدول الأوربية؛ لكوننا نملك جودة في المنتج لا مثيل لها، ولكن ينقصنا في المملكة بصفة عامة، والقصيم بصفة خاصة، تقنية إخراج تسويقي حديثه».

ويوضح المهندس سلطان الثنيان - رئيس لجنة التمور في الغرفة التجارية الصناعية بمنطقة القصيم - أن ملاّك النخيل وأصحاب مصانع التمور يعانون ضعف دور التسويق والتصدير؛ إذ إن النسبة الحالية من صادرات التمور لا توازي حجم الإنتاج، مطالباً بعمل مؤسسي يخدم جميع الأصناف على اختلافها باختلاف مناطق زراعتها للإسهام في عمليتي التسويق والتصدير.

ويشير علي الفايزي - عضو لجنة التمور في الغرفة التجارية الصناعية بالقصيم - إلى أن المشكلات التي تواجه عملية التسويق داخلياً وخارجياً تتركز في ارتفاع تكاليف النقل؛ لبعد مناطق الإنتاج عن مراكز التسويق من ناحية، وحاجة التمور إلى سيارات نقل مبردة من ناحية أخرى. ومن مشكلات التسويق - حسبما يوضّح - غياب دور التسويق التعاوني للتمور، وعدم اهتمام صغار منتجي التمور بعمليات ما بعد الحصاد من حيث الفرز والتعبئة.

- ## أكبر كرتون تمور لباكستان

قام الأستاذ عبدالعزيز التويجري - تاجر التمور، وصاحب شركة هضيم للتمور - بشراء أكبر كرتون تمر، وهو يسع ١٥٠٠ كرتون تمر من الحجم العادي، في مزاد للتمور شهده الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود - نائب أمير منطقة القصيم -، وبلغت قيمة الكرتون (الجامبو) ١٠٠ ألف ريال سعودي، وقد تبرّع التويجري بهذه الكمية لدولة باكستان الشقيقة التي تعرضت لكارثة الفيضانات مؤخراً.



الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة الأكثر استهلاكا للتمور.. وقبل رمضان تزداد حركة السوق و زراعة السكري أنجح في القصيم.. والبرحي تصلح له الجوف

وقد جاء أصدقاء لي من دولة الإمارات الشقيقة خصيصًى بعد أن أعطيتهم فكرة عن المهرجان، وقاموا بشراء كميات كبيرة، وأبدوا إعجابهم بالمهرجان، وبأنواع التمور الموجودة فيه. وأنا شخصياً أشتري كميات كبيرة حسب طلب أصدقائي، وأشحنها لهم، وأشعر بالفخر عندما يُطلب مني ذلك، وعلينا جميعاً أن ندعم هذه المهرجانات التي تحقق حراكاً اقتصادياً واضحاً في المنطقة.

نعمة عظيمة

يقول إبراهيم الحمدان: أنعم الله علينا بهذه التمور، وبهذه الأنواع الجيدة التي تستحقّ الشكر والمحافظة، وأنا - بحمد الله - أملك نحو ١٣٠٠ نخلة، تشتمل على ٤٥ نوعاً من التمور، وقد منحنا المهرجان فرصة تسويق منتجاتنا التي تتزايد عاماً بعد عام بفضل ما نجده من رعاية وزارة الزراعة، واهتمام المسؤولين في المنطقة، وعلى رأسهم سمو أمير المنطقة وسمو نائبه. وهذه الثروة الوطنية هي فخر لنا. ولا شك أن تزايد الطلبات من الدول العربية الشقيقة وغيرها دليل على جودة تمور المنطقة التي أنعم الله عليها بأرض خصبة تصلح لأنواع كثيرة من التمور.

علاقة قديمة ومتجددة

توجد في القصيم أسر كثيرة ترتبط بزراعة النخيل منذ أمد بعيد، وقد جذب رواج تجارة التمور أجيالاً جديدة اقتحمت المجال، ولعل النموذجين الآتيين يوضّحان الصورة بشكل أفضل.

أجيال تتوارث

يقول يوسف إبراهيم الملوحي: أشارك في هذا المهرجان منذ انطلاقه، بل إن وجودنا في سوق التمور من أيام السوق القديم، ولي في هذا المجال أكثر من عشرين عاماً، بينما بدأ والدي منذ سنة ١٣٨١هـ، ومعه شقيقاه محمد وعبدالرحمن. عندنا الآن ما يقارب ١٥ مزرعة، ومتوسط النخيل في كل مزرعة ٢٠٠٠ نخلة. أما الأنواع الموجودة في تلك المزارع، فمنها السكري، والبرحي، والخلاص، ونبتة سيف، والمكتومي، ونبتة راشد، والشقراء، والونانة، والصقعي، وأنواع أخرى كثيرة. وقد تم التحول في أسلوب الزراعة من الأسلوب القديم إلى الأسلوب الحديث الذي يعتمد على شبكة ري بالتنقيط؛ مما يقلّل عدد العمالة، حتى إن عاملاً واحداً يكفي للمزرعة الواحدة، كما أن الري كان يستمر أياماً، بينما الآن تكفي ساعات قليلة لريّ كل المزارع.

وعن المهرجان وما أضافه إلى المزارع وتجارة التمور، قال الملوحي: لقد جلب لنا المهرجان الزبائن من مختلف أنحاء المملكة، ودول الخليج العربي، وحقق الشهرة لتمور القصيم، وأصبح من المعتاد أن تشاهد الأشقاء الخليجيين ومن الدول العربية الأخرى مثل مصر وسورية وغيرهما، وتتم الصفقات حالياً في سوق التمور، وهناك صفقات تتم في المزارع، وكل مزرعة زبائنها معروفون. وأذكر أن الأشقاء في الكويت عرفوا تمورنا في أيام الأزمة، وأصبح لنا زبائن منهم يحرصون على الحضور سنوياً إلى القصيم لإتمام الصفقات الكبيرة. وساعد المهرجان على زيادة قيمة التمور؛ فقد

اتخاذ قرار الشراء يحتاج إلى تشاور حتى بالهاتف



زراعة السكري أنجح في القصيم.. والبرحي تصلح له الجوف



كانت العبوة تراوح بين ١٠ ريالات و١٥ ريالاً، وارتفع السعر إلى ما بين ٤٠ ريالاً و٥٠، وهناك أصناف بأسعار أعلى من ذلك بكثير.

أما المنطقة الأكثر استهلاكاً في رأي يوسف الملوحي فهي الرياض، ثم مكة المكرمة والمدينة المنورة، والنوع الأكثر رواجاً هو السكري بلا منازع. وأوضح الملوحي أن هناك محاولات بُذلت لزراعة السكري في مناطق خارج القصيم إلا أن النتائج لم تكن مشجعة، ويبدو أن تربة القصيم هي الأكثر ملاءمة لهذا النوع من التمور. ومزارع السكري عندنا في القصيم، إلى جانب الخلاص، وقليل من البرحي. أما على طريق بريدة - حائل فهناك السكرية

اليوسف: الزراعة داعم رئيس



أوضح المهندس محمد إبراهيم اليوسف - المدير العام للمديرية العامة للزراعة بالقصيم - أن منطقة القصيم من أشهر مناطق المملكة في الزراعة، ومن أهمها زراعة التمور، وهي من أفضل المناطق في التمور نوعاً وكماً، ومن أهم أنواعها السكري بنوعيه الأصفر والأحمر، والبرحي، وغيرهما من الأنواع التي تتميز بجودتها؛ مما جعل الناس يقبلون عليها من داخل المملكة وخارجها. ويبلغ عدد النخيل في القصيم ٥ ملايين و٨٠٠ ألف نخلة، والمنتج منها في الوقت الحاضر ٣ ملايين نخلة.

وأكد اليوسف أن الوزارة تقدم كل الدعم للمزارع من أجل أن يكون لهذا المنتج مردوده الاقتصادي. وتشجّع الوزارة على زراعة الأنواع الجيدة، وقد أصبح للمزارع دراية كافية بتلك الأنواع، وتقوم الوزارة بمكافحة الآفات، وتقديم الإرشادات اللازمة، وتوفير الخدمات الضرورية، وتزويده بأحدث سبل الإنتاج والتخزين والتسويق والتصدير من خلال الارتباط المباشر بالمزارع. وأضاف أن التصدير يتزايد بفضل السمعة الجيدة للتمور السعودية في مختلف الأسواق، وكان للمهرجانات دور كبير في بناء هذه السمعة، ويتواكب مع زيادة التصدير زيادة كبيرة في الإنتاج، ونتوقع زيادة مطردة في السنوات المقبلة؛ لأن النخلة تبدأ في الإنتاج بشكل كبير بعد سنوات، ومن الأرقام التي سبق ذكرها يتضح أننا موعودون - إن شاء الله - بإنتاج غزير في المستقبل القريب. ولا شك أن المهرجانات رافد رئيس في التسويق، وما تجده من تغطية علمية واسعة من مختلف الأجهزة ساعدت على تشكيل الصورة الذهنية الطيبة عن تمور القصيم.

وتسعى كل محافظة في القصيم إلى إبراز جودة منتجاتها، خصوصاً أن كل واحدة منها تتميز بنوعيات معينة من التمور؛ مثل: محافظة المذنب التي تتميز بنوعية طيبة من السكري، وهي السكرية الحمراء، وهكذا الحال في مختلف المحافظات. والوزارة لها توجّه واضح وجيد في مكافحة السوسة، ولها إستراتيجية للسيطرة على هذه الآفة. وقال: إن المزارعين لهم خبرة في نقل الأصناف من منطقة إلى أخرى من خلال معرفتهم بالمناخ الملائم، والتربة الصالحة لكل نوع.

وذكر اليوسف أن الشباب يولي اهتماماً كبيراً بهذه الثروة الوطنية، ويسهم بشكل كبير في عملية الإنتاج في المزارع، وفي المهرجانات، وفي التسويق. ويتيح العمل في هذه المجال فرصاً وظيفية متعددة للشباب، خصوصاً أن المهرجانات أعطت بُعداً تسويقياً وسياحياً؛ مما هيأ فرص عمل كثيرة للشباب في مجالات متعددة.

والخلاص، أما البرحي ففي الجوف لأنه يتأخر، وقد خصّصنا المزارع ليكون الإنتاج الجديد موجوداً أكبر مدة ممكنة. وفي البدائع توجد أربع مزارع مخصّصة للخلاص والصقعي والسكري، والآن نحن بصدد إقامة مصنع للتمور؛ لأن الإنتاج في زيادة مطردة؛ لاستيعاب هذا الإنتاج، والعمل على توفيره طوال العام، وتراوح نسبة الزيادة بين ١٠٪ و١٥ سنوياً.

وعن عدد المزارع المشاركة في المهرجان، قال اللوحي: العدد كبير جداً، وتقديري أنه يزيد على ٢٠٠ مزرعة. ويذكر اللوحي باعتزاز توارث زراعة النخيل والاهتمام بها في الأسرة، مشيراً

العمران عمل في البلدية ٣٠ عاماً ووجد متعته في زراعة النخيل وبيع التمور.. والعتيق أصغر تاجر تمور غلب لديه بيع التمور والمكسب على لهو الأطفال

إلى أن شقيقه سليمان الملوحي هو الداعم الأكبر، وهو المهتم حالياً بإقامة مصنع التمور. ويسعى إلى أن يعتمد على الشباب السعودي في هذا المجال؛ لأن النخيل بركة، وفيها خير كثير.

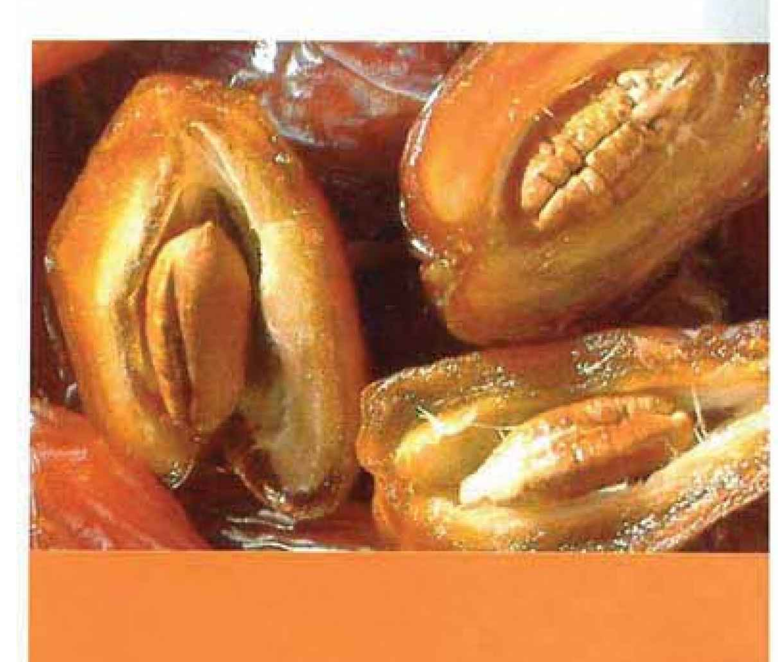
وعن الاهتمام بتجارة التمور، قال الملوحي: إن المُزارع في الماضي كان يترك بضاعته للدلال ويذهب. أما الآن فإنه يحضر عملية البيع، ويحرص أكثر على متابعة السوق؛ لذلك زادت حركة البيع وأصبحت تجارية.

ويستعرض الملوحي المراحل التي تمرّ بها عملية إنتاج التمر، فيوضح أن البداية تكون بالكفح، وبعد ذلك هضم النواة نفسها، ويسمى التفريط، وذلك حتى تصبح حبة التمر كبيرة، فيفصل بين المرحلتين ١٥ يوماً. ويتحول التمر من اللون الأخضر إلى اللون الأصفر، وتفضّل البرحي أن يكون أصفر. أما السكري فيفضل أن يصل إلى مرحلة التنصيف، ويفضل هذا النوع أهل الرياض ومكة المكرمة. وبعد هذه المرحلة نقلل ماء الري حتى لا تجف التمور، ويفضل أهل القصيم التمرة الأقرب إلى الجفاف. ويتم بعد ذلك جني التمور، وحملها إلى السوق. ويشير الملوحي إلى أن عملية التلقيح يقوم بها عمالة من

كل محافظة في القصيم تتميز بنوعية معينة من التمور، مثل المذنب التي تشتهر بالسكرية الحمراء

باكستان ومصر، وكذلك الجني. وأوضح أن الجمعية التعاونية بعنيزة وفّرت ضمادين من الشباب السعودي يقومون بعملية كبس التمور في أكياس، بعد أن تمّ تأهيلهم من خلال دورات. كما أن الجمعية وفرت مجموعة من النساء اللاتي يعملن في عملية التغليف والتعبئة؛ مما أتاح فرص عمل للكثيرات. وقال الملوحي: إن هناك من يشتري بالجملة من المزارع، ويأتي لعرض التمور في السوق. أما المرحلة الأخيرة، فيقول يوسف الملوحي: يتم قطع القينان والجريد الجاف وتنظيف ما حول النخلة والعناية بها؛ تعبيراً عن الشكر لما قدمت. وتتم تعبئة التمور في الكراتين في المزارع، ويقدّر عدد الذين يعملون في ثلاث مزارع يتولى مسؤوليتها بنحو ٤٠ عاملاً. وفي السوق، يقوم الدلال بوضع التمور في فئات حسب نوعيتها، ويفتح باب المزايدة بالسعر الذي يناسب كل صنف. وتفتح باب الفاخر في المزاد من ١٠٠ ريال إلى ٢٠٠، أما الوسط فأسعاره من ٧٠ ريالاً إلى ٨٠، وهكذا.

وسألنا يوسف عن وجود سكري بقيمة ٢٦ ريالاً، فقال: هناك نوع بقيمة ١٥ ريالاً، ويعتمد تحديد السعر على الحجم وعلى اللون؛ فهناك أحمر، وأشقر، وأصفر، وأوضح أن اللون يكون بتأثير التربة؛ فالتربة الطينية تخرج التمرة الحمراء، بينما التربة الرملية تخرج التمرة الصفراء.



وعن ارتفاع سعر الفاخر، قال: إن لكل نوع زبائنه، والتاجر الذي يشتري بقيمة ١٠٠ ريال يبيعه في الأسواق الأخرى بقيمة ٢٠٠ ريال وأكثر. وأوضح أن الفاخر يصلح للهدايا. وختم الملوحي بالشكر للقائمين على المهرجان، وبشّر بأن السوق الجديد سيكون داعماً لنجاح أكبر للمهرجان، ويبدأ العمل فيه من العام المقبل.

قادم جديد

والنموذج الثاني كان يوسف محمد السعيد، الذي يقول: أنا لي نحو ٢٥ عاماً في تجارة التمور، ولم يكن دخولي إلى هذا السوق متوارثاً، وإنما جاء من رغبة ذاتية؛ لإحساسي بأنه وسيلة جيدة لتأمين حياة كريمة، إلى جانب معايشتي والدي الذي كان له صلة بسيطة بهذا المجال، وهو يحاول تأمين احتياجات الأسرة من التمور برعاية عدد قليل من النخيل من دون أن يكون له قصد تجاري.

وأشار يوسف إلى أن السوق قد يشهد هزات؛ بسبب قلة الإقبال، أو بسبب عوامل مناخية تؤثر في النخيل، ولكن في المجمل تعدّ تجارة التمور تجارة مباركة. وأوضح أنه بدأ تجارته من خلال الحراج الشعبي على النخيل. فكان في كل موسم يشتري نحو ٥ نخلات أو أكثر حسب المستطاع، إلى أن تكاثر لديه عدد النخيل. ثم بدأ في شراء المزارع الصغيرة، وهو لديه الآن ١٤ مزرعة، ويتفاوت عدد النخيل في كل منها؛ فهناك مزرعة بها من ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ نخلة، وهناك مزرعة بها ١٠٠ نخلة أو أكثر. ومع أن أنواع النخيل كثيرة إلا أن التركيز في السكري، وإلى جانبه يوجد البرحي، والرشودي، ونبتة علي، والونان، والصقعي، والخلاص، وغيرها. وأوضح أن الصنف يتحدد من خلال رطوبته ولونه وحجمه، وهناك ست درجات من اللون. أما الرطوبة، فيعني بها أن هناك الرطب، والجاف، وما بينهما. وتحتاج معرفة الصنف ومدى جودته إلى الخبرة.

وعن أصعب مراحل التعامل مع النخلة، قال السعيد: إن مرحلة الجني هي الأكثر صعوبةً؛ بسبب الخوف من تقلب المناخ؛ مما يؤثر سلباً في مستوى نضج التمرة؛ لذا ترتفع التكاليف في هذه المرحلة لتجنب أيّ أضرار.

وأوضح يوسف السعيد أن نجاح تجارته كان له الأثر في الأسرة؛ فهناك ابن شقيقه الذي واصل هذه التجارة، وأصبح يوزع التمور في

- «السعفة الضوئية» للمصورين

نظّمت لجنة التصوير الضوئي بالقصيم مسابقة (السعفة الضوئية) الدولية ضمن احتفالية بريدة بجني محصول النخيل في الموسم الحالي، وتهدف هذه الجائزة إلى إبراز الأشكال العامة والمختلفة للنخلة ومنتجاتها بصور ضوئية. وقد فاز بالمركز الأول محمد المهنا من محافظة الأحساء (محترف)، وجائزته ٣٠٠٠ ريال، والمركز الثاني خالد البدنة من محافظة الأحساء (رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية للتصوير الضوئي)، وجائزته ٢٠٠٠ ريال، والمركز الثالث ريان الزنيدي من محافظة عنيزة (محترف)، وجائزته ١٧٥٠ ريالاً، والمركز الرابع بندر الجابر من محافظة عنيزة (محترف)، وجائزته ١٥٠٠ ريال، والمركز الخامس جلال رفعت من مصر (محترف)، وجائزته ١٠٠٠ ريال. وقام صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود - نائب أمير منطقة القصيم - بتكريم الفائزين. وبلغت المشاركات ٢٧٠ مشاركة من مناطق المملكة وبعض الدول العربية.

- ديوالية شباب الأعمال

عقدت لجنة شباب الأعمال في منطقة القصيم ديوانية شباب الأعمال في القصيم بعنوان: (الفرص في سوق التمور كيف نغتنمها؟)، وذلك عبر حوار مفتوح مساء يوم الجمعة ١٧ رمضان في مقرّ خيمة الضيافة داخل مدينة التمور بمدينة بريدة، وتم خلالها تكريم عدد من شباب الأعمال في قطاع التمور بالمنطقة.

- هدايا للزوار في النخيل بلازا

قامت اللجنة الرئيسة لمهرجان التمور ببريدة بتقديم هدايا مختلفة وكميات كبيرة من التمور للزوار والمتسوقين في أسواق النخيل بلازا ببريدة. وأبدى عدد من المتسوقين سعادتهم بمثل هذا الاهتمام من لجنة مهرجان التمور بمثل تلك الحملات التسويقية للمهرجان في التجمعات العائلية الكبرى.

- موقع متميز

جاء موقع مهرجان بريدة للتمور متميزاً في محتواه وإخراجه الفني، واشتمل على تغطية واسعة لفعاليات المهرجان، ومتابعة دقيقة لمساراته، مع معلومات وافية مثّلت مصدراً مهماً، إلى جانب الصور الفنية العالية الجودة، التي تم الاعتماد عليها من وسائل الإعلام المختلفة. وعنوان الموقع هو: http://www.bur-dates.com

- تغطية إعلامية واسعة

حظيت مهرجانات التمور في منطقة القصيم بتغطية إعلامية واسعة من الصحف السعودية والعربية والأجنبية، إلى جانب القنوات الفضائية المختلفة، التي حرصت على التسابق من أجل نقل فعاليات المهرجانات التي مثّلت مادة متميزة لها، وقد وفّر القائمون على المهرجانات التسهيلات اللازمة لكل وسائل الإعلام.



المناطق الأخرى. وقال: إن الدلالين في السوق من أصحاب الخبرة، وتبلغ نسبة ما يحصل عليه الواحد منهم ٧٪، وتتفاوت مستوياتهم، وهناك دلالون معروفون لهم اسمهم. وأوضح أنهم لا يتدخلون في عمل الدلال إلا إذا شعروا أن السعر لا يناسب قيمة البضاعة.

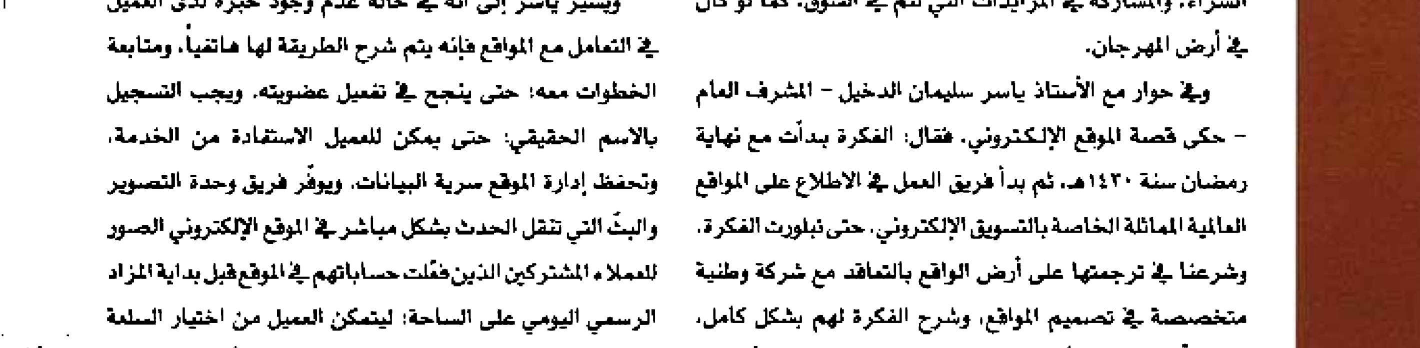
برنامج رمضاني

وقال الشاب محمد السعوي: إنه يأتي مع إخوانه إلى السوق على سبيل التنزّه، وهو يعجب بمشاهدة الدلالين وهم يدللون على البضائع، ولاحظ أن الأسعار عالية. وقد اشترى احتياجات رمضان قبل بداية الشهر، ولكنه يأتي إلى السوق كل أسبوع كبرنامج رمضاني مسلٍّ.

أرقام

وأوضح يوسف بن عبدالله الدخيل - المشرف العام والرئيس التنفيذي للمهرجان - أن عدد السيارات التي أفرغت حمولتها من التمور خلال الأسبوع الأول من المهرجان تجاوز ٦٧٧٨ سيارة من مختلف الأحجام، وكانت نسبة السكري في المبيعات أكثر من ٨١٪. وكانت الكمية المباعة في الأسبوع الأول نحو ٥ ملايين و٥٠٠ كيلوجرام، وراوح عائد المبيعات اليومي بين ٥ ملايين ريال و٧.

التسويق الإلكتروني.. الأول في العالم



يعدّ السوق الإلكتروني في مهرجان عنيزة هو الأول من نوعه في العالم، وقد هيّأ للعملاء في أيّ مكان من العالم تنفيذ عمليات الشراء، والمشاركة في المزايدات التي تتم في السوق، كما لو كان في أرض المهرجان.

وفي حوار مع الأستاذ ياسر سليمان الدخيل - المشرف العام - حكى قصة الموقع الإلكتروني، فقال: الفكرة بدأت مع نهاية رمضان سنة ١٤٣٠هـ، ثم بدأ فريق العمل في الاطلاع على المواقع العالمية المماثلة الخاصة بالتسويق الإلكتروني، حتى تبلورت الفكرة، وشرعنا في ترجمتها على أرض الواقع بالتعاقد مع شركة وطنية متخصصة في تصميم المواقع، وشرح الفكرة لهم بشكل كامل، وتم تسلّم الموقع بعد أن خصّص سيرفر خاصّ للموقع في أمريكا؛ حفاظاً عليه من الاختراق. وتمّ إجراء التعديلات اللازمة، إلى أن بلغ الموقع الحد الذي نراه محققاً للهدف من خلال الاسترشاد بآراء مختصين بتصميم المواقع. وانطلق الموقع بعد أن قام بتدشينه الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود - نائب أمير منطقة القصيم، حفظه الله - لتتلو ذلك حملة دعائية واسعة استطعنا من خلالها استقطاب عملاء من مناطق المملكة المختلفة، إلى جانب دول الخليج، خصوصاً من قطر والكويت والإمارات.

ويوضّح ياسر أنه يمكن لأيّ عميل في أيّ مكان في العالم أن يتسوق بحرية وارتياح في سوق عنيزة الدولي للتمور؛ بفضل تطبيق فكرة التسوق الإلكتروني، وتؤمّن إدارة السوق الكمية المطلوبة، وتعمل على تسليمها إلى العميل في المكان الذي يختاره، بعد نقله بطريقة آمنة تضمن سلامة البضاعة.

ويبدو الاشتراك في مزادات السوق سهلاً وبسيطاً حسبما يشرح ياسر الدخيل، فما على العميل إلا الدخول على الموقع الإلكتروني الخاص بمهرجان هذا العام، ورابطه هو: www.altomor.com، ثم يقوم بالتسجيل من خلال تعبئة نموذج يشتمل على كل البيانات الخاصة به، التي تيسّر التواصل معه، ويتم تفعيل العضوية بعد موافقة العميل على شروط الاشتراك، ثم تسجيل الدخول فيه عن طريق تعبئة كل البيانات الأساسية للموقع، وتقوم الإدارة بدفع عشرة ريالات قيمة الاشتراك حتى يمكن للعميل التعامل مع السوق. ويحدد العميل المبلغ المخصّص لشراء التمور، وفي هذه الحالة يضاعف له المبلغ؛ إذ يمكنه الشراء بهذا المبلغ المضاعف على أن يقوم بتحويل المتبقي خلال ٤٨ ساعة. وإذا لم يفعل تقوم إدارة المهرجان ببيع المنتج على حساب المتسوّق.

ويشير ياسر إلى أنه في حالة عدم وجود خبرة لدى العميل في التعامل مع المواقع فإنه يتم شرح الطريقة لها هاتفياً، ومتابعة الخطوات معه؛ حتى ينجح في تفعيل عضويته. ويجب التسجيل بالاسم الحقيقي؛ حتى يمكن للعميل الاستفادة من الخدمة، وتحفظ إدارة الموقع سرية البيانات. ويوفّر فريق وحدة التصوير والبثّ التي تنقل الحدث بشكل مباشر في الموقع الإلكتروني الصور للعملاء المشتركين الذين فعّلت حساباتهم في الموقع قبل بداية المزاد الرسمي اليومي على الساحة؛ ليتمكن العميل من اختيار السلعة التي سيزايد عليها، ويختار السعر المتوقع في ظل الأسعار التقريبية

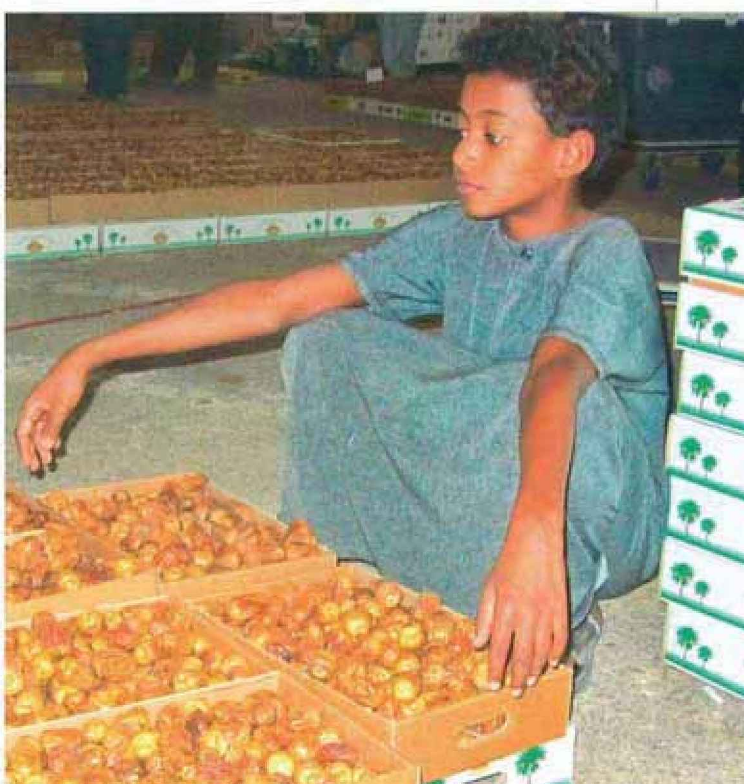
التي توفرها وحدة تقويم التمور، والمعلومات المتوافرة عن نوع التمر وجودته، وعدد العبوات المعروضة، والوزن التقريبي للعبوة الواحدة، وحجم التمر. وهذه الوحدة تضم خبراء في التمور يستطيعون توفير الحقائق للعميل، التي على ضوئها يختار القرار الأنسب. وتشمل المعلومات نوعية التمر التي تصلح للتخزين، وتلك التي تُؤكل مباشرة، وغير ذلك من المعلومات الدقيقة.

ويضيف ياسر: يظلّ الاتصال قائماً بين العميل ووحدة المتابعة في السوق في كل مراحل المزاد، وإذا نجح العميل في شراء السلعة تبدأ مراحل جديدة، فتقوم وحدة نقل التمور وحفظها بعملية الحفظ في أمكنة وثلاجات متخصصة تحفظ جودة التمور، ومن خلال بيانات العميل التي تعرف موقعه بالتحديد يتم نقل الكمية المشتراة بما يضمن سلامة التمور.

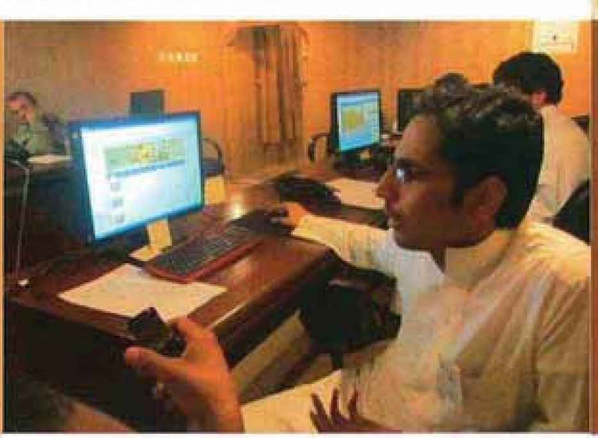
ويشير ياسر إلى أن إدارة السوق الإلكتروني خصّصت أرقام هواتف ثابتة وجوالاً وبريداً إلكترونياً لتسهيل عملية التواصل مع الإدارة في أيّ وقت؛ حتى يمكن موافاته بخدمة متكاملة متى طلبها.

ويضم فريق التسويق عدداً من الشباب الذين يقومون بمهام مختلفة؛ ففي فريق غرفة العمليات يتم استقبال الطلبات، وإتمام المزايدات، وتنزيلها في الموقع. وأضاف ياسر: حرصنا على عدم تعطّل عمليات البيع والشراء أو إغلاق الموقع لأيّ سبب من الأسباب؛ لذا تم توفير فريق صيانة للأجهزة متخصّص يقوم بمتابعة شبكة الحاسب وكاميرات البث المباشر. وختم الدخيل حديثه قائلاً: إن المزاد كسب ثقة الجميع من خلال الأرقام التي يرصدها من واقع مصداقية من دون تضخيم وتهويل، مستدلاً بالزيارات التي تنهال عليهم لمعرفة فكرة المزاد واستنساخها في مهرجانات أخرى.

العتيق أصغر تاجر تمور



ياسر الدخيل المشرف على التسويق الإلكتروني



شكر وتقدير

تشكر مجلة «الفيصل» الإخوة الأفاضل الذين أسهموا في تسهيل مهمة وفد المجلة عند إجراء استطلاع مهرجان التمور، وهم الأساتذة: يوسف بن عبدالله الدخيل - المشرف العام على مهرجان عنيزة الدولي للتمور، ويوسف بن إبراهيم الملوحي، ومساعد فهد السعدوني، وعارف العضيلة - رئيس اللجنة الإعلامية للمهرجان.

العياف: الصناعة حلّ لمشكلة التسويق

قال عبدالله سليمان العياف – مزارع نخيل، ورئيس جمعية منتجي التمور بمنطقة القصيم-: إن مهرجانات التمور ظاهرة حضارية، وهي تؤدي دوراً كبيراً في الترويج لهذه السلعة الوطنية من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وفي هذا العام وصلت سمعة التمور السعودية بفضلها إلى دول الخليج، بل تخطتها إلى دول عربية أخرى وأجنبية. وأضاف: مع أن هذه المهرجانات مهمة في الترويج إلا أنني أرى أننا مازلنا في البداية، وتحتاج عملية التسويق إلى جهود كبيرة تتلاءم مع جودة تمورنا، وما يبذل من جهد في زراعتها.

وأشاد العياف بتجاوب صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود – نائب أمير منطقة القصيم، والرئيس الفخري للجمعية – مع الدراسة التي رفعتها الجمعية بخصوص عبوات التمور، مشيداً بمنع استخدام (أوعية السطول) في بيع التمور وتداولها في أسواق تمور منطقة القصيم ومهرجاناتها، وأوضح أهمية توحيد العبوات باستخدام صناديق بلاستيكية شفافة مصنّعة من المادة الأساسية للبلاستيك والكرتون والفلين والخشب مخصّصة لبيع التمور. وأوضح رئيس جمعية منتجي التمور أن الجمعية بحثت مع المختصين في شركة سابك موضوع العبوات المناسبة، فذكروا خطورة أوعية (السطول)؛ لأنها من البلاستيك المدور وليس الخام، وهذا الأمر لا يناسب أن تصنع منه عبوات لحفظ التمور، إلى جانب أنها تساعد على الاستغلال؛ بسبب إمكانية التلاعب في كمية العبوة، كما أنها تحتل مساحة كبيرة عند النقل، وقال: إن الأوعية الجديدة تشجّع على التسويق؛ بسبب مظهرها الراقي. ويؤكد العياف أن تسويق التمور على نحو احترافي يتطلب ضرورة الاستفادة منها صناعياً، بدلاً من اقتصار الفائدة على التناول المباشر، ومن هذا المنطلق أعدت الجمعية مشروعين: أحدهما مصنع للتمور بطاقة ١٠ آلاف طن، والثاني مخازن تبريد بطاقة ٣٠ ألف طن. والصناعة نوعان: هما: الصناعة التكميلية، والصناعة التحويلية، ويبدو أن العمل في الوقت الحالي ينبغي أن يتركز في الصناعة التكميلية، التي تعني استخدام التمور مع الخبز، وفي الآيس كريم، والحليب، والمربيات، وغير ذلك، بينما تأتي الصناعة التحويلية لاحقاً، ومن أمثلتها إنتاج الخلّ والكحول الصناعي والطبي، ولعل ما يشجع هنا أن التمور لا حدود لها في الاستخدام بعكس الفواكه الأخرى.وعن دور جمعية منتجي التمور، قال: إنها تتركز في إرشاد المزارع، والدفاع عن مصالحه، والعمل على محاربة الآفات، خصوصاً السوسة التي تمثل سرطان النخيل، ويتم ذلك بدعم كبير من وزارة الزراعة التي رصدت أموالاً كثيرة لهذا الهدف، وقد أصدر سمو أمير المنطقة توجيهاته بمنع دخول الفسائل الموبوءة، وشدّد كثيراً على المنافذ؛ مما كان له دور كبير في حماية نخيل القصيم من الآفات، إلى جانب دعم صناعة التمور من أجل تسويق الفائض، وتحسين نوعية التمور. وعن استقطاب هذا المجال الشباب، أوضح أن الجمعية وقّعت اتفاقية مع كلية الغذاء والبيئة في بريدة، بالتنسيق مع الموارد البشرية، لتدريب الشباب على الأعمال المتعلقة بتصنيع التمور، متمنياً أن يكون هناك تجاوب من الشباب؛ لأن المجال بكر، ويستوعب كثيراً من الأيدي العاملة، وقد دعا رجال الأعمال إلى الإسهام في صناعة التمور من أجل أن يكون للتمور دور أكثر فاعلية في حركة الاقتصاد.



أسئلة منجمة

أحمد نمر الخطيب
إربد - الأردن

(١)

جُنَّ ليلي على أصابع تمشي ... فوق ناي الندى ورقّة نعشي
كان شمعاً وكنتُ فيه منادًى ... أين بالله تأخذ عيني ورمشي؟
قلتُ: يا ليل إنك الآن تهذي ... فصدى النور في ضيائك كبشي
مال نحوي وقال: خذها مثنّى ... هي لغز، وفي مراياك عرشي

(٢)

رفّ قلبي على وليفي ونفسي ... حين ناح الدُّجى وبلّل كأسي
قلتُ أسقي رياح سرّي نهاراً ... ثم أظمي غدي، وكلّي وأمسِ
غير أني رأيتُ فيه مثامي ... وصدى حالتي، وناري، وبأسي

(٣)

فاتفقنا على سؤالٍ مُنَجَّم ... قال أهوى، وأنت مثلي متيّم
قلتُ كلا فإنّ جرحي بليغٌ ... هات ما أنت فيه جاري لتعلم
قال شكٌّ وفيه بعضي مُسمّى ... وجبالٌ ترى وجودك أعمى
قلتُ يكفي فإنّ لي فيك حبراً ... وقصيداً يرى وجودك أسمى

(٤)

طارت معي الأسماءُ من غيم علٍ ... فنقشتُها نقشَ السّوار بمعصمي
وأذنتُ أن تحيى طويلاً في الهوى ... حتى إذا خفقت بظاهر مسمعي
حدّقتُ فيها مثل صقرٍ سابحٍ ... وتركتُها تحيى بعيداً، لا معي
فأنا مُسمّاها الطريدُ، وحالتي ... أنّي زحفتُ على الترابِ بإصبعِ

(٥)

وتمامُ شعري أن يمالغ جملةً ... تسمى إلى المعنى بوافر رسمها
في تسعِ آياتٍ تقودُ خلاصَهُ ... من واقع المبنى الذي في جسمها
وتمام شعري أن يقول أنا الذي ... زيّنتُ للأوراد خلوة حُكمها
وجمعتُ من أثر الشتات لها الندى ... راوٍ، وروحي من طراوة إسمها

(٦)

نبرات هذا الشعر من لحم الغيابِ ... وغناؤها من ملمح الأنسابِ
زحزحتُها عن طينة مكشوفة ... فأتتْ تزمزمُ حاجتي لترابي
حتى إذا هذّبَ الجنونُ كلامها ... سبقَ الخيالُ من الخطى لكتابي
هي بضعُ آياتٍ نَسَجْنَ لي الهوى ... وقرآنٌ لي وجداً من العتّابِ

(٧)

ما قلتُ إلا ما أردتُ من الغمام ... حبراً على ورقٍ يعودُ مع الغرام

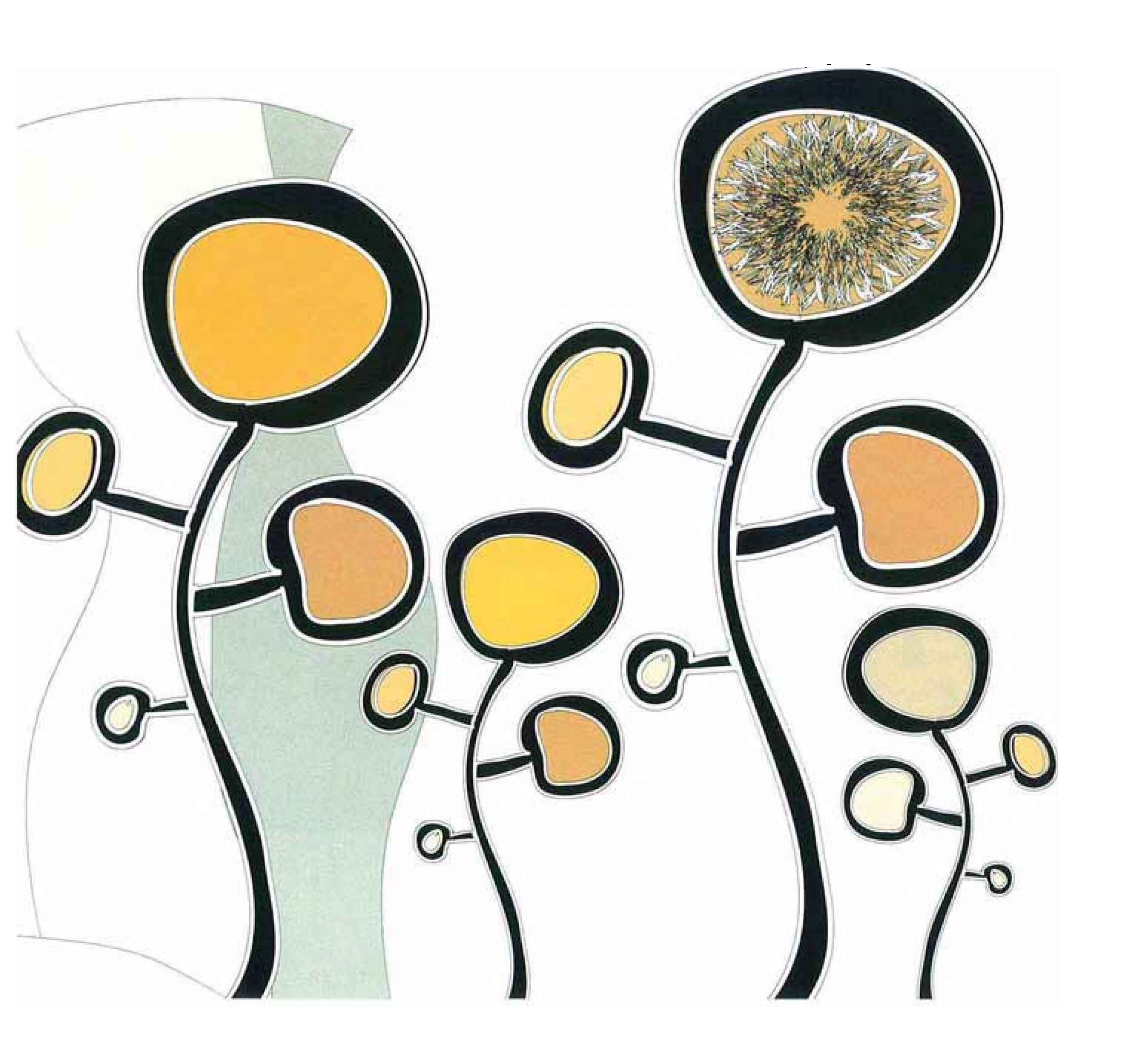
بدّلتُهُ بالوصفِ حين تكاثرتْ ... بيديهِ حادثةٌ تجيزُ مقامي

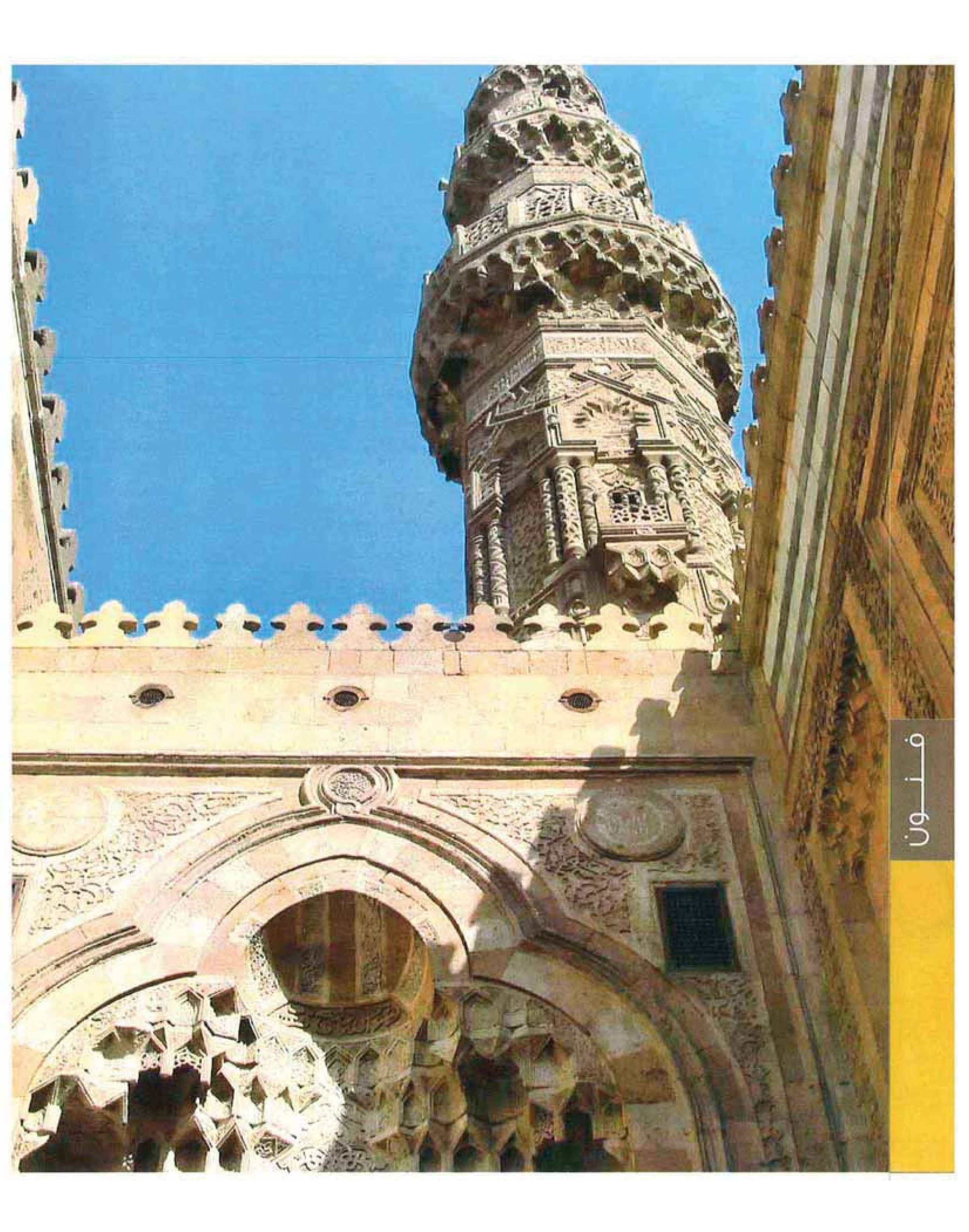
عاينْتُهُ نفسي، وإني بالذي ... ما صبَّ إلا الجزءَ بالأنعام

هذا وإن بَكُرَتْ يداي على الهوى ... فلتشهدوا في المغريات إمامي

إني خلعتُ عن الكواكبِ قشرة ... من ظاهر التكوين والآرامِ

حتى إذا سبقَ الوجودُ لباطنٍ ... طاف الورى في منجزي وكلامي





العمارة الإسلامية في مصر



نزار طه شاهين

مصياف - سورية

لم يعرف العرب المسلمون من العمارة إلا أبسطها حتى خرجوا من شبه الجزيرة العربية. وبدأت مرحلة من تلاقح الثقافات بعد احتكاكهم بشعوب الأمصار التي فتحوها ونشروا الدين الإسلامي فيها، واستفادوا من أنماط العمارة بمختلف تنويعاتها عند هذه الشعوب. وتنوع العمارة الإسلامية وغناها سنراهما في العراق، وبلاد الشام، والمغرب، والأندلس، وأخيراً في مصر: لغناها بموضوع بحثنا. وقد كشفت الزخارف الموجودة في القصور والجوامع استخدام عناصر ذات تأثير من الفن الهليني والفارسي: فالزخرفة في قبة الصخرة والجامع الأموي في دمشق، وهما من أهم الأبنية الإسلامية وأقدمها التي مازالت تحتفظ ببنيتها المعمارية، تقوم على الفسيفساء المؤلفة من مكعبات صغيرة من عجينة الزجاج الملون والمذهب والمطعم أحياناً بقطع من الصدف، وهي تقنية بيزنطية. كما أن النصيب الأوفر في تزيين قبة الصخرة هو من الفن الإغريقي والبيزنطي. وبعض الصيغ فيها كثير من التأثير الفارسي. وقد كانت العمارة الجديدة في الأمصار التي دخلت الإسلام تحمل سمات محلية، وتركت تأثيراتها بشكل واضح في هذه العمارة، إضافةً إلى الثقافة الإسلامية. فبعد أن أنهى العباسيون الدولة الأموية عام ٧٥٠م انتقلت الخلافة إلى بغداد، وهي القريبة من المدائن عاصمة الفرس القديمة، فازداد النمط الفارسي في العمارة: مثل: كش في العراق، ومدينة سامراء التي بناها المعتصم، وقصر الأخيضر جنوب بغداد، والجوسق الخاقاني الذي شيّده المعتصم بن هارون الرشيد، وقصر بلكواره الذي شيّده المتوكل، وقصر العاشق الذي شيّده المعتمد. ومع أن هذه القصور والزخرفة التي احتوتها تميّزت بصيغ مختلفة وأساليب متعددة إلا أن العمارة الفارسية شكّلت حاضناً لها.

ظهور النمط الإسلامي

وجّه العرب ضربة مميتة الى الإمبراطورية البيزنطية، وفتحوا بين عامي ٦٣٣ و٦٩٨م جميع ممتلكاتها الشرقية من سورية حتى إفريقية الشمالية. إلا أن تقدّمهم أُحبط في أوربا في بواتييه في عام

٧٣٢م؛ لذا لم تستطع العمارة الإسلامية اختراق أوربا إلا من خلال الجيب الذي أحدثته إسبانيا، مهددةً بذلك نمط العمارة السائد فيها. استمر التيار القادم من الشرق متجهاً إلى الغرب، وتقدم بصيغه ليشمل المغرب.

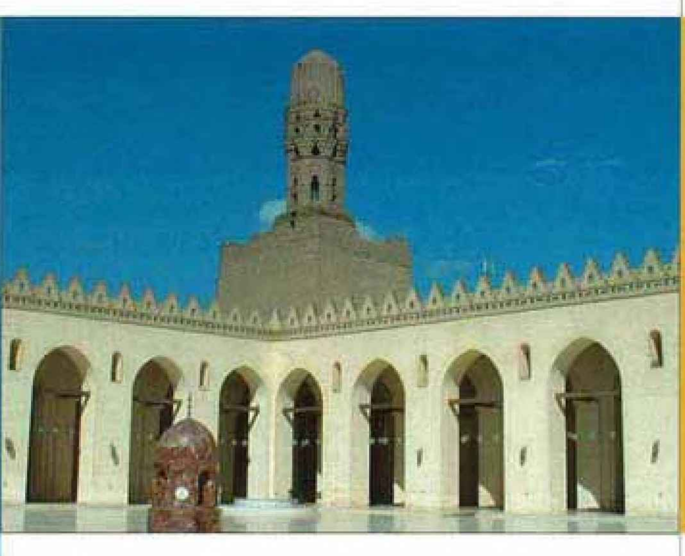
وننتقل إلى الأندلس، ولعل أهم المنشآت المعمارية التي مازالت تشير إلى المقدار الذي تقدّمت به العمارة في الأندلس مدينة الزهراء، التي تبعد من قرطبة ثمانية كيلومترات، وكشف عنها المعماري الإسباني فلاسكز بوسكو في عام ١٩١٠م. أما قصر الحمراء، فهو قصر وحصن ملكيّ يتوج بجدرانه الحمراء كتلة مرتفعة تهيمن على وادي دارو ومدينة غرناطة. وعلى مرتفع مجاور للحمراء تقوم جنة العريف التي تميّزت بأجنحتها والأروقة المحاطة بالحدائق الجميلة ترويها السواقي والنوافير. أما مسجد قرطبة، فكان على نسق الجامع الأموي، فيه أكثر من ٦٠٠ عمود وعضادة، ربطتها أقواس مزدوجة أو متفرقة. وتظهر الحلول المعمارية فيها مدى براعة المعماري المسلم. وأما في مصر، فقد ازدهرت العمارة في عهد أحمد بن طولون. ولعل أهمها المسجد الذي سُمّي باسمه، والمدينة ذات التقسيمات التصنيفية، وقد بنى لنفسه بلاطاً مصغراً يشبه بلاط العاصمة سامراء، وقد اهتم بالعمارة الدينية والمدنية التي مازالت شاهداً على ذلك.

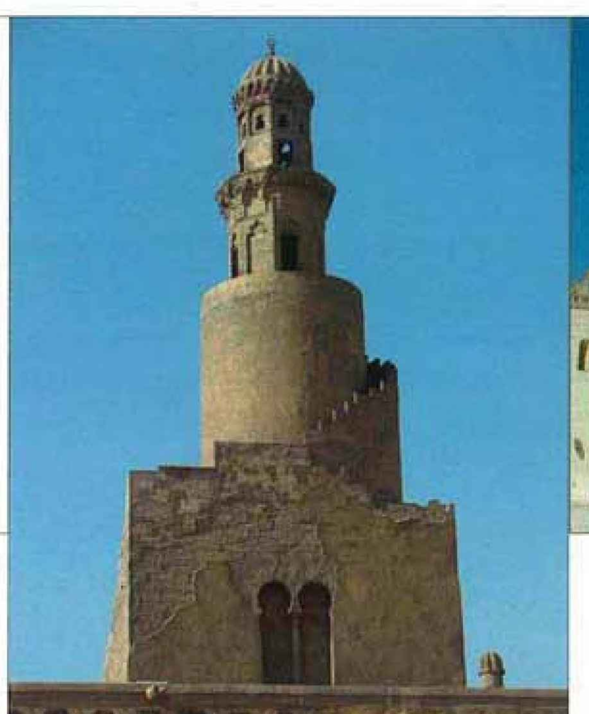
بنى الفاطميون مدينة المهدية في المغرب، وحين انتقلوا إلى مصر بنوا مدينة القاهرة. وتعدّ العمارة الإسلامية الفاطمية جزءاً لا يتجزأ من العمارة الإسلامية عامةً. ولعل أهم ما خلفه الفاطميون في مصر من عمارة، الذي يتمثّل في مجموعة المساجد والأضرحة والأبواب والأسوار. يستمدّ بنيته المعمارية والزخرفية من روح الإسلام، ويكفي أن نعرف أن ما يقارب ثلث المدن التاريخية المسجلة في قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي موجودة في العالم الإسلامي. وسنستعرض أهم ما تركه الفاطميون من عمارة، خصوصاً في مدينة القاهرة، سواء الجوامع أو بعض الأبواب المهمة التي مازالت شاهداً على ما وصلت إليه العمارة الإسلامية الفاطمية.

الجامع الأزهر وتخطيطه المعماري

بعد انتقال الفاطميين إلى مصر بعام قام جوهر الصقلي قائد جند أبي تميم معد ببناء الجامع الأزهر في مدينة القاهرة ليصلي فيه الخليفة، وهو يعدّ أول جامع بُني في مدينة القاهرة، وأقدم أثر فاطمي في مصر مازال يحتفظ ببنيته المعمارية. ومن المرجّح أن

جامع الحاكم بأمر الله





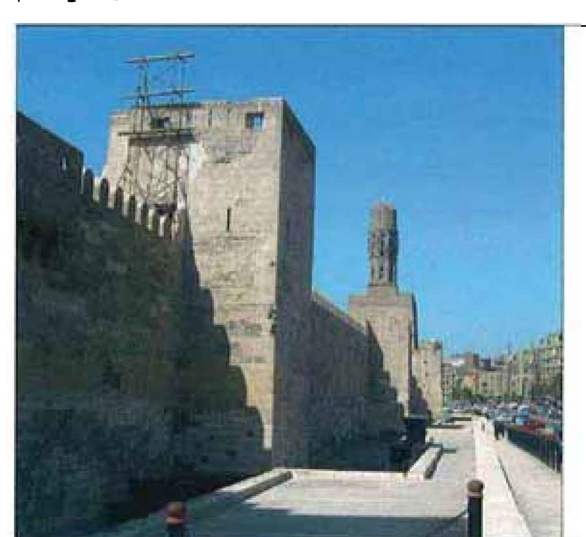
تكون تسميته هذه قد جاءت تيمّناً بفاطمة الزهراء بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - واشادةً بذكرها. وقد بدأ به البناء سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م. وأقيمت أول جمعة فيه سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٣م. وقد بُني الجامع جنوب شرق المدينة على مقربة من القصر الكبير. وقد كتب جوهر الصقلي في دائرة قبته نقشاً يعود تاريخه إلى سنة ٣٦٠هـ. إلا أن هذا النقش اختفى مع عمليات تطوير الجامع.

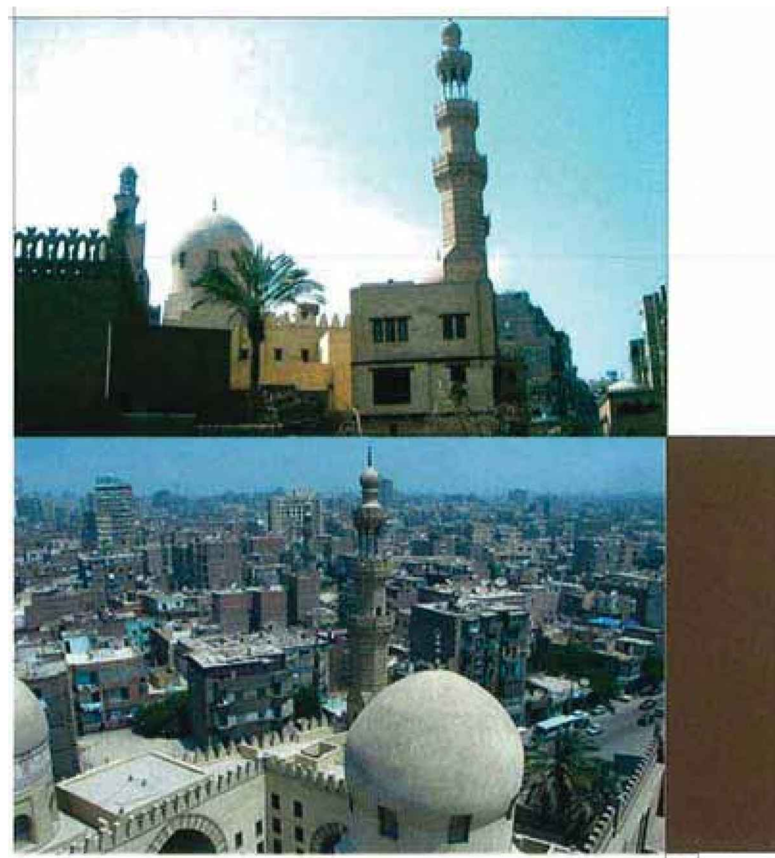
ويشكّل الجامع مستطيلاً من صحن أوسط ومن إيوانات ثلاثة تحيط به. أما الإيوان الشرقي. فيتكون من خمسة أروقة. ويتكون كل من الشمالي والجنوبي من ثلاثة أروقة. والإيوان الغربي من دون أروقة. ويعود ذلك إلى وجود المدخل الرئيس للجامع في وسطه. وقد ارتفعت فوقه مئذنة الجامع. أما الإيوان الشرقي. فيقسمه مجاز يتوجّه إلى المحراب. يرتفع سقفه وعقوده عن مستوى ارتفاع الإيوان. ويعلو المحراب قبة فاطمية حلّ محلها بعد ذلك قبة ترجع إلى المرحلة المملوكية. ومن المرجّح أن يكون بطرف الإيوان قبّتان اندثرتا. وقد كانت للجامع أبواب في كل من الجهات الجنوبية والشمالية والغربية.

تعرّض الجامع لزلزال في سنة ٧٢٥هـ. إلا أن عمارته جدّدت على يد محتسب القاهرة. ثم سقطت منارته في سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م. فشيّدها في الحال السلطان برقوق. وتوالى سقوطها مرتين بعد ذلك في سنتي ٨١٧هـ/ ١٤١٥م و٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م. وكان يُعاد إصلاحها في كل مرة. لم يحافظ الجامع على شكله المعماري الأول. بل لحقته تغيرات وإضافات على امتداد زمني. كان أولها زمن الفاطميين: إذ قام الخليفة العزيز بالله ابن المعتز بأعمال تكميلية للجامع. ثم قام بتجديده الحاكم بأمر الله - ثالث الخلفاء الفاطميين - في سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م. ووقف عليه عدة أوقاف. ولم يبق من أثر لهذا التجديد سوى باب خشبي يحمل زخارف. وهو محفوظ بدار الآثار العربية في القاهرة. وبعد ذلك قام الآمر بأحكام الله. وهو سابع الخلفاء الفاطميين. بصناعة محراب متنقّل من الخشب تعلوه كتابة كوفية ونقوش زخرفية. وهو محفوظ بدار الآثار العربية في القاهرة أيضاً. أما في عهد الخليفة الحافظ لدين الله. فقد تم إضافة رواق أحاط بصحن الجامع من جهاته الأربعة. وتمت إقامة قبة على مقدمة المجاز القاطع. وقد حُلّيت القبة بزخارف حصية من الداخل. وطرز من الكتابة الكوفية المشتملة على آيات قرآنية. أما ما تبقى من الأعمال الفاطمية البارزة في الجامع فهي الزخارف من الكتابة الكوفية التي ترجع إلى عهد إنشاء الجامع. إضافةً إلى عقود المجاز وزخارفها والشبابيك الحصية المفرغة و(المصمتة) حالياً. وما يحيط بها من الكتابات والزخارف التي حولها. وقد حافظت على بقائها في كل من الناحيتين الجنوبية والشمالية. وهي توضّح حدود الجامع الأصلية. وفي عام ١٩٢٣م كشف الأثري حسن عبدالوهاب عن المحراب القديم للجامع.

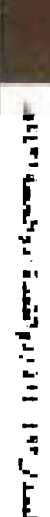
وتوالت أعمال التجديد على الجامع: فقد اهتم به المماليك. فقام الأمير عز الدين أيد مر بتجديد الجامع وإصلاحه بعد أن لحقه الإهمال طوال الحقبة الأيوبية. وألحقت به مدرستان. هما: المدرسة الطيبرسية في سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م. ويعدّ محرابها من أهم المحاريب: لتناسب أجزائه. ودقة صناعته. وتجانس ألوان رخامه. وتنوع رسومه. وما احتواه من فسيفساء مذهبة ازدانت بها توشيحات عقده. والمدرسة الأقبغاوية في سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م. وتلتهما مدرسة ثالثة في سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م عُرفت بالمدرسة الجوهرية. ولعل أهم عمارة تلت ذلك بالنسبة إلى الجامع هي التي قام بها السلطان قايتباي خلال سنوات حكمه:

سور جامع الحاكم





جامع السيدة نفيسة



إذ تم تجديد الباب الغربي الكبير، وأقيمت عليه مئذنة. وفي عهد السلطان الغوري تم بناء مئذنة ضخمة ذات رأس مزدوج، ومن ميزات المئذنة أن لها سلّمين يبتدئان من الدورة الأولى، ويتلاقى الصاعدان عليهما عند الدورة الثانية؛ إذ لا يرى أحدهما الآخر. أما في العهد العثماني، فقد قام ولاة الدولة العثمانية بإضافات جديدة؛ كالأروقة والزوايا. وفي عهد عبدالرحمن كتخدا زيدت مساحة الجامع بنسبة كبيرة، وتمّت عمارة أبواب جديدة، لعل أهمها باب المزينين، وهو الباب الرئيس للجامع حالياً. وفي زمن أسرة محمد علي باشا تمّت تجديدات وإصلاحات في الجامع، وتمّ إنشاء مكتبة الأزهر حيث أودعت نفائس الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية. ولم تطرأ تعديلات كبيرة تشكّل تحولاً في بنية الجامع المعمارية في المراحل اللاحقة، إلا أن جامعته بفروعها أصبحت تشكّل مركزاً معرفياً استفاد منه المسلمون.

شكّلت العمارة الإسلامية الفاطمية تنوعاً استمدّ أنماطه من الثقافة المتنوعة المجلوبة من بقية الأمصار، التي أعطاها الإسلام صيغه الروحية، وأضفى على المكان خصوصيته للتوحّد والعبادة والانسجام مع الحالة التعبدية، سواء في المساجد أم في المزارات أم في فراغات الأضرحة المغلقة. واستمر الخلفاء في بناء المساجد ضمن تسميات قد تعود إليهم، أو استمر من خلفهم في استكمال العمارة أو تطويرها. وسنتعرض لأهم ما خلفه الفاطميون انتقالاً إلى ما بعد بناء الجامع الأزهر.

جامع الحاكم

بني هذا الجامع على مرحلتين: في المرحلة الأولى بدأ ببنائه الخليفة العزيز بالله في سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، وأتمّ بناءه ابن الخليفة الحاكم بأمر الله، وهو الخليفة الفاطمي الثالث، وكان ذلك في سنة ٤٠٣هـ/ ١٠٢١م، وسُمّي الجامع باسمه، ويعدّ ثاني الجوامع الفاطمية في القاهرة، وقد أصبح داخل أسوار مدينة القاهرة بعد أن قام بدر الدين الجمالي ببناء السور الشمالي للمدينة بين بابي النصر والفتوح. وقد سقطت قمتا مئذنتي الجامع، وتداعت أكثر مبانيه على إثر زلزال في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، إلا أن الناصر بن محمد قلاوون طلب من الأمير بيبرس الجانشكير بناءهما، وتجديد العقود التي لحقتها الأضرار. ويلاحظ الاختلاف بين العمارة الأساسية والعمارة المجددة في قمتي المئذنتين، وفي بعض عقود رواق القبلة التي تميّزت من الأصلية بأنها على شكل حدوة الفرس، بينما العقود الأخرى مدبّبة الشكل، وقد كتب تاريخ التجديد في أعلى واجهة المدخل الرئيس. ويمكن الإلمام من خلال نظرة متمعنة إلى عمارة الجامع بأنه ما من إصلاحات تُذكر حدثت بعد هذا التجديد، وما بقي منه يعطينا

بعد انتقال الفاطميين إلى مصر بعام قام جوهر الصقلي قائد جند أبي تميم معد ببناء الجامع الأزهر الذي في مدينة القاهرة ليصلي فيه الخليفة، وهو يعدّ أول جامع بُني في مدينة القاهرة

فكرة واضحة عن روعة العمارة وعظمتها؛ فرواق القبلة احتفظ بمعظم معالمه القديمة، وكذلك مجازه الأوسط بعقوده وأكتافه وقبته المقامة أمام محرابه، إضافةً إلى العقود الأخرى على جانبي المجاز، كما حافظت بعض عناصره الزخرفية على معالمها القديمة: مثل الكتابة الكوفية التي حفرت بالجص أسفل السقف، ومربع قاعدة القبة، والشبابيك الجصية المفرغة بزخارف جميلة تتخللها كتابات كوفية ورسوم هندسية، عدا الزخارف المحفورة بالأوتار الخشبية التي تربط أرجل العقود معاً.

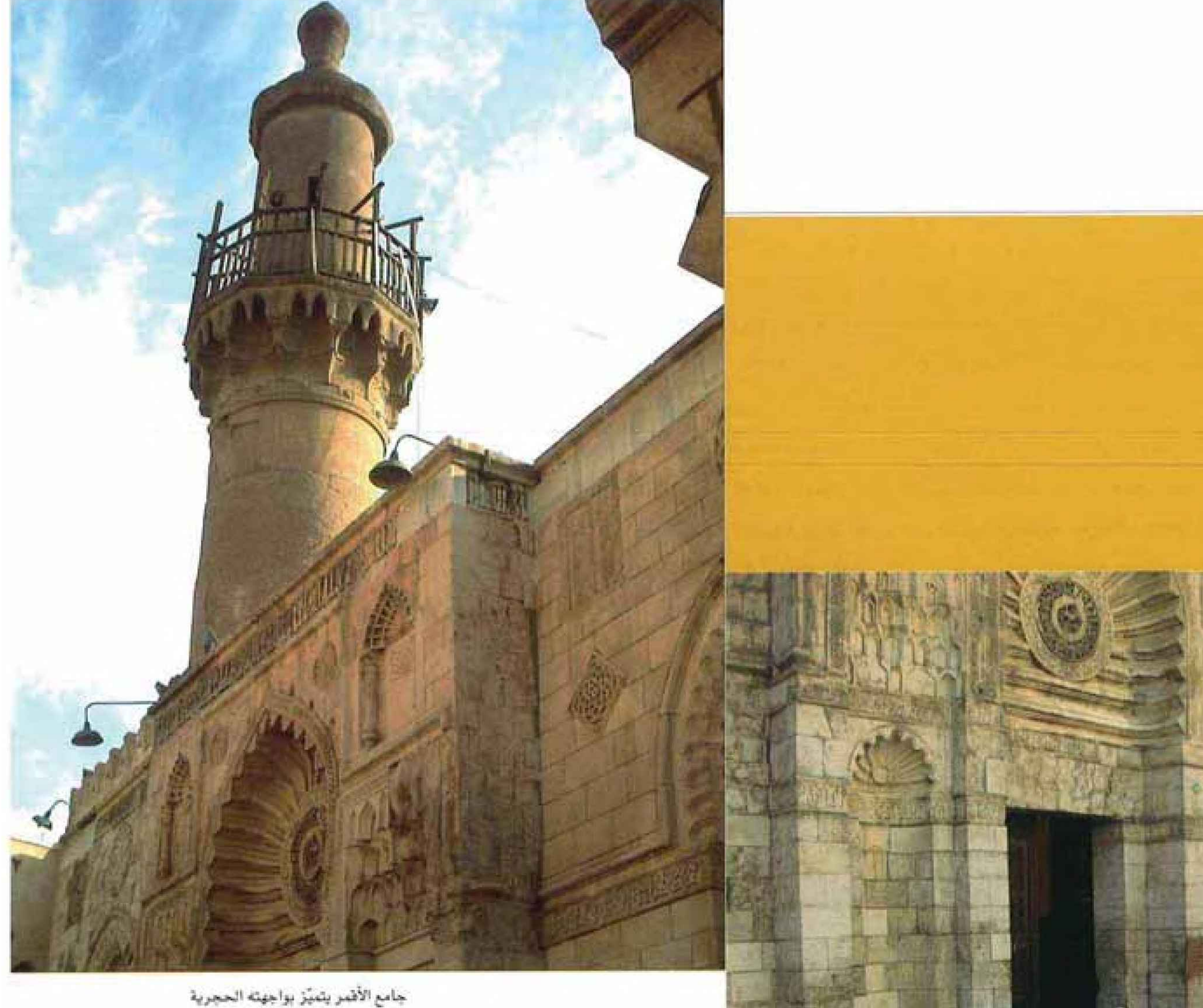
المخطط المعماري للجامع

يتألف الجامع من صحن مكشوف، تكتنفه أربعة أروقة مسقوفة. أما رواق القبلة، فيشتمل على خمسة صفوف من العقود محمولة على أكتاف مستطيلة القطاع استدارت أركانها على هيئة أعمدة ملتصقة. وفي كل من الرواقين الجانبيين ثلاثة صفوف. أما الرواق الخلفي فيشتمل على صفين، ويتوسط رواق القبلة مجاز مرتفع ينتهي بقبة أمام المحراب. وعلى طرفي جدار القبلة أقيمت قبتان جُدّدت رقبة الجنوبية، ولم يبق من الأخرى سوى ركن متهاوٍ من المحراب الأصلي لم يبق سوى تجريفه. إلا أن هناك تعديلاً أجراه على محرابه عمر مكرم سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، ثم عدّلت مكان المحراب إدارة الآثار العربية. وتبلغ مساحة الجامع من الداخل ١١٣×١٢٠ متراً مربعاً. وكان للجامع عدة أبواب إضافةً إلى المدخل الرئيس الذي يقع في منتصف الواجهة الغربية، وقد ضم إلى جانبيه يميناً ويساراً بابين. أما الجداران البحري والقبلي فقد توسّط كل منهما باب. والجامع مبنيّ بالطوب، وهناك بعض الطرز المعمارية التي تتشابه مع الجامع الأزهر؛ مثل: المجاز القاطع لرواق القبلة في المنتصف، والقبتين الواقعتين في طرفي الجدار المتجه إلى القبلة. كما أن الواجهة الغربية للجامع يتوسّطها ويبرز عن امتدادها بناء من الحجر يشكّل مدخل الجامع، وهذا النمط موجود في جامع المهدية، وبني أيضاً على نمطها جامع الظاهر بيبرس البندقداري. ويلاحظ أن الواجهة الشمالية الجنوبية يوجد بها برجان يتكون كلٌ منهما من مكعبين فارغين يعلو أحدهما الآخر، الأسفل من عهد بناء الجامع، والذي يعلوه من بناء بيبرس الجاشنكير. أما البرج الشمالي، فتقوم به مئذنة أسطوانية الشكل، والجنوبي يوجد به مئذنة تبدأ من قاعدتها مربعة ثم تنتهي مثمنة، وهما مبنيتان من الحجر، وغائصتان داخل البرجين؛ إذ لا يرى منهما من خارج الجامع سوى الجزء العلوي. ويلاحظ التجديد في كلتيهما، كما يلاحظ مدى فنّ العمارة وجمالها من خلال الزخارف والكتابات الكوفية المحفورة في الحجر التي تزنّر بدني المئذنتين، والخط الكوفي الذي كُتبت به آيات قرآنية محفورة على الرخام على جدار البرج الجنوبي. وتبرز لنا عمارة جامع الحاكم المقدار الذي وصل إليه فن العمارة في عهده على الرغم من تصرّم قرون على بنائه.

بني جامع الحاكم على مرحلتين: في المرحلة الأولى بدأ ببنائه الخليفة العزيز بالله، وأتم بناءه ابن الخليفة الحاكم بأمر الله، وهو الخليفة الفاطمي الثالث، وسمي الجامع باسمه

جامع السيدة نفيسة

ابتدأ الجامع بقبر للسيدة نفيسة التي تعود بنسبها إلى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، والقول أن أول من بنى على قبرها هو عبيدالله بن السري بن الحكم أمير مصر، وفي سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م أمر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بتجديد الضريح، كما أن الخليفة الحافظ لدين الله أمر بتجديد القبة في سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م، كما أمر الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م ببناء مسجد بجوار الضريح، وقام بتجديد المسجد والضريح في سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م الأمير عبدالرحمن كتخدا، وقد نشب حريق أتى على قسم كبير من المسجد في سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ثم أمر الخديوي عباس باشا الثاني بإعادة بنائه هو والضريح ضمن احتفال دعا إليه كبار الأعيان والمشايخ في سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م، إلا أن آخر تجديد تمّ على الجامع كان على يد الدكتور علي المفتي، وقد شمل هذا التجديد توسعات كبيرة



جامع الأقمر يتميّز بواجهته الحجرية

ضاعفت من مساحته ليصبح على وجه التقريب ألفي متر؛ إذ تم إقامة دور ثانٍ للنساء ودار للمناسبات.

المخطط المعماري للجامع

يشغل واجهة المسجد الرئيسة في منتصفها مدخل بارز عن سطحها ومرتفع، تعلوه من الأمام مقرنصة على شكل طاقية، وفي أعلاه مئذنة ذات امتداد رشيق بنيت مع الواجهة على الطراز المملوكي، وهذا المدخل يؤدي إلى دركات يعبر الزائر أو المصلي من خلالها إلى داخل المسجد الذي هو متسع يأخذ شكل المربع، ومسقوف بسقف خشبي محلّى بزخارف عربية رائعة، ويعلو منتصف البائكة الثانية منه شخشيخة مرتفعة. والسقف تحمله ثلاثة صفوف من العقود التي ترتكز على أعمدة رخامية مثمنة القطاع. أما جدار القبلة، فيتوسطه محراب مزخرف بالقاشاني الملون الجميل. وعلى يمين المحراب يوجد باب مؤداه إلى ردهة مسقوفة. وتتوسط السقف شخشيخة محلاة بنقوش عربية. ومن هذه الردهة يمكن الولوج إلى الضريح بواسطة فتحة معقودة، ويتوسطه مقصورة نحاسية أقيمت فوق الضريح حيث يعلوه قبة ترتكز في منطقة الانتقال من المربع إلى الاستدارة على أربعة أركان من المقرنص المتعدد الحطات. وقد

صنع محراب خشبي متنقل يحمل زخارف تتجلى فيها دقة الصنعة وتقدّمها بين عامي ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م و٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، إلا أنه نقل إلى دار الآثار العربية.

جامع الأقمر

هو من الجوامع المهمة التي خلفها الفاطميون في مصر، ويعدّ أثراً معمارياً عظيماً؛ لأنه يحتفظ بمعظم بنيته المعمارية، خصوصاً من الخارج؛ لأن واجهته مبنية من الحجر على غير مألوف العمارة التي كانت تعتمد الطوب. وواجهته تحفل بالنقوش والزخارف والآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي، إضافةً إلى كتابات أخرى وسط دوائر؛ مثل: (محمد)، و(علي). وقد شغلت أعلى الباب دائرة أكبر من قريناتها كتب عليها (بسم الله الرحمن الرحيم، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً).

والجامع موجود في شارع النحاسين، وهو من أكثر أحياء القاهرة اكتظاظاً. وقد قام ببنائه سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م الوزير المأمون بن البطايحي بأمر من الخليفة الآمر بأحكام الله؛ أي: علي منصور، الذي يعود نسبه إلى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أول خلفاء الدولة الفاطمية. ويروي المقريزي أن الجامع بُني في مكان أحد الأديرة، ووردت عدة روايات لتسمية الجامع بالأقمر؛ منها حجارته البيضاء التي تشبه القمر، أو كونه يشعّ بالنور والبهجة.

المخطط المعماري للجامع

يعدّ جامع الأقمر أول جامع واجهته موازية لخط الشارع عوض أن تكون موازية لصحنه؛ حتى تكون القبلة قد أخذت وجهتها الصحيحة؛ لذا نلاحظ أن الجامع قد انحرف بالنسبة إلى الواجهة التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أوسطها يبرز عن امتداد الجدار، وفيه مدخل الجامع الذي كانت تعلوه المئذنة. وتتفرّد الواجهة بطراز العمارة الموجودة فيها؛ إذ لا تماثلها أيّ واجهة أخرى من الجوامع الفاطمية؛ وترى أول مرة في عمارة الجامع العقد المشق، وفوق هذا العقد العقد الفارسي، وهو على شكل مروحة تتوسطها دائرة في المركز بنيت على الحشوات التي تشغل الواجهة بشكل مصمت؛ إذ يعتقد الفاطميون أن المركز كالشمس تخرج منها كل الإشعاعات. ولم تستخدم المقرنصات الموجودة في الواجهة إلا في مئذنة جامع الجيوشي التي عمّت معظم العمارة الإسلامية تقريباً. داخل المسجد مستطيل أضلاعه منتظمة، يبلغ طوله ٢٨ متراً، وعرضه ١٧,٥ متراً، ويتصل المدخل بممر له داخلتان يمينية ويسارية، وهو يفضي إلى الصحن المكشوف الذي هو على شكل مربع مساحته عشرة أمتار مربعة، ويحيط به رواق واحد من ثلاثة جوانب، وثلاثة أروقة من الجانبين الشرقي والجنوبي، والجنوبي هو أهمها، والأروقة الأربعة تعلوها أربع قباب صغيرة. ويطلّ على الصحن بخمسة عقود مدبّبة ترتكز على دعامتين، وعقود الأروقة محلاة بكتابات كوفية مزخرفة ومحمولة على أعمدة رخامية قديمة ذات قواعد مصبوبة وتيجان مختلفة تربطها ميدة خشبية، ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة وتيجانها مع القاعدة خمسة أمتار، وهي غريبة عن العمارة الفاطمية. والعقود في جامع الأقمر منفرجة، فتحتها تقارب ثلاثة أمتار، والارتفاع يبلغ الطول نفسه. ويقع المحراب في صدر المسجد، وتكسوه عقد من الرخام الملون الدقيق. جُدّد الجامع في عهد السلطان برقوق في سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م، ولكن المئذنة تهدّمت بفعل ميل حاصل في عمارتها. ويمثّل منبر الجامع الخشبي المشغول بدقة وبساطة نمط المنابر الفاطمية، وبقايا المنبر مازالت موجودة، واختفى الجزء الآخر من المنبر. وقامت إدارة حفظ الآثار العربية بترميم الجامع وإصلاحه بين عامي ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م و١٣٤٧هـ/ ١٩١٨م، ويمثّل الجامع مرحلة مهمة من تاريخ العمارة الإسلامية.

جامع الصالح

يعدّ جامع الصالح آخر أثر فاطمي في مصر، وصاحب هذا المسجد هو أبو الغارات، ويلقب بالملك الصالح طلائع بن زريك، وهو وزير الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله، وكان قد أمر ببنائه في سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، وكان الوزير قريباً من الخلافة الفاطمية بعد أن تزوّج الخليفة العاضد ابنته. وقد تعرّض المسجد للتدمير والخراب أكثر من مرة على مر الأزمنة؛ لذا قامت وزارة الثقافة المصرية بترميمه. ويمثّل المسجد آخر التطورات في العمارة الفاطمية، وكانت عمارته تتويجاً للمهارات والخبرات التي سبقت بناءه، سواء في القصور أم في الجوامع، ابتداءً من الأزهر وانتهاءً به. ويقع الجامع خارج سور القاهرة الجنوبي عند باب زويلة بمنطقة الغورية المتاخمة لحيّ الحسين.

ويعدّ من الجوامع المعلّقة؛ لأنه بني على طابق سفلي يضم مجموعة من الحوانيت، ويرتفع عن أرض الشارع بنحو أربعة أمتار، وعلى الرغم من اكتظاظ المنطقة بالناس، وتزاحم العمران فيها، إلا أنه يمكن رؤية المسجد كمعلم أثريّ يتميز بروعة خاصة به.

المخطط المعماري للجامع

يأخذ الجامع شكل المستطيل، يتوسطه صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة مسقوفة، أكثرها عمقاً وكبراً الرواق المتجه إلى القبلة، الذي يحتوي على ثلاثة صفوف من العقود، بينما الأروقة الأخرى تحتوي على صف واحد من العقود. وجميع هذه العقود محدبة الشكل، وقد بنيت بالطوب. أما جدرانه الأربعة، فقد بُنيت من الداخل بالطوب، ومن الخارج بالحجارة، وقد تميّز هذا الجامع بهذه الميزة من دون غيره. أما عقود رواق القبلة، فقد حُلّيت بزخرفة جميلة وكتابة كوفية، كما أن خواصرها حُلّيت أيضاً بأطباق مستديرة، وقد فرّغ وسطها بأشكال هندسية محاطة بإطارات زخرفية. ويصطف فوق العقود مجموعة من النوافذ المربعة الشكل من الجص المفرغ، تربط أرجلها أوتار من الخشب المزخرف بالحفر. ويتميز المحراب بالبساطة، كما أن طاقيته غُطّيت بالخشب المحفور. وإلى جانبه يقع المنبر الخشبي الذي يتميز بدقة الصنع، وهو من عمل الأمير بكتمر الجوكندار كما تدل الكتابة الموجودة في أعلى الباب، وقد قام بترميم الجامع أيام الناصر محمد

يعدّ جامع الصالح آخر أثر فاطمي في مصر، وصاحب هذا المسجد هو أبو الغارات، ويلقب بالملك الصالح طلائع بن رزيك، وهو وزير الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله



بن قلاوون. والمنبر هو رابع المنابر القديمة في مصر التي تحوي زخارف تؤشّر إلى ما وصلت إليه الفنون الزخرفية الإسلامية.

للجامع ثلاثة أبواب: الباب الرئيس يقع في الواجهة الغربية. وتعلو فتحة الباب عتبة مزررة. يعلوها عقد عاتق كان يحوي باباً خشبياً له مصراعان. واجهته الخلفية قسمت حشوات محلاة بزخارف إسلامية فاطمية. أما واجهته الأمامية. فقد تمّ تصفيحها بألواح من النحاس ذات حشوات ثم تفريغها بزخارف مملوكية. يتقدم المدخل امتداد أرواق عقوده محدبة الشكل محمولة على أعمدة رخامية. ويكون مع الغرفتين الواقعتين على طرفيه جهة الجامع من الغرب التي تعدّ بنظام عمارتها فريدة النوع. أما الغرفتان المذكورتان. فيحلّي واجهتهما عقد مخوص تنتشر من تخويصاته إشعاعات تنطلق من جامة مستديرة بها أشكال نجمية. ويوجد في الواجهة بقايا من الكتابة الكوفية تشتمل على اسمي الفائز بنصر الله ووزيره الصالح طلائع مع ألقابه وتاريخ تأسيس الجامع. وقد هدمت مئذنة الجامع الأصلية التي كانت مقامة في أعلى المدخل لتحلّ محلها مئذنة أخرى هدمت هي الأخرى. أما البابان الأخران. فيتوسط أحدهما الوجهة البحرية. والأخر الوجهة الجنوبية. وكلا البابين يقع في بروز بسيط يغطي أعلاه عقد محدب زين داخله بمخوصات تتشع من عقد مسدود. وكلتا الجهتين مقسمة صفوفاً غائرةً تنتهي بعقود محدبة. وقد نسج على غرار تقسيم الوجهات في وجهة المدرسة الصالحية وقبة الصالح نجم الدين لتنتقل إلى المساجد المملوكية بعد ذلك. وقد نقل باب الجامع الأساسي ليحفظ في دار الآثار العربية. ولكن الباب البديل الذي أعيد إلى المدخل بعد عمليات الترميم والإكمال أخذ شكل الباب القديم.

أبواب القاهرة

في أيام المعز لدين الله كانت القاهرة حكراً على الخليفة وأسرته ورجال الدولة وقادة الجيوش ومعسكرات الجنود. وكانت مساحة المدينة لا تتجاوز ٢٤٠ فداناً. يحتسب منها ٧٠ فداناً لقصري الخليفة. و٢٥ فداناً بساتين وحدائق. و٣٥ فداناً شغلتها الميادين والشوارع. والباقي توزّعتها مجموعة من القبائل التي كانت تؤلف جيوش الخليفة: لذا حدّدت للمدينة أسوار أربعة بُنيت بالطوب. وقد أقيم في كل جدار بابان بُنيا بالحجر. إلا أنه لم يمض قرن حتى انهارت أسوار المدينة. ولم تَعُد للمدينة أسوارها حتى جاء بدر الجمالي فأعاد بناءها بالطوب. وكلف ثلاثة مهندسين بناء ثلاثة أبواب من الحجر يكون لها دور تحصيني. ولم تنحصر الغاية من هذه الأبواب في تسهيل دخول السكان من المدينة وخروجهم واغلاقها عند الحاجة التي تميّزت بها هذه الأبواب. وإنما تميّز كل باب بتصميمه الخاص. ومازالت هذه الأبواب قائمةً حتى الآن مع أن السور قد اختفى أمام زحف العمران. وتعدّ هذه الأبواب بتفرّدها من التحصينات العسكرية المميّزة. التي لم تحظ أيّ مدينة إسلامية بمثلها. وهذه الأبواب هي: باب الفتوح. وباب النصر. وهما يشغلان الوجهة الشمالية من المدينة. أما الباب الثالث. وهو باب زويلة. فهو في الجهة الجنوبية. وقد اعتمدت في بناء هذه الأبواب الحجارة المنقولة من المعابد الفرعونية: إذ مازال بعضها يحمل نقوشاً فرعونية. واعتمدت هذه الحجارة في بناء عدد من المنشآت الإسلامية: وكانت تنقل من الجيزة ليتم استخدامها في البناء. ويتم نقلها عبر النيل إلى أمكنة البناء. ومازال بعض من سور القاهرة القديم باقياً. خصوصاً المبنيّ من الحجارة الكبيرة المفكّكة من بعض المعابد الفرعونية. وسنأتي على الأبواب الثلاثة بالتفصيل. وسنمر على بقية الأبواب عبوراً.

أما أبواب القاهرة. فهي: باب زويلة. وباب النصر. وباب الفتوح. والباب الأخضر. وباب البحر. وباب التوفيق. والباب الجديد. وباب الشعرية. وباب البرقية. وباب الحسينية. وباب الخلق. وباب السلسلة. وباب الغوري. وباب الوزير. وباب خان الخليلي. وباب الفرج. وباب قايتباي.

باب النصر

يقع باب النصر في الجهة الشمالية من سور القاهرة. وهو وإن اختلف عن باب الفتوح ببنيته المعمارية إلا أنه شكّل نموذجاً

اعتمدت في بناء أبواب القاهرة الفاطمية الحجارة المنقولة من المعابد الفرعونية؛ إذ مازال بعضها يحمل نقوشاً فرعونية، واعتمدت هذه الحجارة في بناء عدد من المنشآت الإسلامية



باب زويلة

للعمارة الحربية الإسلامية الفاطمية، وهو يتصل بباب الفتوح عبر مجازين: أحدهما يمرّ من فوق السور، والآخر من تحته ويتكون من ممرّ معقود تتوزّع على جانبيه حجرات معقودة أيضاً مع فتحات مزاغل. وبني هذا الباب في سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م.

المخطط المعماري للباب

الباب كتلة ضخمة من البناء، توجد فيه أعمدة رخامية دائرية الشكل تشكّل رابطاً للجدران؛ لأنها وضعت بشكل أفقي على ارتفاع ستة مداميك. ويبلغ عرض واجهتها نحو ٢٤ متراً، وعمقها ٣٠ متراً، أما الارتفاع فيبلغ ٢٥ متراً. ويبرز عن البناء برجان مربعان يختلفان عن برجي باب الفتوح يصل بينهما ممر مكشوف يصل إلى باب المدخل.

يشغل ثلثي البرجين بناء مصمت. أما الثلث الباقي ارتفاعاً فهو غرف دفاع مسقوفة تعتليها قبة بسيطة، وجدران الغرف فيها فتحات دفاعية لرمي السهام. أما فتحات السقف، فتصبّ منها السوائل المحرقة. وقد زخرفت نهاية ثلثي البرجين بنحت نافر يمثّل مجموعة من الأسلحة والدروع. أما فتحة الباب فيتوّجها عقد مسطّح يعلوه نصّ بالخط الكوفي. وخلف المصراع الأيمن من الباب بُني ضريح بسيط دفن فيه أحد الصالحين. وعندما وصلت الحملة الفرنسية إلى القاهرة أدخلت تعديلات على الباب، فوسّعت مرامي السهام في غرفتي الدفاع لاستخدام المدافع بدل السهام. ويبقى باب النصر أحد أهم الأبواب التي ترمز إلى تطور العمارة الدفاعية الإسلامية في مرحلة الخلافة الفاطمية.

باب الفتوح

يقع هذا الباب في الجهة الشمالية من سور القاهرة، وهو جزء من العمارة الحربية التي هدفت إلى الدفاع عن المدينة. وقد جدّده الأمير بدر الجمالي سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م. وهو متاخم لجامع الحاكم بأمر الله. وهو من الأبواب التي مازالت محتفظة بشكلها المعماري المميّز.

المخطط المعماري للباب

يمثّل الباب أحد الكتل البنائية التي أنشئت للدفاع عن المدينة، ويبلغ عرضها ٢٢،٨٥م، وارتفاعها ٢٢م، وعمقها ٢٥م. وهي تتكون من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل الذي يحوي باباً من الخشب يتميز بضخامته، ويتكون من مصراعين خشبهما سميك، عليهما عوارض من الحديد مثبتة بمسامير كبيرة على شكل صفوف متوازية. ويبرز ثلث الكتلة البنائية عن السور. أما الثلثان الباقيان فيكونان داخل السور ضمن المدينة. ثلثا البرجين مصمتان. أما الثلث الباقي فهو غرف دفاع مزودة بزغاليل وفتحات لرمي السهام. وفي سقف الباب ومدخله توجد فتحات كانت تصبّ منها الزيوت المغلية والسوائل الحارقة على المهاجمين. أما سقف الغرفتين فهو قبب بسيطة ومتقاطعة. ويوجد على جانبي البرجين طاقتان كبيرتان تلتفّ حول فتحتيهما زخرفة على شكل أسطوانات صغيرة. أما المدخل من الأعلى، فتزيّنه كوابيل على شكل كبش بقرنين. وينفرد هذا الباب بهذا النموذج من الزخرفة؛ إذ لا يوجد مثلها في بقية الأبواب. ويعلو فتحة المدخل إطار حجري بارز على شكل عقد، وهو مفصول عن عقد



باب النصر — باب الفتوح

الدخلة وواجهة الكتلة؛ إذ ينكشف المهاجمون لمجرد وصولهم إلى الأبواب. وتشترك الأبواب الثلاثة في هذه الميزة.

باب زويلة

يقع الباب في الناحية الجنوبية من سور القاهرة، وسُمّي باب زويلة نسبةً إلى القبيلة المغربية التي كانت تسكن خلفه. وبناه الأمير بدر الجمالي سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م. وقد وصفه المقريزي في كتابه (المواعظ والأخبار في ذكر الخطط والآثار - الجزء الثاني). ويُذكر أن ثلاثة إخوة بنّائين استقدمهم أمير الجيوش من الرها، وبنوا الأبواب الثلاثة: (زويلة، والنصر، والفتوح). ويتميّز الباب بشهرة خاصة: إذ إن عمليات الشنق كانت تتم على بابه، ولعل أشهر قصة شنق ذكرها المؤرخ المصري ابن إياس، وكان شاهد عيان عليها، هي شنق العثمانيين طومان باي أمير مصر.

المخطط المعماري للباب

يتميّز الباب بكتلة بنائية ضخمة يبلغ عرضها ٧٢ ، ٢٥م، وعمقها ٢٥م. وترتفع عن مستوى الشارع ٢٤م. ولها بوابة ضخمة كبقية الأبواب، وهي معقودة، يبلغ عرضها ٨٢ ، ٤م، وعلى جانبيها يرتفع برجان دائريان كبيران في أعلاهما ثلاث مزاغل، كما توجد حجرة تشرف على مدخل البوابة. ويتوسط البرجين ممر مكشوف يؤدي إلى المدخل. وثلثا البرجين مصمتان. أما الثلث العلوي فيحوي في كلّ منهما غرفة دفاعية يغطيها قبو طولي يتقاطع مع آخر عرضي، ويكتنف البرجين ممر مكشوف مؤداه إلى المدخل، وفي نهايته حيّز مربع الشكل غُطّي بقبة بسيطة محمولة على مثلثات كروية. ويوجد في الجزء الشرقي من هذا الحيز دخلة عميقة متعامدة في جوانبها تحمل نصف قبة ترتكز على حنايا ذات ضلوع مشعة. وقد جرت عمليات ترميم حديثة للباب في عام ٢٠٠٢م تمّ من خلالها صيانة النقوش الداخلية في مجمل البوابة. كما جرت إعادة تأهيل للبوابة الخشبية التي تزن ما يقارب أربعة أطنان. وتمت إعادة تحريكها، كما تم الكشف عن الحاملات البرونزية. وخلال عمليات التنظيف والتجديد اكتشف المدخل الرئيس للبرج، الذي كان مدخلاً سرياً، كما أن الباب يتميّز بعمارة وتفاصيل زخرفية، وأنشئ في الباب متحف خاصّ يوجد فيه مكتشفات الباب وما حوله. ويبقى أن نقول: إن هذا الإرث من العمارة شاهد إثبات على المدى الذي وصلت إليه العمارة الدفاعية الإسلامية في زمن الفاطميين.



١- العمارة الفاطمية. محمد عبدالستار.

٢- الأزهر في ألف عام. أحمد محمد عوف.

٣- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار. المقريزي.

٤- خطط القاهرة. ابن عبدالظاهر.

٥- الأزهر وحديقته الجديدة بين التراث والمعاصرة. مزار شاهين. مجلة الفيصل، ع٣٦٠، عام ٢٠٠٦م.

٦- موقع وزارة الأوقاف الإسلامية على الشبكة العنكبوتية: www.awkaf.org





معاوية عبدالرحيم كنّه
الرياض - السعودية

جـوبا.. بين خياري الوحدة والانفصال

كانت يوماً ما واسطة العقد في منظومة عواصم الوسط الإفريقي، تلك كانت حكايات ما قبل الحرب الثانية حينما كانت جوبا ترقد هادئة، متوسطة الطرق التي تربط عواصم أوغندا وكينيا وزائير وما جاورها، تماماً قبل أن تصبح العاصمة الحصينة لحرب طويلة امتدت عقدين من الزمان حُصد خلالها الأخضر واليابس.

وتلك حكاية أخرى سُجلت وقائعها وسط نيران الحرب الرهيبة قبل أن يعود الجميع إلى رشده ليطفئوا نارها، فتسكن ويسكن معها صوت المدافع، فيطلع عليها فجر جديد لا أحد يعرف لونه أو شكله أو طعمه على الرغم من مرور الزمن. فجر يعود بالمدينة إلى الواجهة مرة أخرى، ينتشلها من ركام الحرب لتتهيأ لحياة جديدة تبدو تفاصيلها مبهمة بحاجة إلى شهور يقرّر حينها أهلها مصيرها.

شيئاً ما جعلني أشعر بالرهبة وأنا أهبط جوبا ذاك الصباح مع أن الحرب قد وضعت أوزارها منذ سنوات. في الطريق إلى جبل (كجور) تقرأ لوحة تحذّرك من الخروج عن وسطه. لكنك في رابعة النهار تستطيع أن ترى كل شيء بوضوح. وهكذا تستطيع النجاة من الألغام المزروعة قريباً. تحتاج نفسك المرعوبة إلى

مرآة الجنوب

في أعلى نقطة بالمدينة يقبع قبر جون جارنج، الزعيم الجنوبي الذي حارب أكثر من ٢٢ عاماً، ومات قبل أن يتذوق حلاوة السلام الذي وقّعه مع الشمال، والذي أمضى ٢٢ يوماً في الحكم مات بعدها في تحطّم طائرة قادمة من أوغندا ما زالت تفاصيلها مبهمة. أصبح هذا المكان اليوم مزاراً لكل ساكني المدينة وزوّارها، ورمزاً لتاريخ الحرب والمدينة التي استعصى على جارانج وجيشه دخولها طوال أيام الحرب؛ فجوبا هي عاصمة الجنوب السوداني، وأكبر مدنها، وهي في الوقت نفسه عاصمة ولاية (بحر الجبل) إحدى ولايات السودان الـ٢٥، وأكثر مدن الجنوب ازدحاماً بالسكان؛ إذ يسكنها وفقاً لتعداد عام ٢٠٠٥م أكثر من ١٦٣ ألف نسمة، كما أنها تمثّل مرآة للجنوب السوداني كله؛ لأنها تحتضن أعداداً ضخمة من القبائل والثقافات الجنوبية المختلفة التي انصهرت وتمازجت مع مرور السنوات؛ فهي كما يقول بعض الناس تشكّل كل الفسيفساء القبلية في الجنوب؛ فهي المدينة الوحيدة من مدن الجنوب التي لا تهيمن عليها أيّ من قبائل الجنوب المتعددة الثقافات والمتباينة في تقاليدها وعاداتها.



من أحد الاحتفالات في الجنوب السوداني

طفلة تحمل علم الحركة الشعبية لتحرير السودان

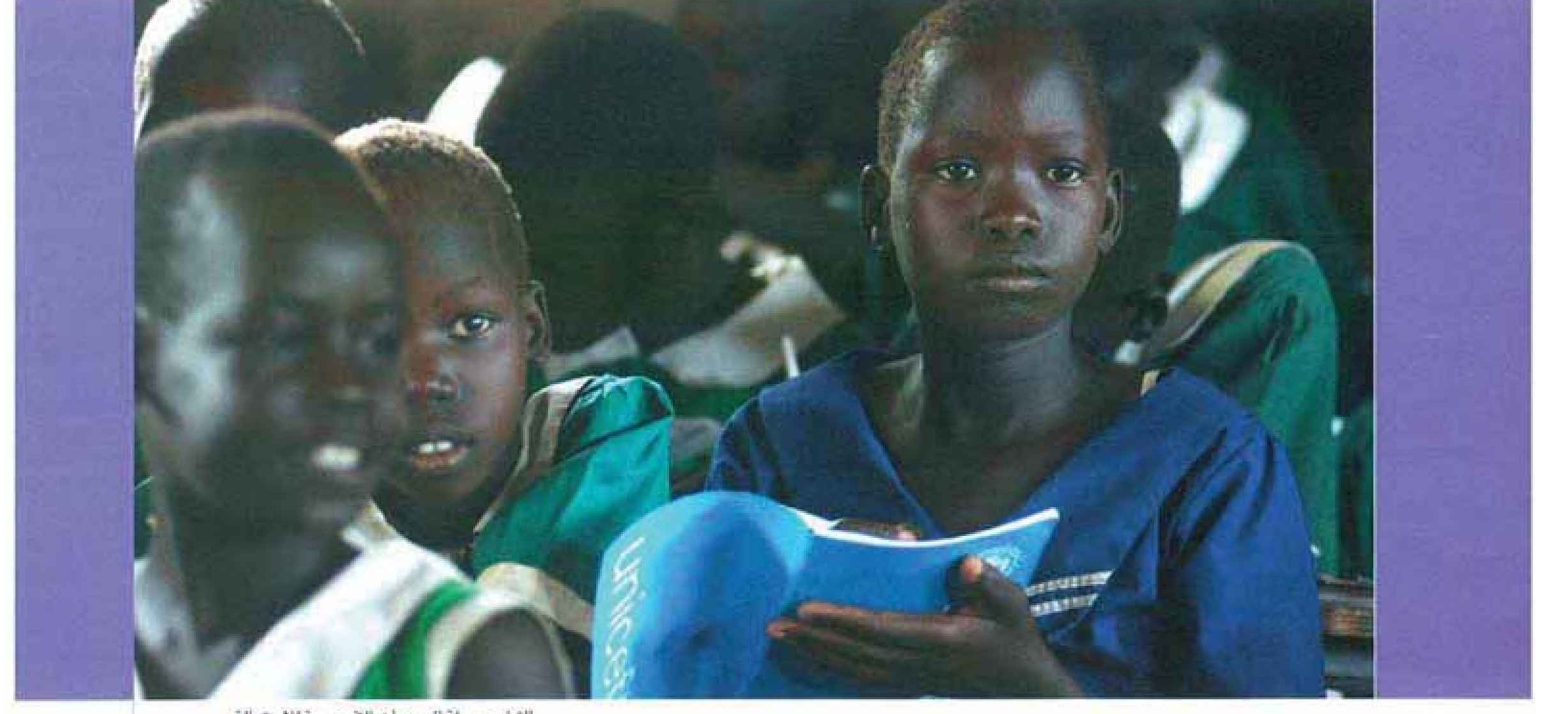
مثل هذا الحديث لتبقى مطمئنةً طوال الطريق الطويل.

يمضي كل شيء على ما يرام، لكنك تفاجأ وأنت تعود ليلاً إلى فندق (السودان الجديد) بتحوّل بوابته إلى ثكنة عسكرية، تذكّرك وجوه الجنود المدجّجين بأنواع العتاد بأيام الحرب الطويلة. يهدّئ قائد المجموعة من روعك، الأمر ليس كما ذهبت، إنهم مجرد فتية مراهقين، وفتيات مراهقات، وكما تعلم فإن اليوم سبت (ويك إند) نخشى من وقوع معارك، أقصد بعض الشغب.

لقد تفتّحت عيونهم مع الفصل الأخير من ليالي الحرب الكئيبة، لكنك الليلة أنت مجبر على سماع كل ألحان الموسيقا الإفريقية، حتى وإن أغلقت كل أبواب الفندق ونوافذه. وتلك حكاية أخرى تحكي عن عمق ارتباط هذه المدينة بإفريقية، أنت إذاً في جوبا.. مرحباً بك في جنوب السودان.

لمعان وسط الغابات المطيرة

تتكشّف صور هذه المدينة من أعلى نقطة كانت تحلّق فيها الطائرة وهي تتهيّأ للهبوط. في عيني كانت تلتمع بيوت الصفيح بين غابات شديدة الاخضرار تمتد على مدّ البصر، ومياه النيل الأبيض القادمة من عمق الجنوب الأوغندي. والدكتور عبدالله السريع - السفير الكويتي الأشهر - وكتابه (سنوات في جنوب السودان) التي شكّلت في عقلي الصور الأولى لهذه المدينة. وما بين تلك السنوات واليوم تبدّل كثير من الصور والمشاهد التي رصدها الدكتور السريع في بدايات سبعينيات القرن الماضي. فبعد سنوات قليلة أصبحت المدينة ساحةً للحرب. (قلعة) حصينة تقاتل حولها المتحاربون طويلاً. وبعد عقدين من الزمان وملايين من الضحايا سكتت أصوات المدافع والبنادق. وعادت المدينة تحاول استرجاع



التعليم وسيلة الجمعيات التنصيرية للاستمالة

بعض ألقها القديم. ثمة ما يدلّ على ذلك في مطارها المتواضع: خطوط طيران دولية، وأناس من أركان الدنيا الأربعة، ووجوه تبدو سعيدة بانتظار مصير المدينة بعد أقلّ من عام في أن تصبح جزءاً من الوطن الكبير (السودان)، أو عاصمةً لدولة جديدة في وسط إفريقية منفصلةً عن قلب الوطن؛ إذ تبعد ١٢٠٠ كيلومتر.

فسيفساء اللون الأسود

يمكننا تخيّل هذا التشكيل المتنوّع بالنظر إلى عدد القبائل التي يحتضنها الجنوب السوداني، الذي يبلغ أكثر من ستين قبيلة، يشكّلون في مجموعهم وفقاً لتعداد عام ٢٠٠٩م خُمس

(عربي جوبا) هو الاسم الذي يطلقه الناس على اللغة العربية التي يتحدث بها الناس في جنوب السودان، وهي عربية مهجنة ومطعّمة بكلمات تركية ونوبية وإفريقية.

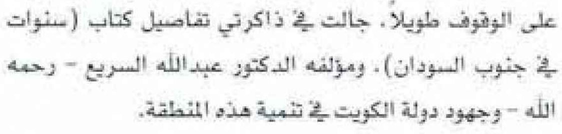
سكان السودان، البالغ عددهم ٣٩ مليون نسمة، وهو تنوّع يبدو عميقاً إذا نظرنا إلى ثقافة كل واحدة من هذه القبائل التي تمتلك لهجتها الخاصة بها، وكذلك عاداتها وتقاليدها، ولكنه يبقى متواضعاً إذا نظرنا إلى عدد القبائل التي يتكون منها المجتمع السوداني الذي يحتضن أكثر من خمسمئة قبيلة وخمسين لهجة. فنحو ثلثي أفراد قبائل الجنوب ينتمون إلى القبائل النيلية الثلاث الكبرى (الدينكا، والشلك، والنوير)، في حين ينتمي الثلث الآخر إلى قبائل مختلفة: منها: الباريا، والأنواك، واللاتوكا، والأشولي، والزاندي، والمورو، التي تمتلك كثيرها - في تشكيل القبائل الإفريقية - امتدادات بدول الجوار كإثيوبيا، وكينيا، والكونغو، وأوغندا، وإفريقية الوسطى.

الكويت الحاضرة دوما

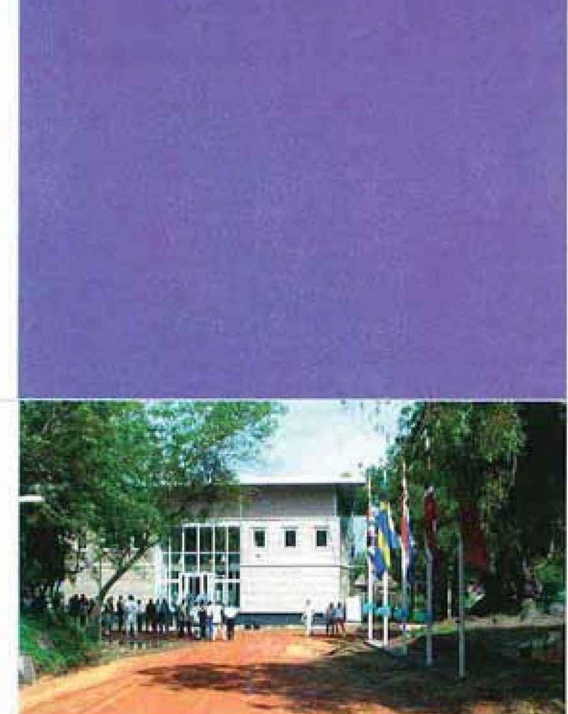
بعيداً من قبر جون جارانج يقودك طريق مترب ونصف مسفلت، تزينه أنواع من الأشجار الـ... يلة إلى مستشفى الصباح للأطفال. أجبرتني اللوحة الكبيرة التي غطّتها الأتربة والصدأ

مَعْلمان من معالم جوبا

على الوقوف طويلاً. جالت في ذاكرتي تفاصيل كتاب (سنوات في جنوب السودان)، ومؤلفه الدكتور عبدالله السريع - رحمه الله - وجهود دولة الكويت في تنمية هذه المنطقة.



لقد مرّت سنوات طويلة منذ أن طويت آخر صفحات هذا الكتاب. وعلى الرغم من ذلك مازالت أسطره وكلماته باقيةً في ذاكرتي بكل تفاصيله. لقد شكّلت فصول هذا الكتاب جزءاً من معرفتي بهذه المدينة التي لم أحظَ بزيارتها إلا بعد سنوات طويلة من قراءتي له. لا تشبه الصور التي شاهدتها في الكتاب، والتي ترجع إلى سبعينيات القرن الماضي، صور اليوم؛ فما بين التاريخين تغيّر كل شيء؛ ماتت الأشجار الجميلة التي كانت تزيّن المستشفى، وأصبحت الجدران والغرف خربة. لكن المستشفى ما زال يعمل. وفي أرجائه يتوسّد الأطفال الصغار مع أمهاتهم التراب، فيما المحظوظون يرقدون على بقايا أسرّة.



في أنحاء جوبا، كما هو الحال في أنحاء متفرقة من السودان، ما زال الجميع يتذكر عبدالله السريع، أو عبدالله جوبا كما كان يطلق عليه، وهو اسم يدلّ على مدى ارتباطه بمدينة جوبا، وهو ارتباط امتدّ إلى كل أنحاء السودان، خصوصاً بعد أن أصبح بعد ذلك سفيراً لدولة الكويت سنوات طويلة، وعميداً للسفراء العرب في الخرطوم. وما زال الجميع يتذكر أيضاً تلك الطرفة التي طالما كان الناس يردّدونها حينما أصرّ عدد من سكان جوبا على ترشيحه في الانتخابات المحلية للمدينة.

قبل سنوات أقامت ولايات السودان الجنوبية قاطبةً احتفالاً ضخماً لتأبينه، حضره ابنه بدعوة من حكومة جنوب السودان التي اعتبرت ذلك اليوم عطلة رسمية بمدينة جوبا؛ ليشارك جميع المواطنين في الاحتفالات، وقال حينها هنري جاد زكريا - والي بحر الجبل - لوكالة الأنباء الكويتية (كونا): إن تأبين السريع يأتي تعبيراً عن شكر أبناء جنوب السودان وامتنانهم للمجهودات الضخمة والإنجازات المتعددة والعمل الإنساني المتواصل الذي قدمه الراحل طوال مدة عمله بالسودان، التي امتدت من عام ١٩٧٤م إلى بداية تسعينيات القرن الماضي.

التاريخ والجغرافيا والسياسة

تعدّ منطقة جنوب السودان عامةً نتاجاً إدارياً حديثاً لا تتعدى أصوله التاريخية ما وراء القرن التاسع عشر؛ إذ لا يعرف عن الجنوب ما قبل عام ١٨٢٠م إلا اليسير؛ فقد حالت العوائق الطبيعية المتمثلة في الغابات والسدود والمستنقعات دون اتصال الجنوب بالخارج. ووفقاً للمعلومات التاريخية المتوافرة فإن المنطقة دخلت بؤرة الاهتمام العالمي مع مجيء القوات التركية المصرية عام ١٨٢١م؛ إذ فتح الجنوب أمام الاتصال بالعالم الخارجي، وحدث تحوّل اجتماعي في الحياة بظهور مراكز تجارية يجتمع حولها المواطنون لتبادل المنافع التجارية، وتسرّبت في الوقت نفسه المؤثرات القومية من قبائل الشمال، التي روحها الإسلام واللغة العربية، عبر التجار والموظفين إلى بعض القبائل في بحر الغزال، وبقدر قليل بين القبائل الكبيرة الدينكا والشلك، وأيضاً المسيحية في بعض المناطق.

هذا التداخل بين الشمال والجنوب أحدث أثراً في الشخصية الجنوبية وحّد بين الشمال والجنوب في بعض المواقف القومية؛ إذ انتظم بعض قبائل الجنوب في صفوف الحركات الثورية في ذلك الوقت، لكن هذا التواصل ما لبث أن ضعف مع خضوع السودان للحكم الإنجليزي المصري (١٨٩٩-١٩٥٦م)؛ إذ عمد المستعمر إلى قطع العلاقة بين الشمال والجنوب، وأغلق الجنوب أمام الأثر الشمالي حتى عام ١٩٤٧م بعد إعلان مؤتمر جوبا وحدة مستقبل الجنوب والشمال جغرافياً واقتصادياً وسياسياً، وقد ترتب على سياسة المستعمر عدة نتائج يعيش السودان آثارها إلى يومنا؛ فقد تسبّب ذلك في نشوء كيان إداري وسياسي واجتماعي عُرف بجنوب السودان، وهو ما لم يكن موجوداً من قبل؛ إذ كان مجرد مجموعات قبلية متناثرة لا يجمعهم كيان سياسي أو مصلحة أو لغة. كما تسبّبت تلك الخطوة في تأخّر الجنوب وتخلّفه عن التطور الذي شهده الشمال اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً؛ مما زاد الفجوة بين الشمال والجنوب، وأدى إلى ضمور الشعور لدى كثير من مثقفي الجنوب قبيل الاستقلال بأهمية الوحدة، فدعا بعضهم إلى نظام فيدرالي، ودعا آخرون إلى قيام دولة منفصلة في الجنوب، وقد عدّ هؤلاء وأولئك أن الجنوب منطقة إفريقية مختلفة عن الأمة السودانية في الشمال التي تنتمي إلى العروبة.

ازداد قبيل الاستقلال هذا الشعور لدى كثير من أبناء الجنوب، وقد أجّج ذلك حكومة الاستعمار، وغياب الرؤية

اتفاقية السلام وضعت حداً للحرب وفتحت باباً لا يسدّ



الثاقبة للحكومة الوطنية التي تشكّلت لتسلّم زمام البلاد، فاندلعت الحرب عام ١٩٥٥م، ولم يخبُ أوارها إلا عام ١٩٧٢م بعد اتفاقية أديس أبابا التي أعطت الجنوب الحكم الذاتي في إطار السودان الموحّد. نعم الجنوب بعدها باستقرار مدة عشر سنوات أثّرت تأثيراً عظيماً في اتجاه الإنسان في الجنوب وميوله على الرغم من اندلاع الحرب مرةً أخرى في عام ١٩٨٣م، وهي التسوية التي انهارت بعد ذلك عام ١٩٨٣م ليدخل السودان مرةً أخرى في نفق الحرب المظلم.

خيارات الوحدة والانفصال

تتحدث سوزان، التي قدمت معي من الشمال حيث قضت معظم سنوات عمرها، عن مستقبل أفضل لها ولأهلها في هذا الجزء من الوطن، التي تحلم بألاّ يكون كذلك جزءاً، بل وطناً متكاملاً منفصلاً منتمياً إلى العمق الإفريقي؛ فهو - كما تقول - بلد إفريقي مختلف في كل تفاصيله عن الشمال. وما يؤكد ذلك عادات الناس وتقاليدهم كما تقول سوزان التي تعمل موظفة في وزارة السياحة الوطنية في الخرطوم، وتضيف: «اسأل كل من تقابله لتتأكد مما أقول». وقبل أن أبدأ في تنفيذ ما طلبت سألتها إذا ما كان هناك من يشاركها الرأي في قولها هذا، فأجابت من دون تردّد: بل الجميع. لكن هذه الإجابة لم تقنعني كثيراً؛ إذ ظللت طوال إقامتي هناك كثير السؤال عن اتجاهات الجنوبيين تجاه خيارات الوحدة والانفصال، فتباينت الآراء. الدكتور تونغ، وهو طبيب ومثقف جنوبي، يختلف رأيه كثيراً عن سوزان؛ فهو يرى أنه لا فائدة من انفصال الجنوب؛ لأن ذلك - بحسب رأيه - سيخلق دولة معزولة ومخنوقة في وسط لا يعرفه كثيراً، مملوء بالحروب والتعقيدات الإثنية، وبدلاً من ذلك ينادي تونغ بالبقاء ضمن الوحدة، فقد قال لي: «لقد ظللنا طوال حياتنا مرتبطين بالشمال الذي نعرفه جيداً ويعرفنا على عكس المناطق المجاورة لنا، سيكون من الخطأ اختيار الانفصال».

في الحقيقة، إن هذا الاختلاف في وجهات النظر ليس بجديد؛ فمنذ سنوات الاستقلال الأولى ومشكلة الجنوب تشغل بال العقل السياسي السوداني والإقليمي، بل العالمي؛ فهو موضوع حيوي ومهم، ليس في الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي السوداني، بل في الواقع الإقليمي أيضاً بشقيه الإفريقي والعربي؛

> حركة التجارة المزدهرة من وقت بعيد أسهمت - ومازالت - في توسيع رقعة تداول اللغة العربية في جنوب السودان

فهذه المشكلة - كما يقول الدكتور سراج الدين عبدالغفار عمر في كتابه (جنوب السودان.. خيارات الوحدة والانفصال) - تمثّل نموذجاً حياً لمشكلات القارة الإفريقية على اتساعها، وهو صراع في أصله حضاري كما يقول، قطباه الثقافة الإسلامية والمسيحية، وهو ما من شأنه أن يتواصل؛ لأنه يهدف إلى تحديد هوية السودان وانتمائه.

ويضيف سراج الدين أنه من خلال البحث الميداني المعمق اكتشف الإجابة عن السؤال الذي ينتظر الحسم من الجنوبيين بعد المرحلة الانتقالية في السودان المقررة بموجب اتفاق السلام؛ إذ يقرّر المؤلف أن نتيجة بحثه أكدت «أن الجنوبيين يرغبون في الانفصال عن الشمال، وتكوين دولة خاصة بهم، كما أن الوجدان الجنوبي يرفض كل ما هو شمالي، حتى إن حركة النزوح نحو الشمال لم تؤدّ إلى اندماج أبناء الجنوب في مجتمع الشمال بالقدر المطلوب والمتوقع، كما أن أبناء الجنوب سيختارون الانفصال مهما جلب لهم من متاعب ومشكلات، وأن المستقبل لا يحمل أيّ بوادر للوحدة بين الشمال والجنوب».. ويمضي قائلاً: إن العوامل الديموغرافية والجغرافية والاقتصادية والدولية تصبّ كلها في خانة الوحدة، وتجعل انفصال الجنوب أمراً صعب التحقيق على (أرض) الواقع العملي، وإن الانفصال سيؤدي إلى خلق مشكلات جديدة بأسماء وأجندة جديدة، وخير لأهل السودان أن تقوم وحدتهم على معطيات تحقّق أكبر قدر من المشاركة والمساواة بين المواطنين، وتوزّع فيها الثروة بين أقاليمه المختلفة.

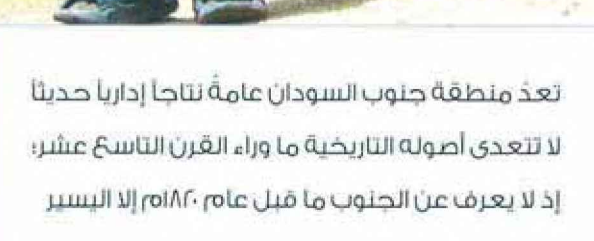
كونج كونج

بعيداً من هذه الخيارات والآراء، قرّرت يوماً أن أخوض مغامرة لاستكشاف مشهد ما بعد الحرب، وهي مغامرة حقاً؛ لأنها تأخذني بعيداً من وسط المدينة الآمن، ولأنها كذلك ستقودني إلى سوق (كونج كونج)، الذي يعدّ واحداً من الأمكنة المثالية لتجمّع الوافدين من دول الجوار، وكذلك لبيع البضائع الرديئة والمقلدة القادمة من الصين وشرائها، وكذلك لكلّ ما هو ممنوع.

في الأمتار الأولى من الطريق استوقفتنا فتاتان كانتا على قارعة الطريق تشيران للسيارات العابرة إلى جهة السوق. استوقفت مرافقي الذي كان يقود السيارة، وقفزت الفتاتان إلى

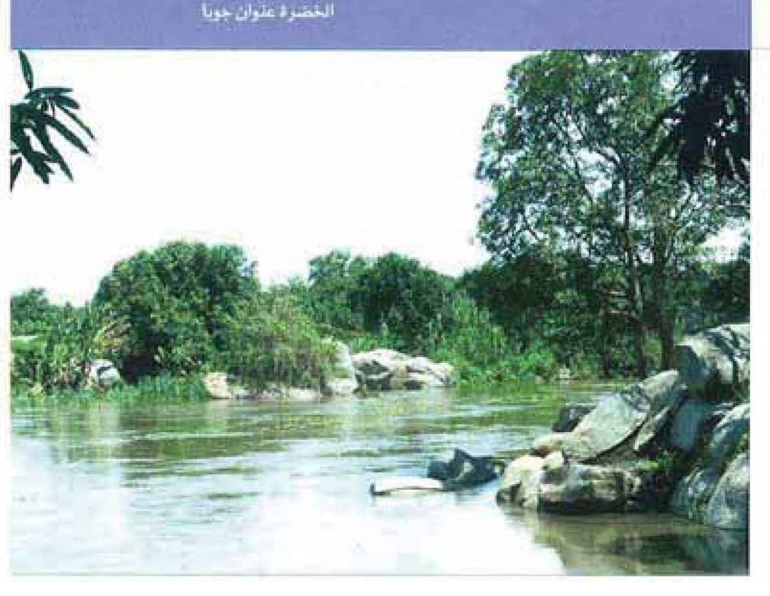
أطفال يمارسون اللعب بالإطارات





تعدّ منطقة جنوب السودان عامةً نتاجاً إدارياً حديثاً لا تتعدى أصوله التاريخية ما وراء القرن التاسع عشر؛ إذ لا يعرف عن الجنوب ما قبل عام ١٨٢٠م إلا اليسير

الخضرة عنوان جوبا



جوفها، كانتا من ملامحهما غريبتين عن المنطقة، وبالحديث عرفت أن إحداهما من إريتريا، والأخرى من أوغندا، وقد قدمتا منذ شهور للعمل في أحد الفنادق الجديدة التي يديرها مستثمرون إثيوبيون. أعادني حديثي مع الفتاتين إلى المشهد الأول الذي وقع على عيني حينما هبطت أول مرة في مطار جوبا، كانت هناك طائرات كثيرة تحمل علامات لخطوط جوية لعدة بلدان إفريقية؛ منها: كينيا، وأوغندا، وإثيوبيا، وتنزانيا. وهو ما لا يمكنك مشاهدة بعضها في مطار الخرطوم. لقد كان لذلك

دلالات كثيرة ليس بالنسبة إليّ، بل للكثيرين القادمين إلى جوبا، في الواقع كان هناك ما يدل على (فكرة) دولة، دولة تتكون بهدوء بعيداً من الشمال، وهو ما دعاني إلى سؤال كلّ من قابلت لاحقاً من أبناء الجنوب عن خيارات الانفصال أو الاندماج.

وسط (زخات) الأتربة الصفراء بدا سوق كونج كونج، عشرات من الأكواخ المبنية من الطين والقش، ومئات من الأنفس البشرية، وآلاف الأطنان من البضائع المقلدة والمكدسة داخل الأكواخ وخارجها. ملامح العاملين في السوق تبدو غريبة، لكنها تدلّ على البلدان القادمين منها، وهي تلك القريبة من جوبا، وهو ما يفسّر أيضاً سبب تداول الجميع عملات هذه الدول. أما البضائع، فقادمة من الصين بالدرجة الأولى، وجلها مقلّدة يتم نقلها عبر الطرق التي فتحت مع توقيع اتفاقية السلام بين الشمال والجنوب عام ٢٠٠٥م. في الواقع، إن هذه الطرق لم تجلب البضائع فقط، بل جلبت معها كذلك مظاهر وتقليعات جديدة تبدو واضحة في ممارسات الشباب، وفي ملابسهم ومظهرهم العام، ولعل أبرزها تبدو في ولع الشباب باحتذاء القبعات الأمريكية بالمقلوب، والنظارات الشمسية، والقيادة السريعة للدراجة النارية الرخيصة المستوردة من الصين.

للكثيرين، فإن ذلك لا يمكن تفسيره إلا في سياق (الجنوب الجديد)، الذي تشكّل مع انتهاء الحرب، ودفع نفوس الناس إلى البحث عن نوع من الاستقلالية و(الراحة) بعد سنوات الحرب الطويلة. إنه في الواقع مشهد استراحة، ولكنها ليست استراحة محارب: فالجميع كما بدا لي ليسوا على استعداد للعودة إلى الوراء، ولكنهم على استعداد لأخذ رأي نهائي لما سيكون عليه شكل الجنوب مستقبلاً.

> الجميع كما بدا لي ليسوا على استعداد للعودة إلى الوراء، ولكنهم على استعداد لأخذ رأي نهائي لما سيكون عليه شكل الجنوب مستقبلاً

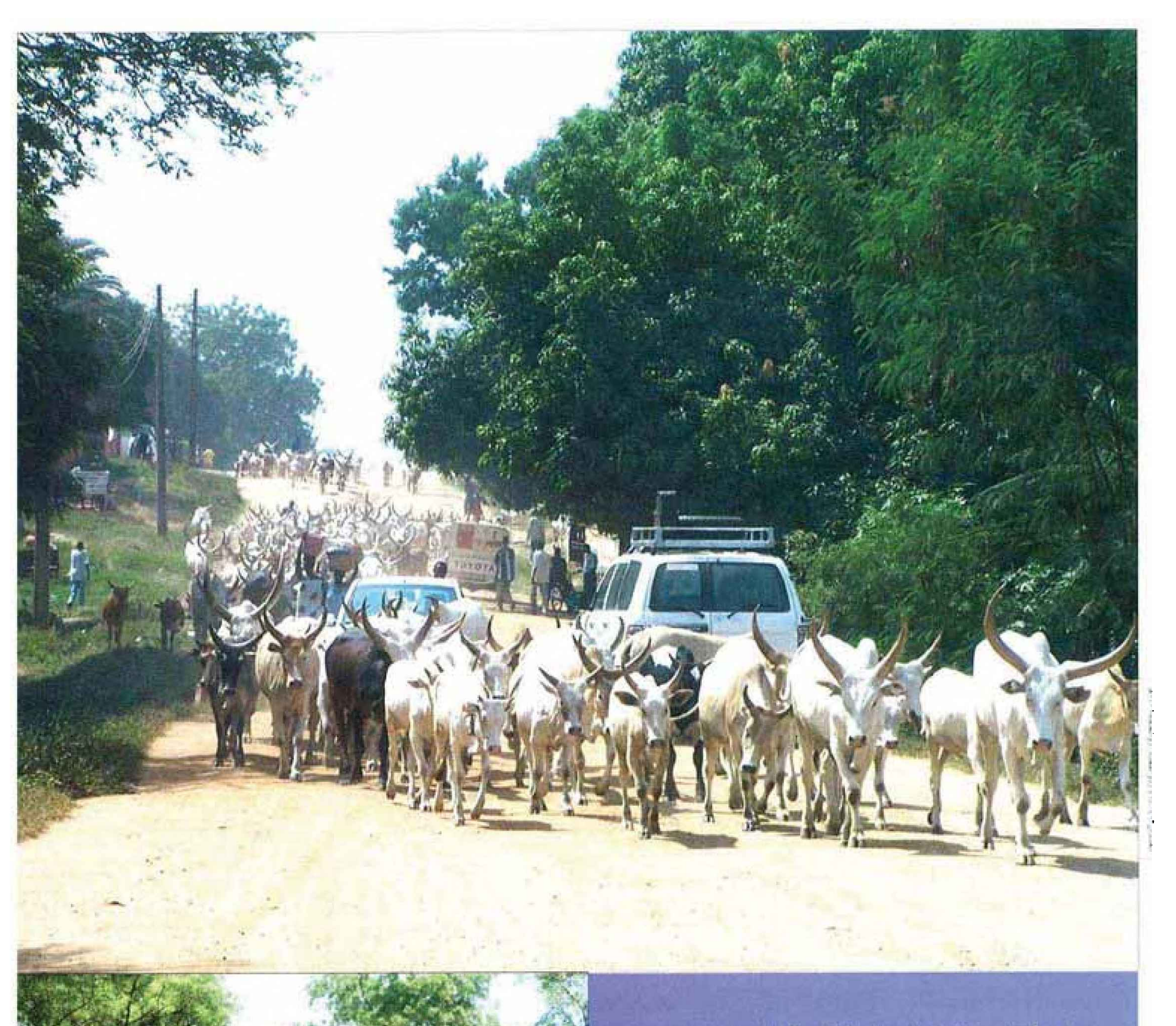


العربية في جوبا

تبدو الكلمات العربية التي ينطق بها سكان جوبا غريبة لكل زائر جديد، وهذا صحيح تكتشفه مع المزيد من الحديث مع الناس هناك. بالنسبة إليّ لم يكن الأمر مستغرباً؛ لأني سوداني أختلط مع كثير من أبناء الجنوب، لكن الأمر لا يبدو كذلك لشخص آخر قادم من خارج السودان. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الأمر يمثّل دليلاً على انتماء هذا الجزء إلى السودان، يعزّزه ما تشاهده في الأسواق من وجود مكثّف للتجار العرب السودانيين القادمين من الشمال؛ إذ تؤكد المصادر التاريخية وجود علاقة كبيرة بين هؤلاء التجار و(عربي جوبا)، والأخير هو الاسم الذي يطلقه الناس على اللغة العربية التي يتحدث بها الناس في جنوب السودان، وهي عربية مهجّنة ومطعّمة بكلمات تركية ونوبية وإفريقية. لكن ثمة سؤال يبقى هنا، هو: كيف استطاعت اللغة العربية أن تتبوّأ هذه المكانة في هذه المنطقة التي تعجّ بكثير من اللغات واللهجات؟!.

اللغة الرسمية

من بين ٥٠ لغة ولهجة يتحدث بها الجنوبيون تبقى العربية هي اللغة الرسمية والأكثر استخداماً بين الناس، وهذا الأمر في حدّ ذاته يثير التعجّب، وهو تعجّب يزول حينما ننظر إلى التباين الكبير الذي يقسم السكان هناك، وانتمائهم إلى قبائل

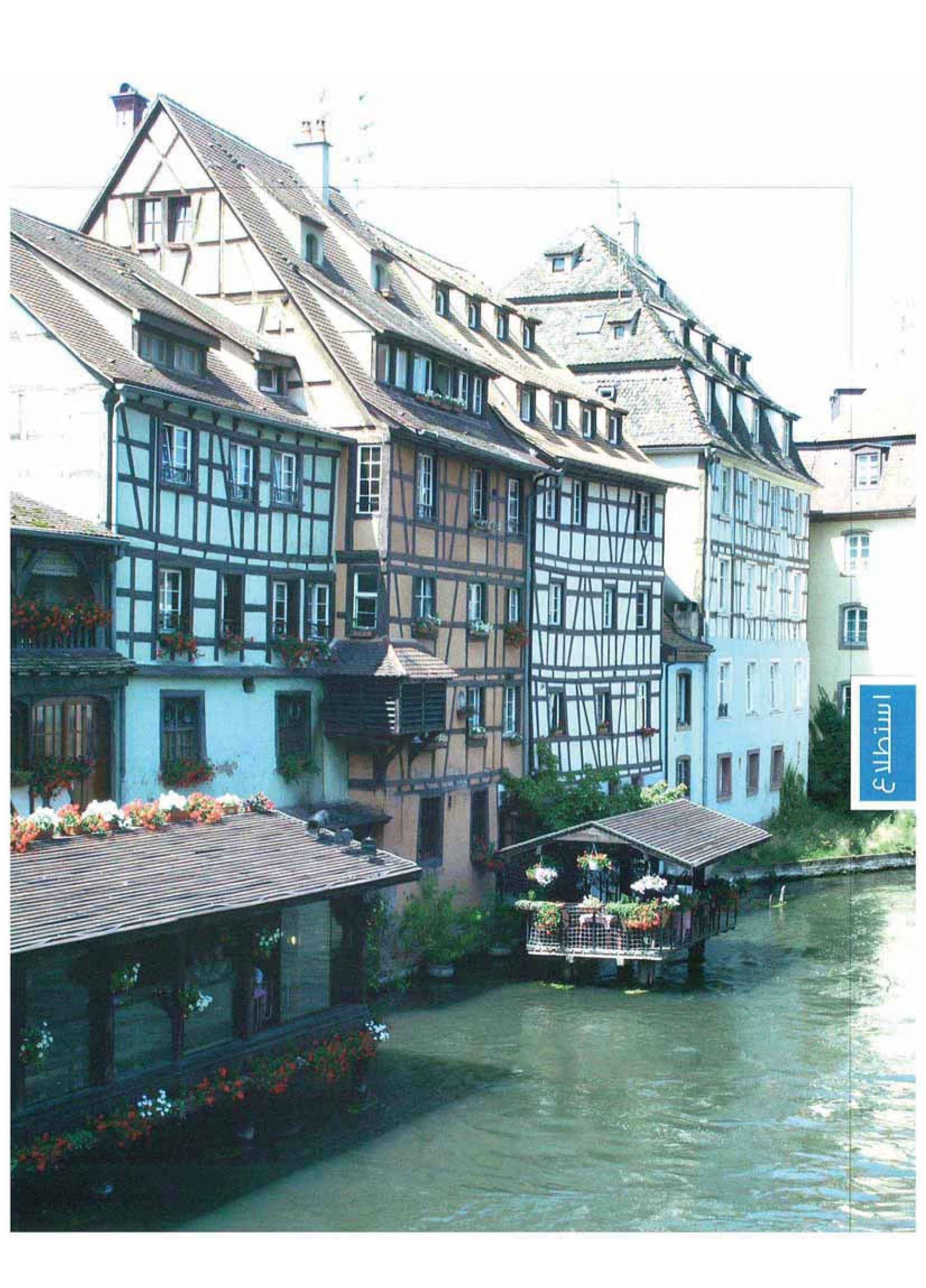


في أنحاء جوبا، كما هو الحال في أنحاء متفرقة من السودان، ما زال الجميع يتذكر السفير الكويتي عبدالله السريع، أو عبدالله جوبا كما كان يطلق عليه، وهو اسم يدلّ على مدى ارتباطه بمدينة جوبا

كثيرة حالت دون (سيطرة) أيّ من اللغات الخمسين. ومما لا شك فيه أن العربية مرّت بمراحل كثيرة قبل أن تحتلّ هذه المكانة على ألسنة الجنوبيين. في كتابه (لهجة جوبا العربية)، الذي استعرضته مجلة (العربي) في عددها رقم ٥٨٧. أكتوبر عام ٢٠٠٧م، تطرّق الدكتور شول بول دينق إلى المراحل التاريخية التي نشأت فيها هذه اللغة (الهجينة) وتطورت؛ إذ أشار إلى الحقب التي شهدت فيها اللغة ازدهاراً وانحساراً. وأشار دينق عند حديثه عن تاريخ دخول العربية إلى الجنوب السوداني إلى العهد التركي المصري؛ إذ دخلت العربية بصورة تلقائية من دون تخطيط لغوي عبر عدد من الوسائط؛ كالتجار الشماليين والشوام والمصريين، وجنود الحكم التركي. لكن دينق أشار في كتابه إلى حقب انحسار كثيرة مرّت على اللغة العربية في تلك المنطقة. وهذه الحقب بحسب كتابه هي مدة حكم المهدية (حركة إسلامية طردت الحكم التركي، وحكمت السودان سنوات قليلة قبل أن يقضي عليها الاستعمار الإنجليزي التركي)؛ إذ عمد حكام المهدية إلى تفكيك المؤسسات التي أسهمت في نشر العربية بالجنوب. أما أكثر حقب الانحسار، فكانت في أثناء الاستعمار الذي خطّط إلى فصل الجنوب عن الشمال. وقام بوضع التعليم في يد الجمعيات التنصيرية، وحارب الإسلام واللغة العربية ومظاهرها في أنحاء الجنوب كافةً. إضافةً إلى الإجراءات القوية التي قام بها من أجل منع الالتقاء بين الشمال والجنوب بعدة وسائل. كان أشهرها المؤتمر الذي عُقد في مدينة الرجاف في أقصى الجنوب السوداني، وحمل اسم المدينة، وقصد منه اختيار لغات محلية تحلّ محلّ العربية. وبحسب دينق، فإن هذا المؤتمر أسهم بشكل كبير في انحسار العربية في جوبا والجنوب عامةً.

لكن يجب القول هنا: إن حركة التجارة المزدهرة من وقت بعيد أسهمت - ومازالت - في توسيع رقعة تداول اللغة العربية. ونذكر هنا أن الحركات الوطنية في حقبة الاستعمار، وكذلك ما بعده، أسهمت في ازدهار اللغة العربية من خلال عدد من الخطط التي نُفّذت في مدد متقاربة.وعلى الرغم من إطلاق اسم جوبا على اللغة العربية، وقول الجميع (عربي جوبا)، إلا أن مساحة تداولها تتجاوز المدينة لتشمل كل مناطق الجنوب تقريباً. حتى إن كثيراً من سكان هذه المناطق يأتون إلى جوبا لتعلّمها. وعن خصائص عربية جوبا وتعريفها يقول دينق في مؤلفه المذكور: إنها لغة تتكون من جملة من الأصوات الساكنة والمتحركة. وهي تتطابق مع العربية الفصحى في بعض المخارج والأصوات، وتختلف معها في بعضها الآخر. ويؤكد دينق في هذا الإطار تأثّرها بلغات بعض القبائل: كلغة قبيلة الباريا التي تستوطن جوبا وما حولها. كما أنها استفادت من بعض الكلمات العربية العامية والتركية والنوبية والأوغندية.





ستراسبورغ .. فرنسا الصغيرة

إشراح عبدالحفيظ سعدي
الجزائر العاصمة - الجزائر

لم يكن ليفارق ذاكرتي، طوال زيارتي مدينة ستراسبورغ الفرنسية، عمل الروائية الجزائرية آسيا جبار (ليالي ستراسبورغ). وبقي بصري معلّقاً في واجهات الفنادق علّني أجد عبارة النحاتة كامي كلوديل، التي نُحتت على أحد الفنادق «يعذّبني دائماً شيء غائب». عبارة انبنى عليها عملها الروائي، ولكنها أضيق بكثير من مدينة حاضرة بتاريخها وأزقّتها وتفاصيلها المدهشة.. إنها ستراسبورغ مدينة الأغنياء.

ستراسبورغ المدينة المحاطة بالقنوات المائية من كل الجهات، وممراتها الضيقة، ومبانيها العتيقة تذكّر الزائر بمجموعة من المدن العائمة في الماء؛ كمدينة البندقية الإيطالية، ومدينة بروج البلجيكية، ومدينة أمستردام الهولندية. ومع أنها ليست مدينة عائمة إلا أن القنوات التي تحيط بها من جهاتها الأربع توحي إلى الزائر بذلك مع أنها أصغر بكثير من تلك المدن.

ستراسبورغ مدينة الراجلين؛ إذ تتميّز بعدم دخول السيارات إلى ساحاتها الرئيسة؛ كأشهر ساحة فيها (ساحة كليبار)، التي لا يمكن للسائح إلا أن يُسحر بتفاصيلها الدقيقة: معمار متناسق من الزمن العتيق، وعمارات متساوية في الطول، ومتشابهة الألوان. صورة لم نعهدها في مدننا وعواصمنا. أزقة ضاقت أو اتّسعت مرصوفة بحجر متساوٍ. إنها صورة لفنان استباحتها أرجل البشر، ولكن لم تكن لتحفظ في المتاحف؛ لأن كل الممرات والأرصفة لوحات تجلب نظر السائح قبل العمارات والفنادق والمحلات، ويتذكر عند كل عودة إلى الفندق أن حذاءه لم يتّسخ، ولم يتعثر، ولم يشعر بالتعب وهو يمشي ساعات متتالية.

التنازع بين فرنسا وألمانيا

تقع مدينة ستراسبورغ شرق فرنسا، ويبلغ عدد سكانها ٧٠٠ ألف نسمة. ومدينة ستراسبورغ هي عاصمة إقليم الألزاس الذي تنازعت السيادة عليه ألمانيا وفرنسا سنوات طوالاً؛ إذ تبعد ستراسبورغ من مدينة (كال) الألمانية، وهي المدينة الحدودية مع فرنسا، تسعة كيلومترات. ولا يكاد العابر الحدود يشعر بالفرق بسبب قصر المسافة، وإلغاء المعابر الحدودية في أوربا، إلا بتغير الإشارات واللافتات المكتوبة بالألمانية. دمّرت هذه المدينة الصغيرة في العصور الوسطى بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بسبب صراعات دينية. ثم أنشئت من جديد، ولكنها حافظت على مبانيها التاريخية السابقة ورمّمتها على مرّ العصور.

ولطالما تنازعت ألمانيا وفرنسا على ستراسبورغ هذه المدينة؛ ففي عام ١٦٨١م انضمت ستراسبورغ إلى فرنسا في عهد لويس الرابع عشر بعد خسارة الإمبراطورية الرومانية

حرب الـ٣٠ عاماً، بينما تمت محاصرة ستراسبورغ واستسلمت للإمبراطورية الألمانية عام ١٨٧٠م. واتخذ إقليم الألزاس المدينة عاصمةً له في عام ١٨٧١م عندما كانت أنذاك تحت الأراضي الألمانية، وتم تحرير المدينة من قبل القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غورو في عام ١٩١٨م، وتم احتلال المدينة مرةً أخرى، وضمها إلى الرايخ الثالث، عام ١٩٤٤م، بينما تم تحريرها من قبل الجنرال لوكلارك لتعود إلى السيادة الفرنسية عام ١٩٤٤م.

أسباب للتميز

وستراسبورغ مدينة موغلة في التاريخ؛ إذ قام الملك فرانكس كلوفيس عام ٤٩٦م بضم المدينة - أجمل مدن منطقة نهر الراين الأوربية - إلى مملكة ميروفنغيان، وتم تسميتها ستراسبورغ؛ أي: مدينة تقاطع الطرق، قبل أن تدخل في الإمبراطورية الرومانية مدة ثمانية عقود عام ٨٧٠م.

ومن أكثر ما يميّز هذه المدينة الحالمة نهر الراين الذي يخترقها، ويعدّ موقعها بالنسبة إلى أوربا مفترق طرق: فهي قريبة من فرانكفورت، وميونيخ، وبادن بادن، وزيورخ، وانترلاكن، وزيلامسي في مدة زمنية تراوح بين ساعة وثلاث ساعات، وهي أقرب إليها من عاصمتها باريس.

من أبناء البلدة الذين ذاع صيتهم مدام توسو، واسمها ماري كروش ولتزو، التي وُلدت في مدينة ستراسبورغ، وترعرعت في باريس، وعاشت في لندن، وأنشأت متحف الشمع الذي جسّدت فيه تماثيل شمعية لمشاهير العالم: فهو مزار مشهور في العاصمة البريطانية.

تعدّ مدينة ستراسبورغ الفرنسية من أكثر المدن جاذبية؛ لما تحتويه من معالم ثقافية وآثار دينية؛ إذ لا يمكن أن تمرّ بناحية من المدينة من دون أن ترتفع أسقف الكنائس بها.



وقد ضمّت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) هذه المدينة إلى قائمة التراث الحضاري الإنساني عام ١٩٨٨م، وكانت أول مدينة فرنسية تحظى بذلك.

اكتشف الرومان هذه المدينة في القرن الـ١٢ قبل الميلاد، واستفادت من جميع أنواع التجارة والحركات الفكرية من عدد من المدن الأوروبية الإستراتيجية؛ فهي ملتقى طرق الشمال والجنوب والشرق الغرب.

كاتدرائية نوتردام

وما لا يمكن أن يتجاوزه نظر السائح هو كاتدرائية ستراسبورغ، أو كما تعرف بـ(كاتدرائية نوتردام)، التي بدأ العمل ببنائها في القرن الـ١١ الميلادي، واستمر العمل بها نحو قرنين ونصف القرن، وهي تعلو شامخةً في السماء بلونها الأسمر الذي يطارد السائح في كل أركان المدينة حتى من خارجها.

وتعدّ كاتدرائية نوتردام التي تمّ وضع حجر أساسها في عام ١٠١٥م، وانتهي من بنائها عام ١٤٣٩م، والممتدة على طول ١٤٢ متراً، قطعة فنية فريدة؛ إذ وصفها الكاتب الكبير فيكتور هيجو بأنها «براعة إدماج الضخامة في الشكل مع رقة البناء».

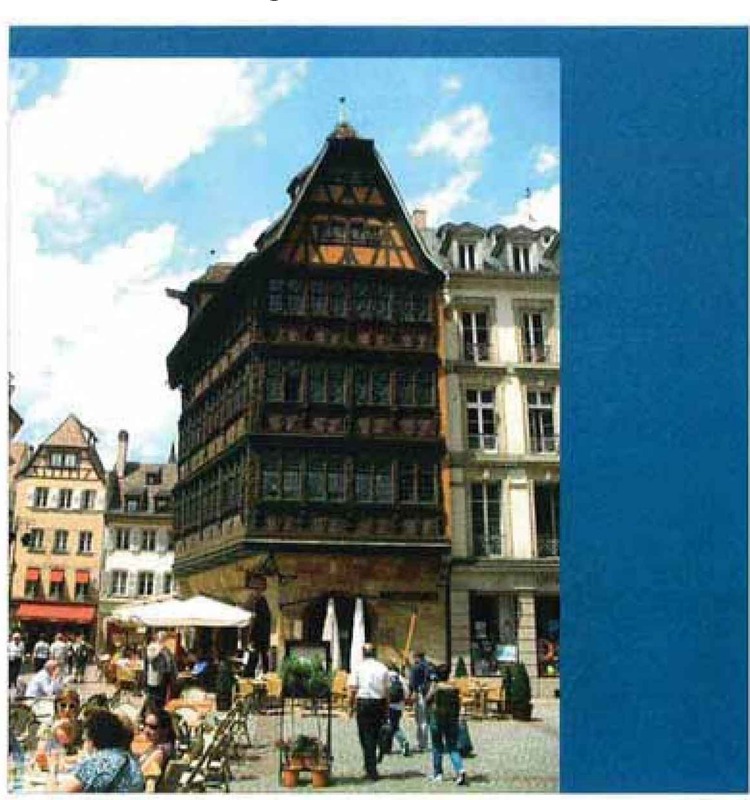
ومن بين الكنائس المشهورة في ستراسبورغ كنيسة سانت تومس البروتستانتية، التي تعدّ مثالاً للفن في إقليم الألزاس الفرنسية، وهي تحفة من القرن الـ١٨، وتتمتّع بأسلوب الفن المعماري الباروكي الحميم.

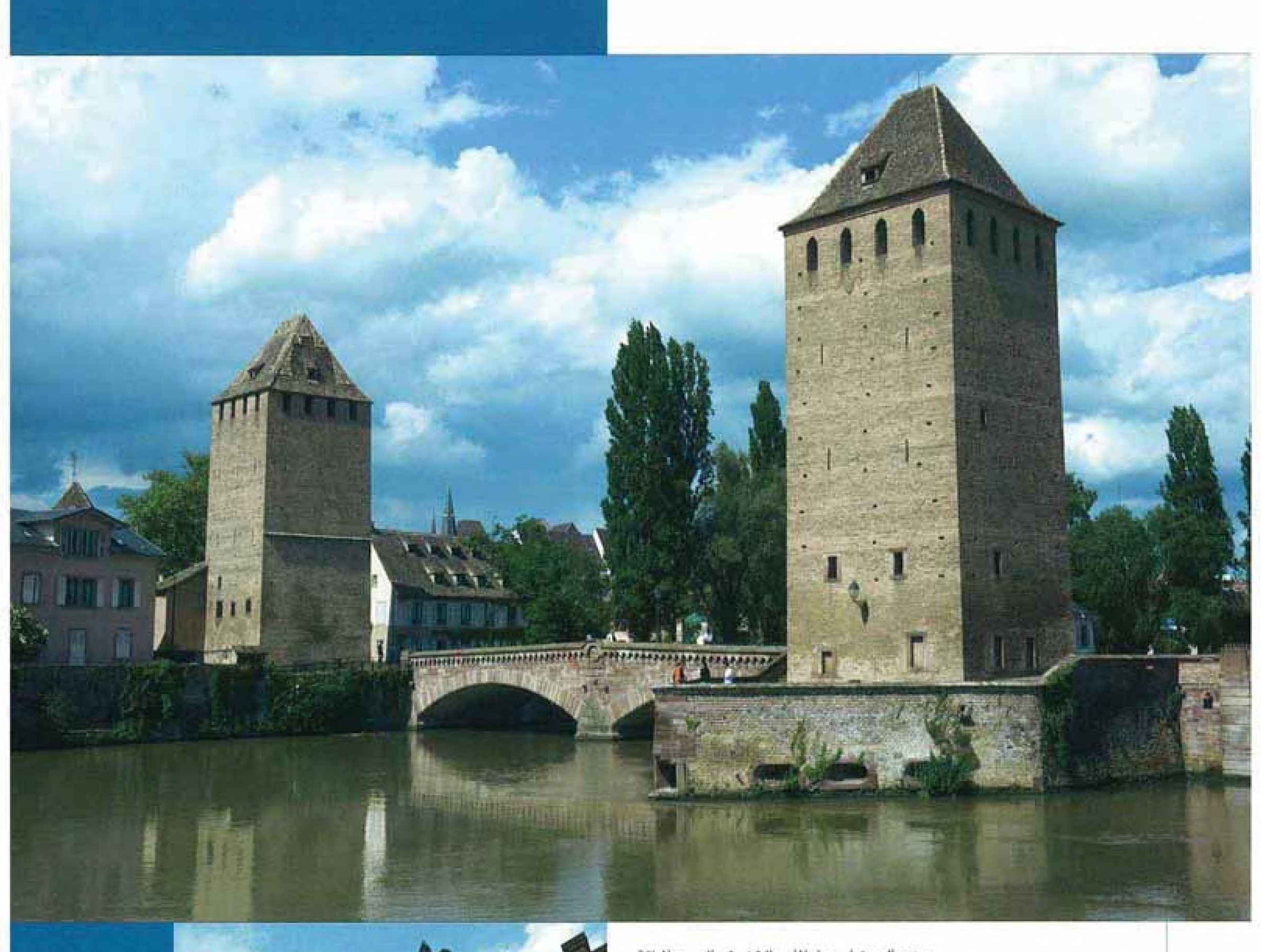
فرنسا الصغيرة

ولابدّ من زيارة فرنسا الصغيرة، أو كما تسمى (لابوتيت فرانس)، الواقعة في مركز المدينة، وتتخللها جداول المياه، وتعدّ من أروع المناطق في ستراسبورغ القديمة؛ إذ كانت سكناً لصيادي السمك والخبّازين ودبّاغي الجلود الذين يستخدمون طرقها المائية.

ولأول وهلة يخال الزائر أن البيوت المدهونة بالوردي والأصفر والأرجواني، والمفصولة طوابقها بالخشب الشديد السمرة، قطع من الحلوى، أو بيوت من البيوت التي تعوّدنا أن نراها في الرسوم المتحركة.. إنها صورة لمدينة عائمة فوق الماء، لولا لفحة نسيم الراين الباردة لقلنا: إننا في حلقة من حلقات المسلسل الكرتوني (أليس في بلاد العجائب). البيوت هناك شكلها غريب؛ فهي بعدة ألوان، ونهايات ممتدة، وبعضها متعرّج، وبعضها بالقرميد الأحمر مكتسية، وبشكل جميل مصطفة. أبواب تلك البنايات على ممرات صغيرة، والممرات الصغيرة بجانبها أرصفة بالحجارة مرصوفة، والأرصفة يفصلها عن النهر مسطحات بالأعشاب مخضرة، والنهر تحوم بوسطه العبارات وقوارب للرحلات صانعةً عالماً منعشاً ينبض بالحياة الجميلة. إنها ستراسبورغ حيث هناك شيء غائب يعذّب عشاق الجمال دائماً، وإن كان هذا الجمال من حجر صلد وخشب قد تأكله النيران فيستحيل إلى رماد.

ساحات ستراسبورغ تتميز بمعمار متناسق من الزمن العتيق





من معالم ستراسبورغ: الماء، والخضرة، والجسور المعلقة

ولكن الرماد في أوروبا ينفخ فيه، فيبعث من جديد مباني مرممة وحضارة يعشقها أهلها، بل يقدسونها، فيسهرون على الحفاظ عليها، ويتفاخرون بها، ويورثونها جيلاً بعد جيل تتضاعف قيمتها المعنوية والمادية.

والتنقل في منطقة (لابوتيت فرانس)، التي بُنيت منازلها ذات الأسطح المائلة بين القرنين الـ١٦ و١٧ - كما قال لنا باتريك لوروا المرشد السياحي - عبر أحد القوارب الصغيرة في المساء متعة لا يمكن للزائر أن يفوتها وهو يشمّ رائحة

كاتدرائية نوتردام الشهيرة

الطحالب، ويتأمل معمارها وشرفها المزدانة بالورد، وبلورها اللامع، وكأن أيادي خفيّةً تسهر على تنظيفه على الرغم من المطر والتقلبات الجوية.

غصون وجسور

لا يمكن للذي زار مدينة ستراسبورغ أن ينسى الأغصان المائلة، والأوراق المتدلية، والجسور المعلقة فوق النهر الرابطة بين ضفتي مدينة تغرق في السحر والحسن والجمال، ولا يمكن أن ينسى ستراسبورغ بمبانيها الملونة، وقنواتها المتفرعة، وجمالها الفتّان، ولا يمكن أن ينسى البيوت المصفوفة كقالب حلوى لطباخ ماهر على جانب النهر، والأشجار المتناسقة والمرتبة على طول الطريق، التي تزيد الشوارع بهاءً وخضرةً، ولا يمكن له أن ينسى البيوت بالألوان المختلفة، والنهايات الممتدة والمتعرجة، والقرميد الأحمر، وأبواب تلك البنايات عبر الممرات الصغيرة، والممرات الصغيرة بجانبها أرصفة بالحجارة مرصوفة، والأرصفة يفصلها عن النهر مسطحات بالأعشاب مخضرة، والنهر تحوم بوسطه العبارات وقوارب للرحلات؛ إنه عالم منعش ينبض بالحياة.. إنها ستراسبورغ حيث هناك شيء غائب عذّب النحاتة كاميل كلوديل.

صورة عالقة بذهني: ضفتا النهر يصل بينهما جسر، وعلى الجسر علقت أنواع من الزهر في مزهريات حديدية، تزيد البهاء بهاءً، هي صور للطبيعة حين تتزاوج بالفن الإنساني. في لحظة من اللحظات طرحت سؤالاً بداخلي: لو أن هذه الورود المتناثرة على طول الشوارع والجسور كانت في الشوارع العربية، هل كنا لننعم بها في مكانها من دون أن تمتد إليها الأيادي المعادية لكل ما هو جميل. وفي هذه المدينة (بيت كاميرزيل)، الذي وضعته منظمة اليونسكو ضمن قائمة التراث الحضاري الإنساني، ويعود تشييده إلى القرن ١٥؛ إذ يعدّ جوهرة تاج الفن في ستراسبورغ حيث كان التجار يبيعون بضائعهم في فنائه تحت جسوره المنحوتة.

مدينة ستراسبورغ بمبانيها وتاريخها تعدّ أكثر المدن الفرنسية حميمةً، وتبقى دائماً مدينة الأغنياء، أو كما يسميها الفرنسيس «ستراسبورغ لا فيل دي بورجوا».

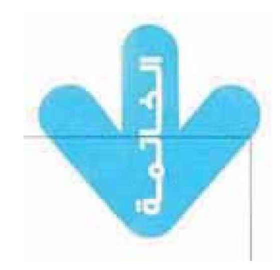
ستراسبورغ.. المتأرجحة بين فرنسا وألمانيا

تقع ستراسبورغ في شرق فرنسا على نهر الراين، وهي تبعد من باريس نحو ٤٠٠كم، وتعدُّ مركزاً تجارياً مهماً؛ لوقوعها على الحدود الألمانية الفرنسية. ولهذه المدينة عمقها التاريخي؛ إذ تضم مباني من القرون الوسطى، ومن أهم معالمها القديمة كاتدرائية نوتردام القوطية بساعتها الكبيرة الشهيرة، ونافذتها الوردية الشهيرة، ويبلغ ارتفاعها ١٤٢م، وقد تأسّست جامعة ستراسبورغ عام ١٥٣٨م. وكانت ستراسبورغ مدينة ألمانية حرّة حتى عام ١٦٨١م عندما ألحقت بفرنسا، ويُقال: إن النشيد الوطني الفرنسي (المارسيليه) كُتب في أثناء الثورة الفرنسية في ستراسبورغ.

تنازلت فرنسا عن ستراسبورغ لألمانيا بعد الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠م، وعادت المدينة إليها مرةً أخرى بعد معاهدة فرساي عام ١٩١٩م. ووقعت ستراسبورغ في قبضة القوات الألمانية في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)، وأصبحت مقراً للبرلمان الأوربي منذ عام ١٩٤٩م.

الجمال والهدوء في كل مكان في ستراسبورغ





اقرأ.. فلم نقرأ!

محمد نذير محمد العلاف
دمشق - سورية

أرانا في ضياع فكري، منشغلين في طلب الأرزاق، وفي تشتّت ذهني. لم نعُد نعرف البداية من النهاية، وصرْنا تائهين تسيّرنا المصالح والأهواء، وتتلبّسنا العقد النفسية، فأصبحنا مجتمعاً مريضاً يكتنفه الغموض من كل جانب.

في الدين.. لم نملك قوة عقيدة وإيمان مع أنها محيطة بنا؛ فداخله مرارة جهل أو نفاق.

وفي الحضارة.. لم نملك من القيم ما نتعلّق بشراعه مع أن الذاكرة مُلئت بمشروعاته.

لم نبنِ لدينا البناء الصحيح، ولم نترك لآخرتنا ما ينضّر الوجوه.

لم تجتمع الأمة الإسلامية على الدين القديم بلا اختلاف ولا خلاف، والنصرانية واليهودية كذلك.

ملؤوا الأرض اختلافاً في التفاصيل، وتشتّت الشمل في المذاهب والطوائف، فأخذتنا الدنيا الغرور كلّ مأخذ، ولم نعُد نعلم أين المبيت.

نرى هذا الفيضان من تيه الأنفس في الإعلام المقروء والمرئي والمسموع، فيصلنا الخبر، وعليك أن تحلّله ألف معنى ومعنى، وكأن المُخبر يريدك ألاّ تعرف الخبر.

فالمصداقية حلقة ضائعة في المصالح المتضاربة، والحروب الباردة والساخنة.

وفي العلوم والشؤون العلمية والمعلوماتية.. ما يجعلنا نتخبّط بين مفيدها والمتراكم منها.

في المجتمعات.. بين فقير لا يأكل، ومسكين لا يشبع، وغنيّ نهم للعدل الغائب، وبين فتاة صالحة، وأخرى حائرة، وثالثة ضلّت طريقها؛ لأن روح التربية منقوصة العيار.

نحن في دوّامة بين النظم الاقتصادية، أيّها أفضل لنأخذ به.

وبين النظم السياسية، أيّها يمثّل العدل لنأخذ بلبابه.

ولا تزال عجلة الزمان تدور وتدور، وما اهتدينا لأحسنها بعد.

وفي كلّ يوم تخرج علينا مشكلة، وتطرح أمامنا قضية، فنزداد حيرةً وتعقيداً وتضييقاً، فنزيد في أفكارنا تجزئةً، وفي أنفسنا تكالباً.

البناء والهدم يسيران معاً، جنباً إلى جنب، اللعبة المفضّلة: نعمّر الأرض ثم نزلزلها على رؤوس ساكنيها.

انفصام في الشخصيات.. خير وشر، وصحة ومرض، وعدل وظلم، أيّها يغلب لا يدري أحد.

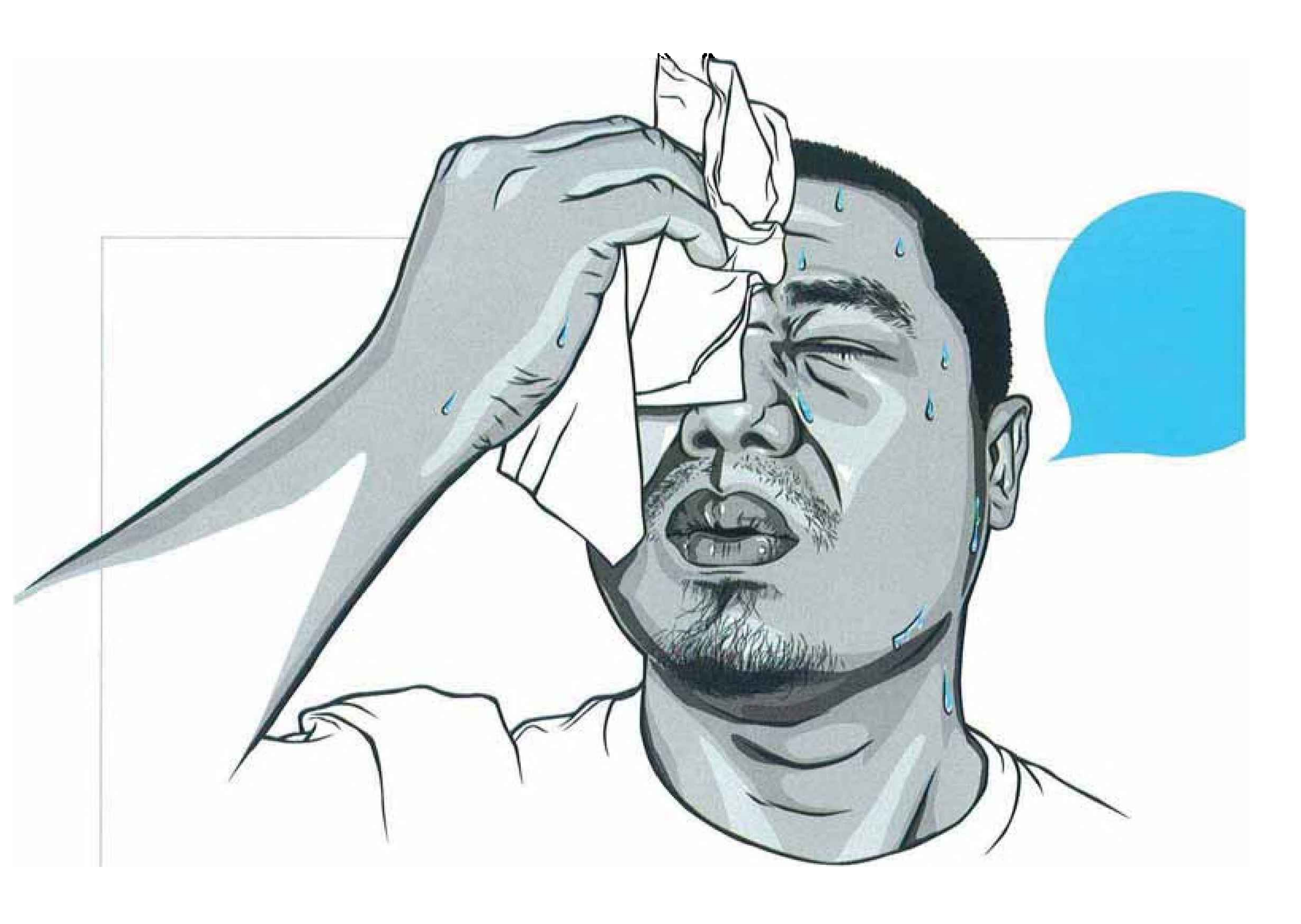
عندما استيقظتُ من سبات طفولتي وجدتني مسلماً على دين آبائي، وكذلك النصراني واليهودي، فأيقنتُ أن الآمر الناهي الحقيقي في كل الوجود هو الله، بعث سفراءه للدين بدينه الحق الذي ارتضى لنا، وقد تركوا رسالاتهم لدينا منصوصة.

ثم نضج العقل فأيقنتُ أن الخالق لا يأمر إلا بخير، للأصلح والأسمى، وللسعادة الأبدية، وبدا لي أن البشرية يجب ألا تتفق إلا على هذا.

نحن نكره أن يكون أبناؤنا عاقّين لنا، والحكومات تكره أن تناصبها العداء في قوانينها التي وُضعت لتسيير شؤون المواطنة.

فمن الأحرى أن يكون الإنسان مطيعاً لخالقه، ومن أولويات الأمر بعد التوحيد أن نكون أمة متعلمة قارئة.

ومما نراه اليوم في عالمنا المعاصر يظهر لنا أن الأمم التي نعيش في أعماقها عاقة بصدد ماذا يعني فعل الأمر (اقرأ) في



بيانه وتبيانه.

إنه التعلّم بالقلم، والقلم يحتاج إلى مداد وورق؛ لنحبّر العلم الذي لا ينتهي بزوال قوم وولادة آخرين. إنه وسيلة الفهم والإدراك وصقل الأذهان وبناء العقل.

والتقدم العلمي اخترع آلة الطباعة للتدوين، لكنه بكل فنونه وثقافاته المطروحة في كل زمان ومكان، ومع كل الأجيال، لم ينجح، ولن ينجح، وهو بعيد من التقدم الأخلاقي والاجتماعي والسلوكي.

إن كلّ من دخل اسمه التاريخ، عبر اقتحامه حدود ما لا يملك؛ مثل: هتلر، وبلفور، وتيمور، وجنكيز، وهولاكو، ونيرون، وقابيل، والشيطان، لم ينجحوا؛ لأن علمهم لم يكن سلوكياً، بل مادياً.

إن النظام الغربي والجمركي في كل بلد يحاسب ولا يفرّط في حقه، والنظام التجنيدي للحماية والذود عن الحياض لا يسمح للمواطن أن يتهرّب من خدمة بلاده.

فالأولى أن يكون في كلّ أمة نظام حازم تُمحى به الأمية بفريضة العلم منذ الصغر، يشمل التقنيات والتربية والسلوك، ويتضمن مبدأ الثواب والعقاب؛ فهو البنية التحتية الحقيقية للأمم، مع استغلال الشاشات المرئية لهذا الهدف الأرقى.

إن هذا الذي أقول مطلب إلهي تقول به كل الأديان، وهو مطلب وطني يوحّد الأمم ويقوّمها، وهو مطلب حضاري به تتقدّم وتزدهر.

علم وسلوك وتقنيات.. ثلاثة مجتمعة في واحدة، لا تنفصل أولاها عن أخواتها، رضاعة من ثدي واحد، في نشأة واحدة، ستخلق جيلاً ذا أخلاق وعلم وميكانيكا حياة.

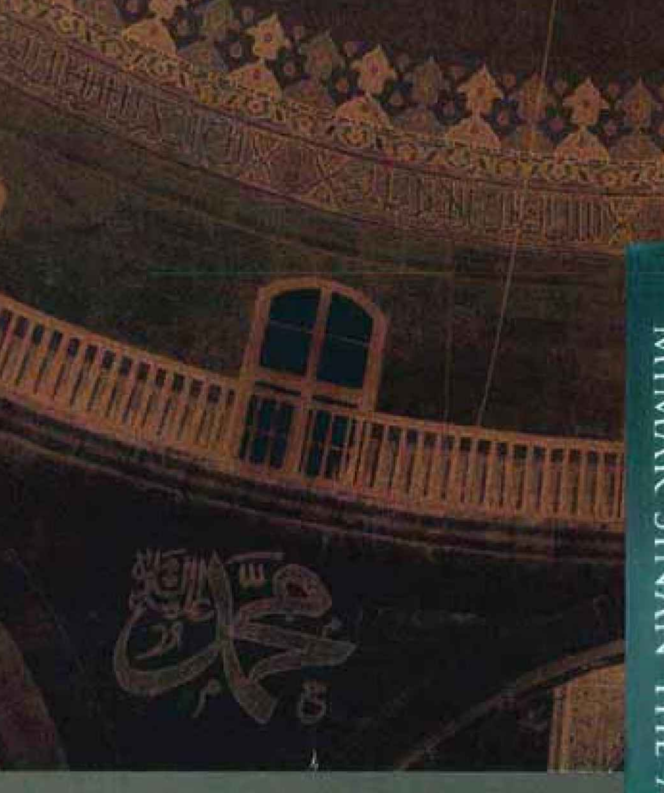
إن المرء ليُصاب بالدهشة عندما نعلم أن الإحصائيات العالمية أثبتت أن الأمية في عالمنا العربي وحده بلغت ٨٠٪، وأن الأمية في العالم كله بلغت ما يقرب من مليار فرد. وفي رأس كلّ فرد عقل أوقفه صانعو القرار.

وهكذا يُخلق الظلام في أعماق الإنسان، وعندما يموت هذا الإنسان يفنى في بحار القهر والتقزّم.

وهذا يعيدنا إلى نقطة البدء في الأمر الإلهي أن: اقرأ.

أتقصير في التنفيذ، أم إهمال، أم تخريب، أم عدم إمكانية؟.

سؤال مأساوي لا أجد له إجابة مقنعة؛ حتى لا تدخل الإجابة في عقم الجدل.







أسماء الفائزين

العدد المزدوج ٤٠٧-٤٠٨

الجماديان ١٤٣١هـ

الفائز الأول: محمد خيري عمر - الرمثا - الأردن.

الفائز الثاني: تفريد جميل باخدلق - مكة المكرمة - السعودية.

الفائز الثالث: عبدالله عبدالسميع علي - كفر شبرا اليمن - مصر.

الفائز الرابع: رشا علي الصفواف - حلب - سورية.

الفائز الخامس: فاطمة صالح محمد سعد - صنعاء - اليمن.

الفائز السادس: إبراهيم بوبري - تيمية - الجزائر.

الفائز السابع: عائشة سالم ناصر - الرفاع - البحرين.

الفائز الثامن: عبدالسلام أحمد موعع - الناظور - المغرب.

حل مسابقة

العدد المزدوج ٤٠٧-٤٠٨

الجماديان ١٤٣١هـ

١- قبة الصخرة: هي الصخرة التي عرج منها النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء.

٢- المعدن الوحيد الذي يُوجد في الحالة السائلة هو الزئبق.

٣- علم (الفينولوجيا): هو علم يبحث في العلاقة بين الطقس والظواهر الأحيائية الدورية؛ إذ إن كل كائن حيّ له دورة حياة.

CUT IT OUT

أسئلة مسابقة

العدد المزدوج ٤١٣-٤١٤، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٣١هـ

(١) ما الفرق بين الفرس الجموح والحرون؟

....

(٢) ما الدول المؤسسة لمنظمة الأوبك؟

....

(٣) ما السيموجراف؟

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل، فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً، وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

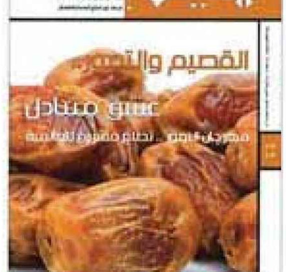
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)



الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- **قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.**
- **ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ ـ ٠٥٥٥٠٥ ـ ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني.**
  شارع العليا العام ـ الرياض. آيبان: ٠٠٠١ ٥٥٥٠ ٠٠٤٠ ٠٠٠٠ ٤٥٠٠ SA٧٩
- **يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.**

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

